

المستفترون

البرتو مورافيا



منتدى سور الأزيكية

www.books4all.net

روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAI

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

العدد ٣٩٢ - أغسطس ١٩٨١ - شوال ١٤٠١

No. 392 — August 1981

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: الدكتور حسين مؤنس

سكرتير التحرير: موسى عبيد

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . بحواله بريديه غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لأمم مؤسسه دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربيه للاعداد العاديه من « روايات الهلال » الشهرية اعتبارا من شهر يناير عام ١٩٧٩ :

بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا : ٣٠٠ ق . س . ثلاثمائة قرش سودى .

لبنان : ٢٥٠ ق . ل . مائتان وخمسون قرشا لبنانيا .

الأردن : ٢٥٠ فلسا . مائتان وخمسون فلسا اردنيا .

الكويت : ٣٥٠ فلسا . ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا .

العراق : ٤٠٠ فلس . اربعمائة فلس عراقى .

السعودية : ٤٠٠ ريال . اربعة ريالات ونصف ريال .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ . عشرة خطوط .



روايات الله

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الغلاف بريشة الفنانة
سميحة حسنين

المستترون

بقلم

البرتو مورافيا

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال

●
دار الهلال

المؤلف

ولد البرتو مورافيا فى روما فى الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٨ ، وكان أبوه مهندسا معماريا . وقد أصيب الكاتب بسل العظام فى صباه وقضى أحداثه متنقلا بين المصحات . وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره نشر أولى رواياته « اللامبالون » وهى تلك التى تقدمها للقراء اليوم . وقد كتبها باللغة الفرنسية التى يجيدها أجادته للغة الأصلية ، كما يجيد الانجليزية والألمانية . وقد صادفت تلك الرواية نجاحا كبيرا على الفور وكانت سببا فى شهرته ، وهى تتسم بالواقعية والتشاؤم وهما عنصران تتسم بهما كل رواياته .

ومورافيا يهوى الرسم والترحال فهو يتنقل بين لندن وباريس وبكين وزار مصر أخيرا وقضى فترة فى القاهرة ، ويعتبر حاليا واحدا من أشهر المؤلفين فى أوروبا .

وقد أخرجت السينما العديد من رواياته ونخص بالذكر منها امرأة من روما والاحتقار وامراتان .

الفصل الأول

دخلت كارلا . كانت ترتدى قميصا من الصوف البنى وجونلة كانت من القصر بحيث ان الحركة الصغيرة التى أتت بها وهى تغلق الباب كانت من الكفاية بحيث رفعتها ما يقرب من شبر فوق الركبة ، وكشفت عن ثنية الجورب . ولكن لم يبد عليها انها لاحظت ذلك ، وتقدمت بحذر وتردد فى نفس الوقت وهى تحقق امامها فى غموض . وكان ضوء المصباح الوحيد الذى ينير الغرفة يقع على ركبتى ليو ، الجالس فوق الارىكة . اما باقى الصالون فكان غارقا فى عتمة خفيفة .

وقالت : سوف تهبط اُمى . . . انها تستبدل ثيابها .
قال الرجل وهو ينحنى الى الامام : سوف ننتظرها معا . تعالى يا كارلا واجلس هنا .

ولكن كارلا أصمت اذنيها وراحت تحقق فى دائرة الضوء ، تحت الأباحورة ، حيث بدت بعض التحف وتغلبت على غيرها من الأشياء الجامدة ، غير المحدودة ، المتناثرة فى الظلام ، وراحت تحرك بطرف اصبعها راسا متحركة لتحفة من الخزف الصينى تمثل حمارا يجلس فوقه ، بين سلتين ، بوذى بدين ملتف فى رداء مطبوع بالورود . وكان الحمار يهز راسه فى حركات ايقاعية . وانهمكت كارلا فى عملها هذا وهى مطرقة العينين ، مطبقة الشفتين ، متوردة الوجنتين .

وقالت اخيرا من غير ان تتحرك : هل تتناول العشاء معنا ؟
اجاب ليو وهو يشعل سيجارة : طبعاً . . . هل يضايقك هذا ؟
كان جالسا فوق الارىكة ، محنى الظهر ، يتأمل الفتاة فى لهفة واهتمام ، ويحقق فى ساقىها الملفوفتين وبطنها المنبسطة وصدرها البارز ورأسها المستديرة فوق جيدها الرقيق ، ويقول محدثا نفسه : يا للفتاة الجميلة !

وهاجت مشاعره بعد ان هدأت بضع ساعات ، وارتفع الدم الى

صدغيه وود لو ان يصرخ لكى يعبر عن شهوته .
وحركت الفتاة رأس الحمار باصبعها مرة اخرى وقالت : هل
لاحظت مدى انفعال امى اليوم ، أثناء تناول الشاي ؟ .. لقد لاحظت
الجميع ذلك .

قال ليو : هذا امر يعنيها هى .
وانحنى اكثر عن ذى قبل ، وبحركة عادية رفع طرف الجونلة
وقال : هل تعرفين ان لك ساقين جميلتين يا كارلا ؟
وادار نحوها وجها غبيا محتوما لم تستطع ابتسامة مرحة ان تجد
سبيلها اليه . وخفضت كارلا جونلتها فى حركة جافة من غير ان تنطق
ومن غير ان يحمر وجهها ، ثم قالت وهى تنظر اليه :
- ان امى تفار عليك ، وهذا هو السبب فى انها تجعل حياتنا
جحима .

اتى ليو بحركة كأنه يقول : وهل لى حياة فى ذلك ؟ .. ثم
اضطجع الى الخلف فوق الارىكة ، وعقد ساقيه وتال فى برود :
- افعلنى مثلى ... عندما ارى الزوبعة على وشك الهبوب اطبق
فمى ، فيمر الامر عندئذ وينتهى كل شىء .
قالت فى صوت خافت ، كما لو ان كلمات الرجل قد ايقظت
فيها غضبا قديما اعمى : ينتهى كل شىء بالنسبة لك انت ... اما
بالنسبة لنا نحن ... بالنسبة لى ...

واختلجت شفتاها ، واتسعت عيناها لفرط الغضب ، ومست
صدرها باصبعها وهى تستطرد قائلة : بالنسبة لى ، انا التى أعيش
معه ، لا ينتهى الأمر أبدا .

وساد صمت قصير ثم أردفت تقول فى ذلك الصوت المكتوم ،
حيث يصفى الحقد على كل كلمة سمة غريبة : لو تدرى كم هى
عيشة بغيضة ، كريهة ، منفرة .. ان تشهد كل يوم .. كل
يوم ...

وفاض قلبها بالحقد وهى تنظر حولها ، وبقيت متسعة
العينين ، مبهورة الانفاس ، صامتة تحت وطأة موجة الحقد التى
طفت عليها .

وتبادلا النظر ، وقال ليو يحدث نفسه ازاء هذا العنف :
يا للشيطان ! .. انها تجد ولا تهزل .

وقال فى بساطة وهو يبسط لها علبة سجائره : سيجارة ؟

قبلت كارلا السيجارة ، وتقدمت خطوة نحو الاريكة ، وقال وهو يتأملها من اخمص قدميها حتى اعلا راسها : انك لا تحتملين هذه المعيشة اذن ؟

ورآها توميء برأسها بالايجاب ، وبدا عليها الارتباك وهى تراه يتكلم بتلك اللهجة ، كما لو كان يتبادل معها سرا . وعاد هو يقول :
- حسنا ... هل تعرفين ماذا يفعل المرء عندما لا يحتمل المعيشة فى مكان ما ؟ .. انه يغير المكان .

- سوف ينتهى بى الامر الى ان افعل هذا .

كان فى كلماتها هذه شىء مسرحى ، على انها نطقها كما لو كانت تشعر بأنها تقوم بدور كاذب سخيف . هذا هو اذن الرجل الذى يدفعها مسار غضبها وحنقها اليه شيئا فشيئا ! .. ونظرت اليه ... انه ليس بأفضل ولا بأسوأ من غيره ، بل انه افضل من الآخرين بلا شك ، يميزه عنهم قدر مواطىء تركه ينضج طوال عشر سنوات ، فقد عرف كيف ينتظر ، وها هو الليلة ، وفى هذه الغرفة ينصب شراكه .

- غيرى حياتك اذن ... تعالى واقمى معى .

هزت رأسها قائلة ، انت مجنون !

- صدقينى .

ومد ذراعه وامسكها من جونلتها واردف يقول : سوف نمح امك اجازة ، ونبعث بها الى الشيطان ... وسيكون لك كل ما تريدين يا كارلا .

وراح يشد الجونلة ونظرته المتوقدة تجرى من وجهها المذعور المتردد الى ركبتها العارية التى تظهر فوق الجورب ويقول لنفسه :

- ان اصطحبها الى بيتى واحتويها بين ذراعى !

- كل ما تريدين .. ثياب .. اكداس من الثياب .. ورحلات .. سنسافر معا .. انه لائم حقيقى ان تضحى فتاة جميلة مثلك بنفسها كما تفعلين . تعالى واقمى معى يا كارلا .

قالت وهى تحاول ان تخلص نفسها منه : ولكن هذا محال ... هناك أمى .. هذا محال .

عاد ابو يقول وهو يطوقها من خصرها : سنعطىها اجازتها ... سنبعث بها الى آخر الدنيا ، فقد آن لكل هذا ان ينتهى ، وستأتين للاقامة فى بيتى ، اليس كذلك ؟ .. فى بيتى ، اننى صديقك

الوحيد .. الوحيد الذى يفهمك ، والذى يعرف ما تريد .
كانت خائفة . وراح يشدها اليه ، تدور بذهنه افكار سريعة توجب شهوته : « فى بيتى .. كل ما تريد » .. سألنى لها كل رغباتها .. ولكن نظرتة التقت بنظرتها المضطربة ، وادرك انه يجب ان ينطق بنظرتها المضطربة ، وادرك انه يجب ان ينطق بكلمات رقيقة ... كيفما تكون ، لكى يبعث الى قلبها الاطمئنان ، فقال :
- حبيبتي كارلا ...

واتت بحركة أخرى لكى تدفعه عنها ، ولكنها كانت ضعيفة الحول ، مغلوبة على امرها بنوع من الارادة المستسلمة . لماذا تصد ليو عنها ؟ .. ان هذا الجهد للحفاظ على عفتها انما سيدفع بها الى الملل والتقزز من العادات القديمة . ثم انه بدا لها فى شيء من القدرة ان هذه المفامرة التى تكاد تكون عائلية هى النهاية الوحيدة التى تتفق مع حياتها السابقة . ومهما يكن فان كل شيء سيكون جديدا . ونظرت الى وجه الرجل المشدود اليها وقالت تحدث نفسها : « فلأفرغ » . وراحت رأسها تدور كما لو كانت ستلقى بنفسها من عل .

ولكنها ، على العكس ، توسلت اليه قائلة : دعنى .
وحاولت للمرة الثالثة ان تتخلص من قبضته . كانت نيتها الفامضة ان تصد ليو فى بادىء الأمر ثم تستسلم له بعد ذلك ، ربما لكى تجد الوقت لتقيس ابعاد المفامرة التى ستقدم عليها وربما بحركة من الدلال ، وراحت تقاوم عبثا ، فى صوت ضعيف حافل بالقلق واليأس وهى تتمتم فى رجاء لا جدوى منه « لنبق صديقين يا ليو » صديقين حميمين كذى قبل .. ولكن كان فى مسلكها وفى مقاومتها الضعيفة ومحاولتها فى ان تشد على جونلتها لكى تغطى ساقها . كان فى كل ذلك شيء من العار والاضطراب لا يحويه مجرد الافلات من ليو ومن عناقه .

وقال ليو فى لهجة تنم عن شيء من المرح : صديقان ... بل اننا اكثر من صديقين ... (وراح يلوى الجونلة بيده) صديقان يا كارلا ... صديقان .

وشد على اسنانه وقد هاجت كل مشاعره بملامسة هذا الجسد الذى يشتهيهِ ، وتكوم فى آخر الاريكة لكى يفسح لها مكانا وهو يقول لنفسه « اخيرا ... انك لى » وما لبثت ان احنت رأسها

تحت المصباح عندما تناهم الى اذنيها صوت باب يفتح فى آخر
الغرفة المظلمة ، وادرك كل منهما أن شخصا دخل .

كانت الأم هى التى دخلت . وحدث قدومها تغييرا فى مسالك
ليو ، فقد اضطجع الى الوراء فجأة وعقد ساقيه ، ونظر الى كارلا
فى غير اكتراث ، بل انه كان ممثلا قديرا فقد قال فى شيء من
الاهتمام كما لو كان ينهى حديثا بدأ بينهما :

— صدقيني يا صغيرتى انه ليس هناك ما يمكن عمله .

وتقدمت الأم ، ولم تكن قد استبدلت ثيابها وانما مشطت شعرها
وتجملت ، وأفرطت فى استعمال المساحيق والأصبغ ، وسارت
نحوهما مترددة ، وبدأ وجهها فى العتمة ، بجموده وقسماته الفامضة
أشبه بقناع من الغباء والحزن .

— هل تأخرت كثيرا ؟ .. فيم كنتما تتحدثان ؟

أتى ليو بحركة كبيرة من يده وأشار الى كارلو التى وقفت وسط
الغرفة وقال : كنت أقول لابنتك انه ليس هناك ما يمكن عمله الليلة ،
واننا سنبقى فى البيت .

أبدت الأم موافقتها فى قوة مهيبة وهى تجلس فى مقعد امام
عشيقها وقالت : هذا صحيح ، فقد ذهبنا الى السينما بعد ظهر
اليوم . واما عروض المسرح فقد شاهدناها كلها . كان يروق لى
أن أستمع الى فرقة بيرانديلو فى مسرحية « ستة أشخاص تبحث عن
مؤلف ، ولكنك ان تقبل حقا ، فهى حفلة شعبية .

قال ليو : ثم اننى أوكد لك انك لن تخسرى شيئا .

احتجت الأم وقالت فى فتور : انت جائر ، فان ليرانديلو
مسرحيات جيدة .. ما رسم تلك المسرحية التى سبق ان رأيناها
له .. انتظر .. آه .. الوجه والقناع ... انها أطربتنى كثيرا .

قال ليو وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف : هذا جائز .. أما
أنا فقد تملكنى الضجر الى حد الموت .

وراح ينقل عينيه بين المراتين وقد دس ابهاميه فى جيبى
صديريه .

وكانت كارلا تقف خلف مقعد أمها . وتلقت صدمة نظرتة الجامدة
الثقيلة فتحطم ذهولها كما يتحطم الزجاج ، ولأول مرة ، أدركت
أن المنظر الذى يدور تحت عينيها منظر قديم عادى لم يتغير ، منظر
أمها وعشيقها وقد جلس كل منهما أمام الآخر وراحا يتبادلان

الحديث ... هذان الوجهان الجامدان الفبيان ، وهى ، كارلا ، مضطجعة فى مقعدها تسمع وترد ، وحدثت نفسها قائلة : « نفس الشيء دائما » ولكى لا تصرخ خفضت يديها حتى بطنها وراحت تلويهما الى حد انها آلمت راسفها بالذات .

واستطردت الأم تقول : ثم اننا نستطيع البقاء بالبيت ، خاصة واننا سنقضى كل سهراتنا الأسبوع القادم فى الخارج ... فهناك غدا ، حفلة الشاي الراقصة للطفولة المهجورة ، وبعد غد حفلة الرقص المقنعة بالفندق الكبير ، وهناك دعوات كثيرة ستأتينا من هنا ومن هنا ... ثم .. اوه يا كارلا .. هل تعرفين من رايت اليوم ؟ .. مدام ريتشى .. لقد تقدمت بها السن بصورة غريبة .. وقد تأملتتها فى اهتمام .. ان بها خطين عميقين من الفضون يبدأان من عينيها حتى فمها .. وشعرها .. اننى لم أستطع ان اتبين لونه ... ان منظرها بشع .

قالت كارلا وهى تجلس بجوار ليو : انها ليست بشعة الى هذا الحد .

وتملكها جزع راح يؤلمها كما لو كانت قد أصيبت بشكة دبوس ، فقد كانت تتوقع ان أمها سوف تنتهى ، بأساليبها الملتوية ، كما هى عادتها ، الى اثاره المشاحنات بسبب الفيرة .. ولكن متى ، ولأى سبب ؟ .. لم تكن تدرى . غير انها كانت واثقة من ان ذلك سوف يقع وثوقها من تعاقب الليل والنهار . وسبب لها هذا التوقع احساسا من الخوف ، ولم يكن هناك أى علاج لذلك . فقد كان ذلك دائم الحدوث يحتمه قدر حقير .

واستطردت الأم تقول : حدثتنى حديثا لا آخر له . قالت لى انهم باعوا سيارتهم القديمة واشتروا سيارة جديدة غيرها ، من طراز فيات ، وقالت : هل تعرفين ان زوجى أصبح الآن اليد اليمنى لباجليونى فى البنك الاهلى ؟ .. ان باجليونى لا يستطيع الاستغناء عنه ، ويعتبره منذ الآن كما لو كان شريكا له ... باجليونى هنا ... وباجليونى هناك .. شىء مقزز .

سألها ليو : ولماذا ؟ .. لا أدري أى تقزز فى هذا .

قالت وهى ترميه بنظرة حادة كما لو لتدفعه لكى يزن كلماته : اظنك لا تجهل أبدا ان باجليونى عشيقها ؟ قال ليو : ان الجميع يعرفون ذلك .

واستقرت نظرتة الجامدة على كارلا وهو ينطق بهذه العبارة .
وعادت ماري جريس تقول فى وضوح تام : ولعلك لم تنس أن
آل ريتشى كانوا لا يملكون مليما قبل أن يتعرفوا على باجليونى ،
وانهم أصبحوا الآن من الأثرياء .
- آه ... وأى ضرر فى هذا ؟ انهم يدبرون أمورهم بقدر
ما يستطيعون .

وبدا كئنه صب الزيت على النار ، فقد اتسعت عينا الأم دهشة
مشوبة بالسخرية وقالت :

- آه .. اذن فأنت تبرر سلوك هذه المرأة الوقحة ؟ ... انها ليست
جميلة وانما هى كتلة من العظام ، تستغل صديقها بدون أى وازع من
ضمير ، فهو يشتري لها الثياب والسيارات ، وتحمله على أن يدفع
زوجها الى الأمام . ولا ندرى ان كان زوجها هذا غبيا أم دساسا .
هذه هى مبادئك اذن ! .. اوه .. حسنا .. حسنا جدا . لم يعد
لدى ما اقول ، فاننى افهمك جيدا . ان مثل هؤلاء النسوة يرقن
لك طبعا .

ضحك ليو وقال : كلا . كلا . ان هؤلاء النسوة لا يرقن لى
صراحة .

والقى نظرة سريعة جشعة الى الفتاة الواقفة بجواره .. الى صدرها
الناهد ووجنتها المتوردتين .. الى الفتاة الشابة .. هذا هو نوع
النساء الذى يروق له .

ولكن الأم راحت تقول فى اصرار : أنك تزعم ذلك وتتنكر لها
الآن ، ولكن من يحتقر يشتري .. وفى اليوم الماضى ، وأنت معها ،
عند آل سيدونى امطرتها بالمجاملات ، ورويت لها ألف هذر ..
كلا ، كلا . لا تحاول الانكار . اننى أعرفك جيدا ... هل تعرف
نفسك ؟ .. انت كذاب !

وقالت كارلا تحدث نفسها : ها هى قد بدأت !
ورأت أن هذا الشجار سيطول ، وادركت أن حياتها اليومية ستبقى
كما هى لا تتغير ، وكان فى هذا ما يكفى فنهضت وقالت :
- سأذهب لكى ارتدى بلوفر ثم أعود .

وخرجت دون أن تلتفت لانها احست بعينى ليو ملتصقتان بظهرها
لا تحولان عنه .

والتقت بميشيل فى الطريقة فسألها هل ليو موجود . ولما أجابته

بالإيجاب قال : اننى قادم الآن من مدير أعماله .. وقد عرفت منه أشياء جميلة كثيرة .. أولها اننا أفلسنا .

نظرت إليه مذهولة وقالت : ما هذا الذى تقول ؟

اجابها فى هدوء : اقول انه يجب ان نتنازل عن الفيلا لليو سدادا لتلك الرهنية ، وان نتركها ونمضى الى مكان آخر لكى نشق أنفسنا فيه .

وارتسمت على شفثيه ابتسامة مفتضبة فقالت كارلا : لماذا تبسم ؟ .. ايدعو هذا الأمر الى الابتسام ؟

— لماذا ابتسم ؟ .. لأن كل سيان .. بل انه الأمر يسرنى .

— ليس هذا صحيحا .

— بل انه صحيح تماما .

ومن غير ان ينطق بكلمة اخرى ترك كارلو مكانها ، حمقاء ، مذعورة تقريبا ودلف الى الصالون .

كانت امه لا تزال تتناقش مع ليو فى غير كلفة ، ولكنها ما كادت ترى ابنها حتى تظاهرت بأنها تتبادل هى وعشيقتها حديثا عاديا فابتسم الشاب فى رثاء وتقزز وقال لها دون ان يحيى ليو ومن غير ان يلقي إليه نظرة واحدة :

— اظن انه قد حان الوقت لتناول العشاء .

وصاح ليو يقول فى ابتسامته العادية : ولكن من أرى ؟ .. عزيزنا ميشيل ! .. تعال هنا يا ميشيل . لقد مضى وقت طويل لم أرك فيه .

— لم يمر أكثر من يومين .

وحقق ميشيل فى ليو وهو يحاول ان يتكلف البرود ، ويود لو ان يقول له « قلما التقينا كان ذلك افضل » فى حين عاد ليو يقول :

— اتظن ان يومين شيء قليل ؟ .. ان فى مقدور المرء ان يضىفى الكثير فى يومين .

وانحنى ، وظهر وجهه البشوش وسط الضوء وقال : ولكن .. هذه بذلة جميلة .. من الذى حاكها لك ؟

كانت بذلة زرقاء جيدة الصنع ، ولكنها كانت مستهلكة جدا ، وكان ليو قد رآها عليه أكثر من مائة مرة ، ولكن ميشيل ، وقد ست هذه اللمسة المباشرة غروره ، نسى على الفور كل نواياه من الحقد والجفاء ، وقال وهو لا يفلح فى اخفاء ابتسامته راضية :

— اهذا صحيح ؟ .. انها بذلة قديمة ، وأنا البسها منذ وقت طويل ، وتيتو هو الذى حاكها لى .
وبحركة غريزية استدار نصف دورة وعرض عليه ظهره وهو يشد طرفى الجاكيت لكى تلتصق بخصره . وراى نفسه فى المراة التى امامه . لم يكن هناك شك فى ان البذلة كانت جيدة التفصيل ، ولكن بدا له شكله مضحكا وسخيفا ، اشبه بتلك التماثيل المعروضة فى الفترينات والاسعار ملصقة على صدرها ، وخامرته احساس خفيف من القلق ، وانحنى ليو الى الامام وراح يجس القماش ثم اعتدل وهو يقول :

— انها جميلة جدا ، ومن نوع جيد .
ثم أردف يقول وهو يربت على ذراع الشاب : ان عزيزنا ميشيل شاب مدهش ، لا غبار عليه دائما .. لا هم له الا اللهو والمرح .. وهو لا يفكر ابدا فى اى شىء .

ولم يلبث ميشيل ان ادرك من لهجة ليو ومن ابتسامته ان مجاملته لم تكن تهدف الا الى هذه السخرية . اين اذن السخط والحقد اللذين تصور انه يشعر بهما نحو عدوه ؟ .. لقد تلاشيا فى أحشاء نواياه . وتملكه الارتباك بصورة فظيعة ، ولم يدر كيف يغادر الغرفة ، وراح ينظر الى امه .

وقالت له هذه الاخيرة : انك اخطأت بعدم بقائك معنا اليوم ، فقد شاهدنا فيلما رائعا .

قال الشاب : آه ... حقا ؟

ثم تحول الى الرجل وبدأ يقول بلهجة شديدة قاسية بقدر ما استطاع : ليو .. اننى ذهبت اليوم الى مدير أعمالك .

ولكن الرجل اتى بإشارة من يده قاطعه بها وقال : ليس الآن ... اننى فهمت .. سنتكلم فى هذا فيما بعد ... بعد العشاء ... كل شىء فى حينه .

أجاب ميشيل فى هدوء غريزى : كما تشاء .

ولكنه لم يلبث ان ادرك ان الرجل فرض عليه نفسه مرة اخرى وقال يحدث نفسه . كان يجب ان أقول الآن حالا ، وان ابدا الحديث وأتكلم بصوت مرتفع . لم يكن هناك حل آخر غير هذا . وتملكه الفيظ فان ليو فى بضع دقائق ، وجد الوسيلة لان يوقعه مرتين فى اخايد الفرور وعدم الاكتراث .

ونَهَضت امه هى وليو ، وقال هذا الاخير : اننى جائع ... جائع جدا .

وضحكت المرأة ، وتبعها ميشيل وهو يحاول أن يذكى غضبه قائلا فى نفسه : بعد العشاء ... لن تتخلص منى بهذه السهولة . وتوقف الثلاثة امام الباب . وافسح ليو الطريق امام مارى جريس قائلا : تفضلى .

وبقى الرجل والشاب وجها لوجه . وقال ليو فى لهجة رقيقة وهو يضع يده على كتفه : تفضل ... تفضل ... فأنت رب البيت . وبإشارة أبوية وابتسامة ودية بحيث بدت كأنها ساخرة دفع ميشيل فى رفق . وقال هذا الاخير يحدث نفسه فى غير غضب : « رب البيت ! .. هذه نكتة جميلة ! .. ان رب البيت انما هو انت » . ولكنه لم ينطق ، ودخل خلف امه الى الطرقة .

الفصل الثانى

كانت الثريا ذات الأدوار الثلاثة ترسل نورها على سطح المائدة الأبيض فتلألأ الاطباق والاكواب الزجاجية بحيث بدت المائدة كقطعة من الرخام خدشها أزميل النحات ... كانت هناك بقع ، فقد كان النبىذ أحمر اللون والخبز أسمر والدخان يتصاعد من أطباق الحساء الأخضر . وكانت كارلا جالسة تنتظر فى فروغ صبر .

وكانت الأم أول من دخل ، وأدارت رأسها نحو ايو ، وكان يمشى خلفها ، وقالت فى لهجة ساخرة مؤثرة :

« ان المرء لا يعيش لكى يأكل وانما يأكل لكى يعيش ، ولكنك تعكس الأمر ... وهذا خير لك .

أجابها ليو وهو يدخل خلفها : كلا ، كلا . انك اسأت فهمى ، فأنى قلت : عندما يفعل المرء شيئاً لا ينبغى ان يفكر فى شيء آخر ، فانا مثلاً ، عندما اشتغل لا افكر الا فى عملى . وعندما آكل لا افكر الا فى الأكل ، وهكذا دواليك ... وبهذا يكون كل شيء على ما يرام . وكان ميشيل يمشى فى المؤخرة ، وقد ود لو ان يسأله : « وعندما تسرق الناس ؟ » ولكنه لم يكن جديراً بأن يكره ذلك الرجل وانما كان يغبطه ، وقال يحدث وهو يجلس : « الواقع انه على حق .. اننى افكر أكثر من اللازم » .

وعادت الأم تقول متهمكة : هذا خير لك . اما انا فان الامور تجرى معى على أسوأ ما يكون .

وجلست . وتكلفت وقارا كئيبا واطرقت ، وراحت تقلب الحساء بملعقتها لكى يبرد .

— الامور تجرى معك على أسوأ ما يكون ؟ .. وكيف ذلك ؟ لو اننى مكانك لما فكرت فى الشكوى ، فان لك ابنة فاتنة .. وابنا ذكيا يفتح المستقبل له ذراعيه ... وبينا جميلاً ... ماذا تشتبهين أكثر من ذلك ؟

قالت الام وهى تنهد تنهيدة مكتومة : اوه ... انك تفهمنى
بالاشارة .

وكان قد فرغ من الحساء فألقى ملعقته واردف يقول : ثم انكم
جميعا غير راضين . لا تحسبى انك وحدك ايتها السيدة العزيزة ...
هل تريدن ان تقوم بتجربة ؟ .. انت مثلا يا كارلا ؟ .. هل انت
راضية بمصيرك ؟ .. اجيبى بصراحة .

رفعت الفتاة عينيها اليه .. هذه الروح البشوشة ، وهذه الطيبة
الزائفة ... كان كل ذلك يثير أعصابها . كان يدور على المائدة التى
تجلس اليها نفس الحديث كل ليلة ، والأمور العادية المألوفة هى
فى الواقع اقوى من الزمن ، وخصوصا النور العادى . ذلك الذى
لا وهم فيه ولا أمل ... النور اليومى المستهلك استهلك قماش ثوب
قديم لا يفارق جسد صاحبه بحيث انه اذا انير فجأة يخيل لها
انها ترى وجوها أربعة تظهر امامها ... وجوه امها وأخيها وليو
وجها هى نفسها .. معلقة فى هذه الهالة الحزينة .. كان كل هذا
سبب مللها ، وكان لابد لليوان يثير غيظها فى هذه النقطة الحساسة
بالذات . ولكنها عرفت كيف تتمالك نفسها ، وقالت موافقة :

— الواقع ان الامور لن تجرى احسن ...

وأطرقت براسها من جديد ، فصاح ليو منتصرا : اليس كذلك ؟
.. لقد كنت واثقا من انك سنقولين هذا .. وليس هذا كل شئ ..
اننى مقتنع بأن ميشيل هو الآخر .. ما رايك يا ميشيل ؟ .. اراهن
ان لا شئ يروق لك ...

نظر ميشيل اليه ولسان حاله يقول : هذه هى اللحظة المناسبة
لكى تفضى اليه بالحقيقة ، لكى تهينه وتخاصمه وتفرغ منه الى الأبد
.. ولكن قلبه لم يطاوعه واكتفى بأن قال فى هدوء :

— الا تفزع من هذه اللعبة الصغيرة ؟ ... انك تعرف كيف تسير
الامور خيرا منى .

صاح ليو يقول : آه .. أيها الماكر .. أيها المخادع . انك تراوغ
ولا تريد ان تجيب ، ولكن من الواضح وضوح الشمس انك غير راض
انت ايضا ، والا ما راينا هذا الوجه الشاحب .

وقدمت له الخادم طبقا فأمسك عن الكلام لكى يأخذ منه نصيبه
ثم عاد يقول :

— اما أنا سيداتى ، سادتى ، فاننى على العكس ، اصر على القول

بأنه فيما يتعلق بى فان الأمور تسير على ما يرام .. بل ازيد فأقول
اننى راض جدا واننى ، اذا كان ولابد ان اولد من جديد لاخترت
ان اولد كما انا الآن بلحمى ودمى وباسم ليو ميروميسى .

صاح ميشيل متهمك : يا لك من رجل سعيد ! يمكنك على الاقل
ان تلقننا طريقتك .

راح الآخر يقول وفمه مملوء بالطعام : طريقتي ! .. حسنا .
ما عليك الا ان تنظر الى . ولكن هل تريدون ان تعرفوا انتم ايضا
لماذا لاتشبهوننى ؟

— نعم .. لماذا ؟

— لانكم تشغلون انفسكم بأمور تافهة .

وامسك لكى يشرب . وسادت لحظة صمت . واحس الثلاثة
الآخرون بأنهم اصابوا فى كبريائهم . وقال ميشيل يحدث نفسه :
« بودى ان اراك مكاني » واخذت كارلا تفكر فى حياتها المليئة بالفخاخ
والمكائد مع ذلك الرجل . وكانت هناك اسباب وجيهة تجعلها تعيسة
شقية . ولكن الام كانت اول من تكلم ، مدفوعة بعصبيتها وثرثرتها ،
فقد حز فى نفسها وساءها ان توضع فى مستوى واحد هى وابنها
بحجة ميل مزعوم للسخط والاستياء ، وبدا لها كان فى هذا الامر
خيانة ، وقالت فى مرارة :

— كما تشاء . اما انا يا عزيزى فان هناك ما يدعو الى استيائى
حقا ، فاننى لست طفلة ككارلا .. اننى امرأة حنكتها التجارب
وعرفت الألم .. آه ، نعم ، عرفت الألم . (وازدادت انفعالا وهى
تتكلم) وقد اجتزت كثيرا من الصعاب وتألمت . ولكننى على الرغم
من كل ذلك عرفت كيف احتفظ بكرامتى ، وكيف اكون فوق
الجميع . نعم يا عزيزى ميروميس .. فوق الجميع ، حتى انت .
بدا ليو يقول : لم يخطر لى ابدا ...

وادرك الجميع الآن ان غيرة ماري جريس قد وجدت طريقا وانها
ستسير فيه حتى النهاية . وتوقع الجميع فى تقزز وملل العاصفة
الحقيرة التى راحت تتجمع تحت ضوء المصباح .

واستطردت الام تقول وهى تحديق فى عشيقها بعينها الشاردتين :
اما انت يا عزيزى فقد تكلمت الآن دون اى تفكير ... ولا ريب انك
اعتبرتني واحدة من صديقاتك الانبيقات اللاتى لا يعرفن معنى للشرف
او الضمير ولا يفكرن الا فى اللهو والمرح وقتل الوقت ، يوما مع فلان

وآخر مع علان ... ولكنك اخطأت يا صديقى لأننى أعتقد ...
- ولكننى لم ابد اية اشارة ...

استطردت مارى جريس تقول فى انفعال بالغ : اننى امرأة تستطيع
ان تعلمك كيف تعيش انت وغيرك ممن هم على غرارك . ولكننى من
الرقه او السخافة بحيث ادفع بنفسى الى الصف الاول او بحيث
اكثر الحديث عن نفسى . الامر الذى يجعل الجميع يسيئون فهمى
ولا يقدرونى .. ولكن ليس هذا سببا (وارتفع صوتها عندئذ واصبح
اكثر حدة وهياجا) ليس هذا سببا لأننى امرأة طيبة جدا وكتومة
جدا وسخية جدا ، واعدود فأقول ان هذا ليس سببا لكى اتحمل
الاهانات فى كل وقت .

وبعد ان ألقت نظرة اخيرة صاعقة على ليو راحت تنقل فى حركات
آلية كل الأشياء التى فى متناول يديها فوق المائدة .

وارتسم الوجوم الشديد على وجوه الجميع . وقال ليو فى
هدوء : لم يخطر لى ابدا ان اهينك . وانما قلت اننى الوحيد بينكم
الذى لا يشكو ولا يتذمر .

اجابت الام فى نلميح خبيث : طبعا ، طبعا . اننا نعرف طبعا انه
ليس هناك ما تشكو او تتذمر منه .
تدخلت كارلا عندئذ فقالت : ولكنه لم يقل شيئا يشتم منه اية
اهانة يا امى .

واحست بالياس يعصف بها واخذت تحدث نفسها وتقول « لابد
ان ينتهى كل هذا » . وهى تنظر الى امها .. تلك الام التافهة
والناضجة والتى تجتر غيرتها وهى مطرقة الرأس . « لابد ان
نتهى من كل هذا ، وان تغير الأمور بكل طريقة » . ومرت براسها
قرارات سخيفة « ان تترك البيت وان تختفى وتضيع فى خضم
الحياة ويمتصها الهواء » . وتذكرت كلمات ليو « انت بحاجة الى
رجل » هذه هى النهاية .. هو .. او أى رجل غيره .. آخر صبرها
.. وانتقلت عيناها الحزینتان من امها الى ليو ، وقالت مارى جريس
عندئذ :

- اما انت فاسكتى ... انك لا تستطيعين ان تفهمى .

احتج ليو قائلا : ولكننى لا افهم انا الآخر يا عزيزتى .

قالت الام وهى تضغط على كل كلمة من كلماتها : بل تفهم تماما .

قال ليو وهو يهز كتفيه مسلما : ربما .

— اسكت .. اسكت .. من الأفضل ان لا تنطق بشيء . لو اننى مكانك لحاولت ان انسى نفسى وان اتوارى .

وساد صمت ، ودخلت خادمة ورفعت الصحف . وقال ميشيل يحدث نفسه وهو يرى وجه امه الفاضب تنبسط اساريره شيئاً فشيئاً : آه .. لقد مرت العاصفة وبدأ الجو يصفو ويروق . وقال فى غير مرح :

— اننى اطاب الكلمة .. هل انتهى الأمر ؟

اجاب ليو فى تأكيد : انتهى تماما . لقد تصالحنا ، انا وامك . وتحول الى مارى جريس وقال : اليس كذلك يا سيدتى ؟ ارتسمت ابتسامة حزينة مترددة على وجه المرأة المصبوغ ، فقد عرفت هذا الصوت وهذه اللهجة المخادعة التى طالما سمعتها فى اوقات سعيدة ماضية عندما كانت لا تزال شابة وعندما كان عشيقها وفيها لها . وراحت تفحص يديها فى خبث وقالت :

— هل تظن ياميروميس ان من السهل ان نصفح ؟

وهكذا انقلب الأمر الى العاطفة ، واستشاطت كارلا غضبا ، وابتسم ميشيل فى احتقار وقال يحدث نفسه : حسنا ، ها نحن قد عدنا ... تعانقا ولينته الأمر .

وقال ليو فى جد مضحك : ان الصفح واجب كل مسيحى طيب . ولكنه كان يحدث نفسه ويقول فى الوقت ذاته : فلنذهب الى الجحيم . لحسن الحظ ان هناك الابنة لكى تعوضنى عن الام . ونظر الى الفتاة بطرف عينه من غير ان يحرك راسه ... انها شبيقة أكثر من أمها ، على اهبة الاستسلام طبعاً .. سوف ينتهز فرصته بعد العشاء وسوف يطرق الحديد وهو ساخن ولن يؤجل الأمر الى الغد .

وقالت مارى جريس وقد استردت كامل هدوئها : فلنكن طيبين ، وليصفح كل منا عن الآخر .

وانبسطت الابتسامة التى كانت تتردد على وجهها وكشفت عن صفين من الأسنان الباهتة ، واختلج جسدها كله بالرضا والسرور ، وأردفت تقول فى حماسة امومة :

— وبهذه المناسبة ، لا تنس ان غدا عيد ميلاد عزيزتنا كارلا .

— ولكن لم يعد هناك من يحتفل بأعياد الميلاد يا أمى .

قالت الام فى عظمة : اما نحن فسوف نحتفل بعيد ميلادك . وانت
ياميروميس ، اعتبر نفسك مدعوا ظهر القد .
انحنى ليو انحناءة كبيرة فوق المائدة وقال : لى الشرف ، واشكرك
يا سيدتى العزيزة .

ثم تحول الى كارلا يسألها : كم عمرك ؟
وتبادلا النظر ، ورفعت الام اصبعين وأشارت بشفتيها كلمة
« عشرون » . وفهمت كارلا وترددت . ولكن ريحا من القسوة اجتاح
روحها وفكرت تقول : انها تريد ان تصفر سننى لكى لا تبدو هى مسنة
امامه . وقالت دون أية مراعاة لرجاء امها الصامت :
- اربع وعشرون سنة .

واطبقت سحابة من خيبة الامل على وجه مارى جريس فى حين تمت
ليو يقول فى دهشة وسخرية :
- اكبيرة فى السن الى هذا الحد ؟

كررت كارلا : نعم ... كبيرة فى السن .
ونهرتها الام قائلة : ما كان يجب أن تطلعيه على حقيقة عمرك .
وضاعفت البرتقالة اللاذعة من حدة صوتها وهى تقول : ان
الانسان انما يبدو بمظهره ، ومظهر لا أنت يدل على انك لا تزيد
عن ... تسعة عشر عاما .

وازدردت الفص الاخير من البرتقالة . وفرغوا من تناول العشاء .
واخرج ليو علبة سجائره وبسطها للآخرين . وارتفعت سحابات
من الدخان فوق المائدة فى غير انتظام . وبقي الأربعة لحظة لا يتحركون
وهم يتبادلون النظر ، ثم نهضت الام قائلة :
- فلنمض الى غرفة الصالون .

وخرج الأربعة ، الواحد خلف الآخر ، من غرفة الطعام .

الفصل الثالث

بضع خطوات فى الممر . وهو ممر صغير ولكنه مشحون بجو من التوتر والقلق ، وراحت كارلا تنظر الى الارض وهى تفكر فى غموض فى ان العبور اليومى لا ريب قد استهلك نسيج السجادة القديمة التى تغطى البلاط وان المرايا البيضاء المعلقة لصق الجدران لأبد قد احتفظت بأثر صورهم التى تعكسها مرارا كثيرة كل يوم طوال اعوام او .. مجرد لحظة كل مرة لها ولأماها ريثما تتحقق كل منهما من ان احمر الشفاه على ما يرام ، ولميشيل ريثما يفحص عقدة رباط عنقه . كان السأم والملل يكمنان فى هذا الممر ، وكان كل منهم يحس بهما كل الاحساس وهو يمر به ... كان كل شيء ثابتا لا يتغير : السجادة والنور والمرايا والباب الزجاجى الذى يفضى الى الدهليز على اليسار وبير السلم المظلم على اليمين . وكان كل شيء يكرر نفسه . كان ميشيل يتوقف ويشعل سيجارته وينفخ فى عود الثقاب . أما الأم فكانت تسأل عشيقها فى رقة : ان وجهى يبدو متعبا الليلة ، اليس كذلك ؟ وكان ليو يرد عليها فى غير اكتراث والسيجارة بين شفثيه : أبدا .. أبدا .. لم أرك أبدا اجمل من اليوم .. رتابة محزنة .

ودخلوا الصالون ، وهو عبارة عن غرفة مستطيلة ، مظلمة وباردة ، يشطرها قوس الى قسمين متساويين . ومضوا فجلسوا فى الزاوية المواجهة للباب . وكانت هناك ستائر من المخمل الداكن تخفى النوافذ المفلقة . ولم يكن بالفرفة أية ثريا وانما بضعة مصابيح جدارية ، ثلاثة منها كانت مضاءة ترسل نورا ضعيفا باهتا فى منتصف الصالون الصغير ، أما النصف الآخر فقد بقى غارقا فى ظلام اسود لا يميز فيه المرء انعكاس المرايا وشكل المعزف الا بصعوبة كبيرة .

ولم يفتح احدهم فمه لمدة وجيزة . كان ليو يدخن فى شيء من

الندم ، والام تتأمل فى حزن اصابعها ذات الاظافر اللامعة . اما كارلا فقد جلست القرفصاء تقريبا وراحت تحاول اضاءة المصباح الذى فى الزاوية . وكان ميشيل ينظر الى ليو . واخيرا اضيىء المصباح وجلست كارلا ، وبدأ ميشيل الحديث فقال :

— اننى ذهبت اليوم الى وكيل اعمال ليو ، وقد التقي على محاضرات لا آخر لها . ويبدو أن اوضح ما فى الأمور . أن الرهينة على البيت سينتهى اجلها بعد اسبوع وانه لابد لنا عندئذ من اخلاء البيت لانه لابد من بيعه لسداد ديننا لمسيو ميروميس .

اتسعت عينا الأم وقالت : ولكن ذلك الرجل لا يدري ما يقول .. لا ريب انه يلقى القول على عواهنه ... طالما قلت لكم انه يضر لنا شرا .

وساد صمت قطعه ليو اخيرا بأن قال دون ان يرفع عينيه : ان هذا الرجل يقول الحقيقة .

نظر الجميع اليه . وقالت ماري جريس متوسلة ، ضامة يديها : ولكنك لن تلقى بنا الى عرض الطريق بالتأكد .. امنحنا مهلة .

— لقد منحتكما مهلتين قبل ذلك ، وفى هذا الكتاب ، خاصة وان مهلة جديدة لن تفيد . كل ما هناك أن البيع سيتأخر ، ولكن لابد منه . سألته الأم : وكيف ذلك ؟

رفع ليو رأسه اخيرا وقال : ما لم تجمعى ثمانمائة ألف ليرة فأنى لا أدري كيف يمكنك أن تسددى دينك من غير أن تبيعى البيت .

ادركت الأم ، وتفتح امام عينيها خوف كبير كالهاربة ، وشحب لونها ونظرت الى عشيقها ، ولكن ليو اكفى بأن راح يتأمل سيجاره ولم يبد اية محاولة لطمأنتها .

وقالت كارلا : وبمعنى آخر ، يجب ان نترك هذا البيت وان نسكن فى شقة صغيرة .

اجاب ميشيل : هو هذا .

وساد صمت . واتخذ خوف ماري جريس ابعادا هائلة . لم تحادل ابدا ان تعرف شيئا عن الفقراء ، ولم تحاول ابدا ان تسمع شيئا عنهم ، وطالما رفضت التسليم بوجود أشخاص مضطرين الى عمل شاق وحياة تعسة ... الشعب ؟ .. كانت تكتفى بأن تقول انهم اسعد منا ، فاننا اكثر منهم حساسية واشد مضاء وذكاء . ومن ثم فاننا نتألم اكثر منهم .. وها هى الآن مضطرة فجأة الى الاختلاط

بهم وزيادة عددهم ؟ .. هذا الشعور بالتقزز والمهانة والخوف الذى أحسنت به ذات يوم وهى تمر ، فى سيارة صغيرة وسط شعب متوعد وقدر من المضربين ، عاد اليها يجتاحها الآن زد على هذا المضايقات والحرمان الذى سيكون من نصيبها . وافزعها الحزن الشديد الذى ستعرض له . ماذا سيظنون بها ؟ وماذا سيقال عنها فى المجتمع الثرى الأنيق الذى تعيش فيه . رأت نفسها فقيرة .. فقيرة ووحيدة مع ولديها ، بدون أصدقاء وبدون علاقات لان الجميع سيتخلون عنها . لن تكن هناك حفلات ولا رقصات ولا اضاء وانما ظلام تام ... ظلام عار ...

وازداد شحوبا وفكرت تقول متعلقة بفكرة الاغواء والاغراء : يجب ان أتحدث اليه على حدة ، فى غياب كارلا وميشيل . سوف يفهم .. وتحولت الى عشيقها وقالت فى غموض :
- امنحنا مهلة اخرى يا ميروميس ، وسوف نجد المال بطريقة ما .
سألها الرجل وهو يتسم نصف ابتسامة ساخرة : وكيف ذلك ؟
قالت : البنوك ...

انحنى لكى يحدد فيها وقاطعها قائلا : ان البنوك لا تقرض الاموال بدون ضمانات مؤكدة . ثم ان النقود اليوم نادرة بحيث لا تقدم البنوك قروضا لأحد ، واذا فرضنا جدلا بأنها وافقت على اقراضك فما هى الضمانات التى يمكنك ان تقدمها يا سيدتى ؟
قال ميشيل : هذا منطق سليم .

وود لو ان يتحمس ، فقد كانت مسألة حيوية بالنسبة للعائلة وقال يحدث نفسه « ان حياتنا فى خطر ، ومن لحظة الأخرى قد لا نجد إلا الكفاف » . ولكن على الرغم مما بذل من جهد لكى يثور فقد بقى كالثالج لا يحفل بذلك الدمار ، وبدا كأنه يرى شخصا يفرق دون ان يفكر فى الاسراع الى نجده .

اما الأم فقد اختلف الأمر معها وقالت فى اباء : امنحنا مهلة ، ويمكنك ان تتأكد من ان نقودك ستصلك يوم الاستحقاق .. الى آخر ملهم .. ثق مما أقول .

ضحك ليو فى هدوء وقال : اننى لا أشك فى ذلك .. ولكن لماذا المهلة اذن ؟ .. لماذا لا تقولين الآن بما تريدان القيام به بعد شهر او بعد سنة لكى تسددى دينك على الفور ؟

كان يتكلم فى هدوء وقد أمال رأسه قليلا ، وكان قوله منطقيا

بحيث احست مارى جريس بالخوف . وحولت بصرها الى ميشيل
ثم الى كارلا .. ولديها الضعيفين اللذين سيعرفان الفقر ، وقالت
وقد غلبها حبها الاموى :

— اسمع يا ميروميس .. استطيع ان اقول لك كل شىء . ان
الامر لا يتعلق بى ، ولست اطلب هذه المهلة من اجلى ، فانى مستعدة
ان اذهب للاقامة فى غرفة على السطوح (ورفعت عينيها الى السماء)
والله يعلم اننى لا افكر فى نفسى وانما فى كارلا .. فانها فى سن
الزواج ، وانت تعرف الناس .. ففى نفس اليوم الذى نبرح فيه
هذه الفيلا للاقامة فى شقة ضيقة سوف يدير الجميع لنا ظهورهم ..
هكذا هى الدنيا .. وعلى هذا فلن يتقدم احد للزواج من ابنتى .
قال ليو وهو يتصنع الجد : ان ابنتك جميلة ولن تفتقر الى طالبى
الزواج .

ونظر الى كارلا ووجه اليها ايماءة ودية . ولكن الفتاة تملكها
موجة شديدة من الغضب وودت لو ان تصرخ بأماها : « وكيف تريدان
ان اجد لى زوجا طالما هذا الرجل يعيش بيننا وصلته بنا هكذا ؟ »
احست بالمذلة والهوان من الوقاحة التى تتكلم بها أماها فهى لم تكن
تحفل بها فى الوقت العادى ، ولكن ها هى الآن قد جعلت منها حجة
مناسبة لأغراضها . لابد لها من ان تنتهى من هذا الامر . سوف
تستسلم لليو ، ولن يفكر احد عندئذ فى ان يتقدم للزواج منها .
وحدجت أماها وقالت فى صوت ثاقب :

— لا تهتمى بى يا أمى .. اننى خارج هذه المسألة تماما ، وأريد
ان ابقى هكذا .

وفى هذه اللحظة صدرت ضحكة حادة زائفة من المكان الذى
يجلس ميشيل فيه ، فتحولت الأم اليه . وقال الشاب وهو يحاول
أن يكسب صوته رنة ساخرة :

— ولكن ، هل تعرفين من اول من سيدير لنا ظهره اذا نحن غادرنا
الفيلا ؟ .. فمتى .

— يا الهى ... لا أدرى .

صاح فى انتصار وهو يشير باصبعه : انه ليو .. صاحبنا العزيز
يا ليو .

أتى ليو بإشارة احتجاج فى حين سأله الأم مترددة : آه ...
اهذا صحيح يا ميروميس ؟

وحدثت فى عشيقها محاولة ان تقرا فى وجهه هل هو جدير حقا بمثل هذه الخيانة ، ثم تملكها الغضب فجأة وقالت :

- ولكن هذا صحيح . نعم . طبعاً . . . وما اغبانى ! لم يخطر هذا ببالى . ان هذا صحيح يا كارلا ، وميشيل على حق . سيكون هو اول من يتنكر لنا ويتظاهر بأنه لا يعرفنا بعد ان يحصل على نفودنا . لا داعى للاحتجاج ، فالذنب ليس ذنبك ، فان كل الرجال سواء ، وانى اقسم على هذا . اذا اتفق ومر بى وبرفته احدى صديقاته الجميلات الظريقات الانيقسات فسوف يدير راسه الى الناحية الأخرى بمجرد ان يرانى . ولكن طبعاً يا صديقى ، هذا ما سوف يحدث ، واننى لوائية من ذلك .

ولزمت الصمت لحظة ثم اردفت تقول فى لهجة الضحية التى تخلى عنها كل نصير : افلم يغدر بالمسيح أعز أصدقائه ؟
لقى ليو سيجارة وقد راعته هذه الموجة من الاتهامات ، وقال مخاطباً ميشيل :

- انت صبى ولهذا لا اقيم وزناً لما قلت . ولكن ان تظنى انت يا سيدتى ان مجرد بيع بيت سبب كاف لكى ادير ظهري الى اعز أصدقائى فهذا ما لم اكن انتظره منك . . لم اكن أتوقع هذا منك أبداً .

وبعد ان فرغ من قوله هذا اخذ سيجارة . اما ميشيل فكان مسروراً وراح يقول فى نفسه : يا له من منافق ! اوه . . كم اود ان أهينه ، وان اتسبب فى وقوع شجار بينى وبين أمى » . ولكنه لم يلبث ان أدرك انه اضاع فى هذه الليلة فرصاً عديدة مناسبة ، خصوصاً عندما رفض ليو ان يمنحهم المهلة . . . وقال وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف عاقدا ساقيه :

- لم تكن تتوقع هذا ؟ .. اهذا صحيح ؟ .. يا لك من وغد ! تحول الجميع اليه . . الام مشدوهة ، اما الرجل فقد سحب سيجارة من بين شفثيه فى بطء وقال : ماذا قلت ؟

قال ميشيل وهو يتشبث بيديه بمسندى مقعده دون ان يجد فى عدم اكترائه الأسباب التى دفعتة الى اهانة الرجل :
- أعنى . . أعنى ان ليو قد دمرنا ويتظاهر الآن بأنه صديقنا ، فى حين انه غير ذلك .

وساد صمت كله استهجان . وقال ليو اخيراً وهو يرمى الشاب

بنظرة جامدة : اسمع يا ميشيل . انك تريد ان تثير شجارا ، وقد أدركت ذلك منذ بادىء الامر . اننى آسف . ولكننى احب ان اقول لك الآن فورا انه ليست هناك اية جدوى . لو انك كنت رجلا لعرفت كيف ارد عليك ، ولكنك لست سوى طفل طائش ، وافضل شيء الآن هو ان تأوى الى فراشك وتنام .

وأمسك وأخذ سيجارة مرة اخرى ثم قال فجأة : وتقول لى هذا فى نفس اللحظة التى كنت أنوى ان اعرض عليكم فيها الاقتراحات المناسبة .

وساد صمت آخر قطعه الأم قائلة : ان ميروميسى على حق ، ولست افهمك يا ميشيل . انه لم يدمرنا .. لقد كان صديقنا دائما ، فلماذا تهينه بهذه الطريقة ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يتميز غضبا من نفسه ومن الآخرين : انك تساندينه الآن . لو تعرفين مدى احتقارى لأعمالكم « وأثارته دهشة أمه واندعاش اخته ومكر ليو ... بدا له ان كل ذلك أمرا سخيفا ومرغوبا فيه أيضا ... نعم ... مرغوبا فيه لأن كل ذلك يثبت أنهم ينتمون هم الثلاثة الى حقائق هذه الدنيا ، وانهم يعتبرون كلمة « وغد » اهانة ، فى حين ان الكلمات والحركات والمشاعر لم تكن بالنسبة له هو الا مجرد مجموعة من الأوهام .

ولكنه ، مع ذلك ، لم يشأ ان يتوقف فى منتصف هذا الطريق الجميل ، ونطق يقول فى غير اقتناع :
- اننى انما قلت غير الحقيقة .

رفع ليو كتفيه فى غضب ، ونفض رماذ سيجارته ثم راح يقول :
يسرنى ... يسرنى جدا ان ...

وكانت مارى جريس قد همت بمساندة عشيقها بأن تقول : ولكنك مخطيء تماما يا ميشيل ، عندما فتح باب الصالون واطلت منه رأس شقراء قالت صاحبته : هل يمكن ان ادخل ؟

تحول الجميع اليها وصاحت مارى جريس : أوه ، ليزا ...
يلبعا ، ادخلى .

وانفتح الباب تماما ودخلت ليزا ، كان يكسو جسدها البدين معطفا أزرقا يتدلى حتى قدميها الصغيرتين ، وتضع على رأسها قبعة ستديرة زرقاء وفضية بدت رأسها تحتها أصفر مما هى فوق كتفين فويين زادهما القماش السميك ضخامة . كان المعطف فضفاضا ،

ومع ذلك فقد انتفخ بصدره وخاصرتين كاشفا عما فيهم من فتنة وسحر .
وعلى العكس من ذلك فقد كانت اطراف هذا الجسد الجميل تثير
الدهشة بصفرها وضآلتها ، اذ كان المعطف يكشف عن ساقين
رفيعتين جدا .

وقالت ليزا وهي تقترب منهم : الا ازعجكم ؟ .. اننى اعرف ان
الوقت متأخر ، ولكننى تناولت عشاءى على كثر من هنا ، ولم
استطع مقاومة الاغراء لزيارتكم وانا امر بالبيت .
قالت الام : ما هذا الذى تقولين ؟

ونفضت ومضت للقائها : الا تخلعين معطفك ؟
- كلا . سأبقى دقيقة ثنى انصرف .. ولكننى سأفتحه قليلا
لكيلا اشعر بالحر .

وفكت الحزام فكشفت عن ثوب من الحرير الاسود ، لامع ،
تزيينه زهور زرقاء ، كبيرة ، ثم حيت الجميع قائلة :
- مساء الخير يا كارلا .. آه ، ميروميس ... محال ان لا تكون
فى هذا البيت ... وانت يا ميشيل ، كيف حالك ؟

وجلست فوق الأريكة ، بجوار مارى جريس ، وقالت هذه
الاحمرة وهى تتحسس ثوب ليزا : ان ثوبك جميل جدا ... بماذا
تأتينا من اخبار ؟

- لا بشيء ... ولكن مالى اراكم واجمين هكذا ؟ .. اننى واثقة
اننى قطعت عليكم شجارا .

اجاب ليو وهو يرمى ليزا بنظرة ساخرة من خلال دخان سيجارة :
ابدا .

وقالت الام : كنا نتحدث عن امور كثيرة .

وناولت صديقتها علبة من السجائر وهى تقول : هل تدخين ؟
وتدخل ميشيل عندئذ فقال فى غير مناسبة وهو ينظر الى ليزا
نظرة كلها تأمل : هذه هى عين الحقيقة ... اننا كنا نتخاصم ، وقد
قطعت انت حبل الخصام .

ضحكت ليزا ضحكة مفتصة كلها خبث وقالت دون ان تتحرك :
نوه ... سوف انصرف اذن ، فلست اريد ان اعكر اجتماعا عائليا .
احتجت الام قائلة : وهل هذا كلام ؟ .. انك غبى يا ميشيل .
- غبى ؟ ... انا ؟ ...

وفكر : نعم ، طبعا غبى .. غبى اذ اريد ان احفل بما يفعلون

بكل طريقة . وطفى عليه شعور بالتفاهة والملل . والذى نظره عدائية حوله فى الغرفة . بدا له ان ليو ينظر اليه مستهزئا ، فقد كانت ترتسم على شفتيه المكتنزتين ابتسامه خفيفة تنطق بالاهانة ما كان ليتفاضى عنها رجل قوى عادى . ولكن ميشيل لم يكن يبالى بأى شئ ، ولم يكن يشعر بشئ الا بشعور محط لشانه الى جانب شفقة مزرية ، ومع ذلك فقد رأى ان يمضى ضد طبيعته وان يقاومه ولهذا تحول اليه وقال فى برود :

— ليس هناك ما يضحك .

بدا ليو يقول وهو يتظاهر بالدهشة الشديدة : أنا ... اقسم ... ولكن ميشيل قاطعه قائلاً وهو يبذل جهداً كبيراً : اسمع ... كانت هذه هى الطريقة المثلى للمشاحنة ، فقد تذكر انه شاهد مشاجرة فى احدى عربات الترام ، بين رجلين بدينين يبدو على كل منهما ان له شأنه . وبعد ان استشهد كل منهما بالأشخاص الحاضرين راح يتكلم عن نفسه وعن مركزه ومهنته ، وعن الجراح التى أصيب بها فى الحرب ، وعلى العموم كل الحجج التى من شأنها ان تحرك شعور الجمهور ، وانتهى بأن غطى صوته على صوت غريمه وبأن يصرخ بحيث بلغ درجة معينة من الغضب الحقيقى ، وما عليه هو الآن الا ان يحذو حذوه .

— اسمع .. لا اظن اننى لن أجروء على ان أكرر امام ليزا ما قلت لك منذ لحظة ... حسناً ؟ .. لك ما تريد اذن .. اننى كرر واقول لك انك وغد .

نظر الجميع اليه ، وصاحت مارى جريس ساخطة : ولكن ماذا دهاك ؟

ونظرت ليزا الى ميشيل فى فضول وقالت تسأل : ماذا حدث ؟ اما ليو فلم يتحرك . بدا ان الاهانة لم يكن لها أى تأثير عليه ، واكتفى بأن قهقهه فى حدة وازدراء وقال :

— آه ... هذا جميل . لم يعد لنا الآن الحق فى الابتسام . ولكنه لم يلبث ان اعتدل فى مقعده وهوى بقبضته على المائدة وصاح يقول : لقد طال المزاح ، وهذا يكفى . اما ان يعتذر ميشيل واما ان انصرف .

أدرك الجميع ان الأمر قد أصبح جدياً ، وان قهقهة ليو لم تكن الا البرق الخاطف الذى يسبق الرعد . وقالت الام :

— ان ميروميس على حق .
كان وجهها صارما وصوتها حاسما ، واحست . بسخط شديد
نحو ابنها لانها خشيت ان ينتهز عشيقها هذه الفرصة ويقطع
ما بينهما من صلة :

— ان سبولك تسائن . واني امرك بان تعتذر .
وقالت ليزا برغبتها الواضحة في تعقيد الامور : ولكنني لا افهم
لماذا تقول ان ميروميس وغد .

اما كارلا فكانت هي الوحيدة التي لظمت الصمت وهي تشعر
بالتقزز . احست في نهاية ذلك اليوم بان الموجة الطاغية للأحداث
الحقيرة نكتسح صدرها . واطبقت عينيها وراحت تراقب ، بين
اهدابها الوجوه الحمقاء الثائرة للأربعة الآخرين .
وقال ميشيل دون ان يتحرك :

— اوه .. اوه .. انت تأمريني ؟ .. واذا رفضت ؟
اجابت ماري جريس في وقار أشبه بوقار ملكة على خشبة
المسرح : اذا رفضت فانك ستسبب حزنا شديدا لامك .

نظر اليها لحظة قبل ان يرد . كان يحدث نفسه فيقول : ان ليو
عشييقها على كل حال ، ولن تتردد لحظة في ان تقوم بدورها كام ،
ولكن عبارتها هذه « ستسبب حزنا شديدا لامك » عبارة كريهة
مقززة « فحول عينيه عنها ونسى فجأة كل قراراته الجميلة للمقاومة
الحازمة . ولماذا لا اعتذر وأوفر عليها هذا الحزن الشديد ؟ ..
وبدا يقول :

— هل تحسبين انني لست قادرا على الاعتذار لليو ؟ .. لو تعرفين
الى اى حد لم أعد ابالي ؟

قاطعته ماري جريس تقول : جميل منك ان تقول هذا .
استطرد ميشيل يقول في حماس : تماما يا أماه .. لا تخشى
شيئا .. سأعتذر لليو .. هل ينبغي ان اقبل قدميه ؟
وكانت ليزا قد تابعت كل ما تقدم في اهتمام كبير فتدخلت عندئذ
قائلة : كلا ، لا تعتذر .

تحول الجميع اليها ، وقالت ماري جريس في لهجة تمثيلية :
— اننى اشكرك يا ليزا .. اننى اشكرك حقا اذ تؤلبين ابني على .
اجابتها ليزا في هدوء : اننى لا اؤلب ابنك عليك ، ولكن يبدو لي
ان الأمر لا يستحق كل هذا .

نظر ليو اليها فى استياء وقال فى لهفة قاسية : لا يروق لى ان
اعامل هكذا من فتى ، واننى اريده ان يعتذر .
قالت كارلا : اليس من الافضل ان ننسى كل هذا وان نتصالح ؟
قالت الام : كلا . ان ميروديس على حق . يجب ان يعتذر ميشيل
له .

نهض ميشيل وقال : سأعتذر له فلا تخافى ... ليو ، ارجو ان
تففر لى اساءتى لك « وامسك لحظة وقد أدهشه ان جرت هذه
الكلمات المهينة على لسانه ، واردف يقول فى صوت هادى وبدون
مبالاة « واعدك اننى لن اعود الى ذلك .

قال ليو من غير ان ينظر اليه : لا بأس ... لا بأس ...
واذ رآه ميشيل واثقا من نفسه الى هذا الحد ود لو ان يصرخ
فى وجهه ويقول : ايها الفبى ! « ايها الفبى ! » . ولكن امه قالت
فى لهجة رقيقة وهى فى منتهى الغبطة والسرور :

— ان ابنى ميشيل طيب ومطيع .
وقال ميشيل فجأة : الآن وقد اجبتكم الى ما طالبتن ، فاسمحوا
لى ان امضى لكى انام فانى مرهق .
ودار على عقبه وخرج دون ان يحيى احدا .

ولكنه ، بينما كان يجتاز البهو ، رأى شخصا يتبعه ، فالتفت واذا
به ليزا . وقالت وهى تلهث قليلا وفى عينيها نظرة غريبة :

— اننى جئت عن عمد لكى أخبرك بأننى أستطيع ان أقدمك ، اذا
اردت ، الى قريبى الذى حدثتك عنه .. انه سيجد لك وظيفة حتما
فى شركته او فى اية شركة اخرى .
قال ميشيل : اننى أشكرك كثيرا .

— ولكن يجب ان تأتى الى بيتى لكى تلتقى به .
— حسنا ... متى ؟

وكانت ليزا كلما ازداد ارتباكها كلما ازداد الشاب هدوءا ومجاملة .
— غدا .. غدا صباحا .. تعال مبكرا . سيأتى هو نحو الظهر ،
ولكن هذا لا يهمه ، فيمكننا ان نتحدث ، انا وانت .

ونظرت اليه فى صمت لحظة ثم تجرات فجأة وقالت : ولماذا
اعتذرت الى ليو ؟ .. ما كان يجب ان تفعل .
سألها : ولماذا ؟

قالت ليزا فى تردد وغموض : سيطول بنا الحديث الآن ، وقد يظن

الآخرون بنا الظنون ، ولكن تعال غدا وسوف تعرف .
- حسن جدا . الى الغد .

وشد على يدها ومضى نحو الدرج .
وعادت ليزا الى غرفة الصالون ، حيث الثلاثة الآخرون ، وكانت
مارى جريس تتحدث عن ميشيل ، وكانت تقول لعشيقتها وهى متألقة
الوجه :

- من الواضح ان الأمر كان شاقا عليه ، فانه ليس من الذين
ينحنون بسهولة . انه متكبر .
وأردفت تقول فى تحد : ان له روحا ابية ومستقيمة ، مثلى انا .
قال ليو وهو يرفع حاجبيه ليلقى نظرة طويلة على كارلا .
- اننى واثق من ذلك ، ولكنه فى هذه المرة انحنى وكان على
صواب .

وسكت ثلاثتهم فقد استهلك الموضوع ، واجتازت ليزا الصالون
فى خطوات صامتة وبدون اسراع ، وقالت :

- هل معك سيارتك يا ميريوميس ؟
هز ليو رأسه وقال : سيارتى ! .. طبعاً .
- سأصحبك اذن ، اذا لم يكن لديك أى مانع .
- بكل سرور ، ولكن لابد من الانصراف اولاً .
ونفض ، وزرر جاكته . كان غاضباً لان اموره ، من ناحية كلارا لم
تتقدم ، ولانه لابد له الآن من الانصراف .

ولكن غيرة مارى جريس العمياء العنيدة انقضت ، فمند سنوات
عدة كان ليو وليزا صديقين حميمين ، بل كانا على وشك الزواج ،
ولكن مارى جريس كانت قد غدت أرملة فتدخلت بينهما فجأة
وخطفت من صديقتها العزيزة خطيبها ، وكانت هذه حكاية قديمة
ولكنها خشيت مع زوجها ان تعاود صديقتها صلتها به ، فتحولت
اليها وقالت :

- لا تتعجلى الانصراف ، فان لدى ما أحدثك به .
قالت ليزا وهى تتظاهر بالارتباك : وددت ذلك ، ولكننى أخشى
ان لا يستطيع ميريوميس اصطحابى .
أسرع ليو يقول وهو فى منتهى السرور : اوه ، لا تقلقى . أستطيع
ان انتظركما فى البهو . خذا حريتكما كما يحلو لكما .. ستبقى كارلا
بصحبتى .

نهضت «كارلا» فى تكاسل ، وتقدمت وهى تهز رأسها وتقول لنفسها .
« انتهينا . اذا ما ذهبت معه الى البهو فسوف ينتهى كل شىء » .
ولمحت فى نظرة « ليو » شيئاً من الخبث ، وبدا لها هذا التواطؤ المسبق
بفيضا . ولكن ما الجدوى من المقاومة . واستولى عليها تلهف اليهم ،
وراحت تقول : « لابد من وضع نهاية لهذا الأمر » وأحست بأنها
تتهاوى فى استسلام مترددة كريشة فى بئر السلم ولهذا لم تبد أى
اعتراض .

ولكن « مارى جريس » اعترضت قائلة : امض ياميروميس . انك
لا تعرف كم من الوقت سنبقى . سوف نستدعى سيارة اجرة لكى
تقلها .

صوت مخادع . . صوت الغيرة القلقة . . وكان ليو مجاملا وصلبا
فى نفس الوقت ، اذ قال :

— ابدا . . سأنتظر . . دقيقة اكثر او اقل . . اؤكد لك اننى
سأنتظر طواعية .

احست الأم بأنها خسرت القضية وانها لن تفلح فى التفريق بين ليزا
وليو ، وفكرت وهى تنظر اليهما : انه يصر على انتظارها طبعاً ،
وسوف يمضيان الى بيته معا بعد ذلك . وبدت لها هذه الفكرة فظيعة
وازداد شحوبها . وومضت الغيرة ، صريحة ، فى عينيها ، وقالت
اخيراً :

— حسنا . امض وانتظريها فى البهو . سأعيدها اليك حالا . . .
لا تخف .

واتت باشارة من يدها ، متوعدة ، وارتجفت على شففتيها
الحمراوين ضحكة مريرة ، ونظر ليو اليها ملياً ثم هز كتفيه من
غير ان ينطق وخرج . وتبعته كارلا .

وفى البهو ، ومن غير ان يبدو عليه انه يدري بما يفعل ظوق خصرها
بذراعه . وأدركت هى ذلك ولكنها قاومت فكرة الاغراء بالتححرر
وحدثت نفسها تقول : « هذه هى النهاية . . نهاية حياتى القديمة »
وعكست المرايا التى تلمع فى الظل صورة شخصين متعاقبين ، وقالت
فى صوت مسموع :

— أرايت ؟ . . ان امى تفارق ليزا .

لم ينطق ولكنه جذبها اليه بذراعه . ودخلا البهو وهما متلاصقان
بهذه الصورة . وأردفت تقول وهى تحس بتفاهة مهينة :

— ومن يدري ؟ .. لعلها على حق فى غيرتها هذه .
توقف الرجل هذه المرة ، ومن غير أن يطلقها من يده حول وجهها
اليه وقال وهو يتسم ابتسامة حمقاء مثيرة :

— هل تعرفين من يجب أن تغادر على العكس ؟ .. مك انت ! ..
نعم .. منك انت يا صغيرتى .

فكرت : « ها نحن قد وصلنا » . وقالت فى وضوح : منى
أنا ؟ .. عجباً ! ولماذا ؟

وتلاقت عيناها ، وقال ليو فى لهجة أبوية تقريبا : هل ستأتين
الى بيتى ؟

ورأى كارلا تطرق براسها دون أن تنطق بلا او نعم . وفكر .
« لقد اقبلت اللحظة الحاسمة » وجذبها اليه وهم بأن ينحنى لكى
يقبلها عندما ارتفع صوت حديث فى الممر عرف منه أن ميرى جريس
مقبلة . وكاد أن يختنق من الغضب ، فقد كانت هذه هى المرة الثانية
التي تأتى فيها عشيقته فى هذا اليوم لتفسد كل شئ فى اللحظة
الملائمة . وفكر « فلتذهب الى الجحيم » وأبطأت مارى جريس وليزا
فى الظهور ولكن صوتهما كان مسموعا فى الممر . واستبد القلق بكارلا
فأنت بحركة لكى تتخلص من ليو وهى تقول :

— دعنى .. ان أمى قادمة .

نظر ليو الى الباب فى غضب ، وردد البصر حوله دون أن يستقر
منه العزم على اطلاق هذا الخصر اللدن . وفجأة وقعت عيناه على
ستارة على يمين البهو تخفى بابا فمد ذراعه وأطفأ النور وتمتم يقول
فى الظلام وهو يحاول أن يجر كارلا الى ذلك المخبأ .

— تعالى .. تعالى هنا .. سندبر مقلبا لامك .
وقاومته من غير أن تفهم ، ومضت عيناها فى الظلام ، وقالت :
لماذا ؟ .. ولكن لماذا ؟ ..

ومع ذلك ، فقد انتهى بها الامر الى الاستسلام ، واختفيا خلف
الستارة : لصق الباب . وأمسكها ليو من خصرها من جديد وتمتم :
« سوف ترين » ولكن كارلا لم تر شيئا ، بل وقفت معتدلة ، متوترة .
وأطبقت عينيها فى ذلك الليل الذى يطفو فيه ظل من الفبار ،
وتركت يد ليو تتحسس عنقها ووجنتيها وهو يقول : « سوف ترين » .
واهتزت الستارة من أسفل الى أعلى ، واقتربت الاصوات

فاعتدل ليو وقال فى الظلام « ها هى » ثم ضم كارلا اليه فى قوة حميمة وودية وفى ثقة كان قد افتقدها حتى هذه اللحظة .

وفتح الباب الزجاجى . وازاحت كارلا الستارة قليلا ونظرت من خلالها . رأت فى اطار الباب المضيء أمها وعلى وجهها امارات الدهشة وسمعتها تقول : ولكنهما ليسا هنا .

وأجابها صوت ليزا ، من الممر يقول : واين ذهبا ؟

سؤال بقى بلا جواب . ومدت الأم رأسها ، كما لو لتفحص البهو . كان الظل يحفه قسماتها ويجعل من وجهها الرخو المصبوغ قناعا مذهولا فى تعبير التيه المثير للعواطف . كانت غضونها وفمها المفتوح وعيناها وكل وجهها ، كان كل ذلك يبدو كأنه يصرخ ويقول : ليو ليس هنا ... انه انصرف .. هجرنى » . ونظرت كارلا اليها فى فضول ورثاء ، وضمنت الخوف الذى يرتجف خلف هذا القناع ، وخامرها احساس بأنها ترى مسبقا وجهها للأيام المقبلة ... وجه أمها عندما تعلم بخيانة عشيقها وابنتها ، واستمر هذا المشهد لحظة ثم اختفت الرأس .

وقال الصوت : لعلهما فى الصالون الصغير .

وابتعدت المراتان ، وقال ليو : هل رأيت ؟

وانحنى ، وضم كارلا الى صدره من جديد . ومرة أخرى قالت : « هذه هى النهاية » وبسطت له فمها ، وراق لها هذا الظلام الذى يمنعها من رؤية الرجل ويترك لها كل أوهامها . وافترقا أخيرا ، وقالت وهى تزيع الستار :

— فلنخرج يا ليو .. لنخرج .. والا انكشف امرنا .

واضطر الى الرضوخ على كره منه ، وخرجا من مخبئهما ، كل منهما وراء الآخر ، كما لو كانا لصين . وسطع النور .

وسأله كارلا : هل تشوش شعرى ؟ .. واذهز رأسه نفيا أردفت تقول : والآن ماذا سنقول الأمى ؟

اضاءت وجه الرجل الأحمر الهائج نظرة خبيثة ، وربت بيده على كتفها وهو يضحك ثم قال : هذا مقلب جميل وأيم الحق . ولكن هذا صحيح .. ماذا سنقول لها .. سنقول أننا كنا هنا طبعاً ، واننا لم نتحرك لحظة واحدة .

قالت كارلا بلهجة الشك وهى تعقد يديها فوق بطنها : كلا ... حقا ؟

— طبعاً .. آه .. ها هما .

وانفتح الباب وظهرت الأم وصاحت تقول وهى تتحول الى ليزا :
ولكنهما هنا .. اننا بحثنا عنكما فى كل مكان ... اين كنتما ؟
أتى ليو بحركة تدل على الدهشة وقال : اننا لم نتحرك من هنا .
نظرت مارى جريس اليه كالمجنونة وقالت : ما هذا السخف !
اننى اتيت منذ لحظة ، ولم يكن بالبهو احد ، ثم انه كان مظلماً .
قال الرجل فى برود وهو يتناول معطفه : انك واهمة بلا ريب .
اننا لم نخرج من البهو ، اليس كذلك يا كارلا ؟
اجابت هذه الأخيرة بعد لحظة تردد : هذا صحيح .

وساد صمت كله وعيد . احست الأم بأن الجميع يهزأون بها ،
ولكنها لم تستطع ان تفهم لماذا . ودارت براسها الشكوك وراحت
تنظر الى وجوه الآخرين الثلاثة فاحصة وهى لا تدرى ماذا تفعل .
وأخيراً قالت :

— انك مجنون . لم يكن بالبهو اى احد منذ خمس دقائق ، وليزا
تشهد على ذلك .

وقالت ليزا فى هدوء : الواقع انه لم يكن هناك احد .
وساد صمت جديد . وقال ليو وهو يغمز بعينه غمزة لها
معناها : وكارلا تشهد بأننا كنا هنا . هذه هى الحقيقة ، اليس كذلك
يا كارلا ؟

اجابت فى ارتباك : نعم .

قالت مارى جريس فى خشونة : كما تشاءان ... انا مجنونة ،
وليزا كذلك .

وما ان استردت نفسها حتى تحولت الى ابنتها وقالت : اذا شاء
ليو ان يقوم بمثل هذه الدعابات فهذا شأنه . ولكن انت ؟ .. يجب ان
تخجل من نفسك اذ تهزئين بأمر هكذا ... اهذا هو الاحترام
الذى يجب ان تكنيه لأمك ؟

احتجت كارلا قائلة : ولكنها الحقيقة يا أمى .

وآلمتها الدعابة ، واحست انها شوكة انغرزت فى كيائها ، وددت
لو ان تصرخ فى قسوة : نعم ، اننا كنا فى البهو ، وكنا مختبئين
خلف الستار ، متعانقين . وتصورت الشجار الذى سيقع عندئذ ،
ولكنه ، على الأقل سيكون الآخر .

وقالت ليزا عندئذ في ملل : حسنا يا ميروميس . هل ننصرف ؟
وكان الرجل قد تاهب للانصراف فبسط يده لمارى جريس وهو
لا يملك الا ان يقول مبتسما : فكرى فى هذا الامر ... فكرى فيه
طوال الليل .

ولكن الام هزت كتفها وقالت : اننى انما انام طوال الليل .
ثم عانقت ليزا وهمست فى اذنها قائلة : تذكرى ما قلت لك .
وفتحت كارلا الباب ، وهبت فى البيت نسمة من الهواء البارد .
وخرج ليو وليزا وابتلعهما الليل .

الفصل الرابع

صعدت الام والابنة معا الى الطريق العلوى . ولم تفتح مارى جريس فمها فى السلم ، فقد ساءتها المزحة التى تعرضت لها . ولكنها سألت ابنتها وهما فى الطريقة عما تنوى ان تفعل فى اليوم التالى فأجابها كارلا :

– اننى سأذهب لكى لعب التنس .

ثم مضت كل منهما الى غرفتها من غير ان تتبادلا العناق . وكان المصباح مضاء فى غرفة كارلا ، فقد نسيت ان تطفئه . وفى النور الابيض بدا كأن قطع الاثاث والتحف تنتظر عودتها ، وما أن دخلت حتى وقفت فى حركة آلية امام المرآة . لم يكن فى وجهها اى شىء غير عادى فيما عدا عينيها المتعبتين والمتألفتين بصورة غريبة . كانت هناك هالة زرقاء سوداء تحيط بهما . وأقلقها بصرهما كما لو كانتا عينا شخص آخر ينظر اليها . وبقيت لحظة دون حراك ، وقد اعتمدت يديها على المرآة ثم اطلقتها ومضت فجلست فوق فراشها ونظرت حولها . كانت الغرفة تبدو كما لو كانت غرفة طفلة فى الثالثة أو الرابعة من عمرها ، فقد كانت قطع الاثاث بيضاء اللون ، منخفضة وصحية . والجدران بيضاء بديكور لازوردى ، وصف من الدمى ذات الاطراف المعوجة والعيون المضطربة مصفوفة فى اهمال فوق اريكة صغيرة امام النافذة . كان الاثاث هو نفس اثائها وهى طفلة ، فان أمها كانت خالية الوفاض ، ولم تستطع أبدا استبداله بغيره مما يتناسب مع سن ابنتها . ومهما يكن فى حاجتها الى غرفة جديدة ؟ .. انها ستتزوج وستفادر البيت . وهكذا كبرت كارلا وترعرعت فى النطاق الضيق لأبعد سنوات عمرها ، ومع ذلك فان الغرفة لم تعد كما كانت ، صبانية جرداء ، فان كل سنة من سننها تركت فيها أثرها من تحف وثياب بحيث ازدحمت بما يناسب وما لا يناسب ، فانك ترى فيها خصوصيات المرأة ، فطاولة الزينة مثلا مشحونة بالعطور والمساحيق والمراهم والأصباغ الى جانب

ربطتى الساق المعلقتين بجوار المرأة ، كما ترى فيها خصوصيات فتاة صغيرة تتمثل فى فوضى خفيفة قوامها ثياب ملقاة فوق المقاعد وقوارير مفتوحة وأحذية مبعثرة .

راحت كارلا تنظر الى هذه الاشياء فى ذهول هادىء دون ان يخطر بذهنها أى خاطر . كانت جالسة فوق فراشها ، فى غرفتها ، والمصباح مضاء ، وكل شىء مكانه كما هو فى كل ليلة . . وهذا كل شىء . وبدأت تنضو عنها ثيابها فخلعت حذاءيها وثوبها وجوربها فى حركات عادية لم تكن لتمنعها من أن تردد البصر حولها ، فتارة تنظر الى رأس مشعثة لدمية . ومرة الى المشجب المشحون بالثياب ، وأخرى الى طاولة الزينة ثم الى المصباح . . . وهذا النور الذى لا يشبه أى نور آخر . . هذا النور الهادىء المألوف ، كان يبدو كأنه جزء لا يتجزأ من أثاث الغرفة ، وكان يوصى ، بسبب النافذة المفلقة والستائر المسدلة بأحساس من الأمان المريح وبالقلق بعض الشىء . . . لم يكن هناك أى شك ممكن . . . انها فى غرفتها حقا . . . لم يكن هناك شك فى ان الليل مخيم خارج هذه الجدران ، ولكنها كانت معزولة عنه بحدود منطقة داخلية بحيث انه كان فى مقدورها أن تنساه وان تحلم بأنها وحيدة فى منجاة من العالم . وفرغت من خلع ملابسها وهزت رأسها وهى عارية تماما ، ثم نهضت ومضت الى الدولاب لكى تأخذ بيجامة جديدة . وقطعت هذه الخطوات القلائل فى رشاقة ، وعلى طرفى قدميها وفتحت درجا ولاحظت وهى تنحنى ان نهديها الكبيرين يتحركان بحركة خاصة ، تحت عينيها . واذا اعتدلت رأت نفسها تماما ، وأدهشتها الهيئة الخرقاء والمخجلة لهذا الجسد العارى وعدم تناسب رأسها الكبير مع كتفيها النحيفين . قد يكون ذلك بسبب شعرها . وأخذت امرأة يدوية ووضعتها خلف قفاها . . . نعم ، ان شعرها طويل . . . « يجب ان أذهب الى الحلاق غدا » .

ونظرت الى نفسها مرة أخرى . . آه ! . . ان ساقها معوجتان قليلا . . . ولكنه اعوجاج تحت الركبة يكاد لا يلحظ . . . والصدر ؟ منخفض أكثر مما يجب . ورفعته بيديها الاثنتين وهى تقول : « هكذا يكون أفضل » وأدارت رأسها محاولة ان ترى ظهرها ، ولكن فيما هى تحاول ان تحتضن بعينيها هذه الصورة الأخرى من نفسها لمست التناقض بين تفاهة مثل هذه الحركات وجسامة الاحداث التى

وقعت فى هذا اليوم . فمند دقائق قبلها ليو ، واذ تذكرت ذلك القت
بالمرآة وعادت الى فراشها .

جلست ، وبقيت لحظة جامدة تحقق بعينيها فى الارض . كان
ذلك بداية حياة جديدة حقا . ورفعت رأسها ، وبدا لها ان هذه
الغرفة الهادئة ، الطاهرة ، البعيدة عن الريب والظنون لا تكون مع
كل هذه العادات الصغيرة الحمقاء الا شىء واحد حى ... شخص
محدد المعالم ، تعد له دون ان تدري ، وبتكتم ، مباغته خيانة لا مثيل
لها ، وقالت فى ابتهاج مرير : لن البث ان اودع كل هذا الى
الأبد » ومن مكانها فوق الفراش ، كما لو كانت فوق سفينة توشك
على الإبحار ، حيث بيدها الأشياء التى تحيط بها ، ودار بذهنها
أوهام مجنونة وحزينة . وبدت لها بعض الظروف يربطها رباط
محتوم وقالت تحدث نفسها : « اليس غريبا اننى سأستسلم لليو
غدا ، وان غدا عيد ميلادى ؟ ... وفكرت عندئذ فى أمها فجأة
واردفت تقول : « وسوف أرحل مع رجلك يا أماه .. نعم ، مع
رجلك انت » .. راقى لها هذه المنافسة وهذه المصادفة المقرزة .
كل شىء نجس وقذر ... رغبة مبهمه فى الدمار تحل فى هذه المغامرة
محل الود والحب . وفكرت . ان اخلق موقفا فاضحا ، موقفا حرجا
جدا وان اغوص فى اعماق الغضب والخزى » ورفعت رأسها فجأة
ورأت نفسها فى مرآة الدولاب . وبدا جسدها يرتجف كله دون ان
تدري لماذا ... ودت لو أن تبكى وتصلى . خيل لها ان افكارها
قد اضاعتها ، وراحت تكرر قائلة : أين امضى ... أين امضى ...
وأين تمضى حياتى ؟

وأخيرا ، لم يعد لهذه الكلمات أى معنى ، ورات انها لم تعد تفكر
فى شىء وانها عارية وجالسة على حافة فراشها ، وان المصباح
مضاء ، وان كل شىء فى مكانه المعتاد ، وانه لم يبق من حمسها
القصر غير مرارة فارغة ، واحسنت بأنها قد بلغت تقريبا بعد جهد
كبير نقطة أساسية من مشكلة ما دامت قد غربت عن بالها بطريقة
غامضة . وفكرت قائلة : « فليقع ما يقع » ثم أخذت بيجامتها وارادتتها
فى تكاسل ، واندست تحت الغطاء وأطفأت المصباح وأطبقت
عينيها .

الفصل الخامس

لم يكن احد من الخدم يرقد فى بيت ليزا ، فلم تكن تريد ان يبقى احد منهم اثناء الليل . اما شئون المطبخ التى لا بد منها ، والتنظيف ، فكانت تعهد بها الى زوجة البواب ، وهى امرأة قصيرة القامة قوية الجسم .

وفى ذلك الصباح ، استيقظت فى وقت متأخر ، فمئذ ايام كثيرة كانت تعود بعد انتصاف الليل وتنام دون استمتاع وتصحو متعبة واكثر عصبية من الامس . وقد افاقت فى ذلك الصباح بصعوبة كبيرة وراحت تدور ببصرها حولها فى الغرفة . كانت هناك ظلمة خفيفة يتخللها الغبار وتخرقها آلاف من خيوط النور تملأ الغرفة . وفى تلك العتمة كانت العين تكاد تميز قطع الاثاث العتيقة الجامدة والميتة ، والمرايا الصامتة والثياب المعلقة والباب . كان الهواء ثقيلًا تختلط فيه رائحة النعاس برائحة النهار ، وكانت النافذة مغلقة . ووثبت ليزا من الفراش وهى ترفع شعرها الذى تهدل فوق وجهها المبتل بالعرق ، ومضت الى النافذة وفتحتها . وغمر نور النهار الغرفة ، وازاحت الستائر . كان زجاج النافذة يفسوه البخار ، وكان الجو ينبىء بالبرودة . وخلال هذا الندى كانت تظهر ألوان مبهمة بيضاء وخضراء كما لو كانت مذابة فى بحيرة من الماء . ومزقت بيدها هذا الستار السائل ، ورات على الفور جزءا من سطح احمر ادركت من منظره دون ان ترفع عينيها ان السماء ملبدة بالفيوم . وغادرت النافذة وتقدمت بضع خطوات فى الغرفة المزدحمة . كان الفراش يشغل اكبر مساحة من الغرفة ، وكان قائما بجوار النافذة بحيث انها فى ليالى الشتاء كان يروق لها ان ترى على بعد متر وهى مستلقاة تحت الغطاء الدافئ مياه المطر وهى تهطل كالسيل فى الليل العاصف وترتطم بزجاج النافذة . وكان هناك غير الفراش دولابان كبيران بمرأتين صفراوين . وكانت الغرفة متوسطة الطول ، ولكن

بذلك الفراش وبالدولابين لم يكن هناك ما يكفى من المكان لكى يتحرك المرء كما يحلو له .

ومشت الى دولاب الملابس . لم تكن ترتدى غير قميص قصير شفاف جعلته مفاتن جسدها يبدو اقصر مما هو . كانت ساقاها مكشوفتين تماما حتى الثنية العميقة التى تفصل فخذيهما البيضاوين عن استدارة ردفها . وبدا جسدها غضا بضا كما لو كان جسد فتاة فى العشرين من عمرها . ورات نفسها على هذه الصورة فى المرآة ، نصف عارية فارتدت قميص الحمام ومضت الى دورة المياه .

وعادت بعد ان اغتسلت وجففت نفسها فجلست امام طاولة الزينة . وكانت زينتها وجيزة . كانت لا تستخدم الاصباغ ولا المراهم ... فاكتفت بتمشيط شعرها وبقليل من العطر والمسحوق ثم ادارت رأسها للمرآة وانحنت لكى تلبس جوربيها ، ولم يكن يدور برأسها عندئذ غير خاطرين اثنين ، أولهما فطورها وثانيهما ميشيل . وكانت تحب الطعام الشهى مع القهوة فى الصباح : المربى الحلوة والفطائر والزبد والكعك . وكانت نهمة لا تغادر المائدة الا بعد ان تشبع ، ولكنها اليوم بالدات خشيت ان تبقى من غير طعام . « فقد يبكر ميشيل فى الحضور ومن الافضل الا يأتى وأنا اتناول الطعام . حسنا ، سوف أعوض ذلك مرة أخرى » . ونهضت وارتدت قميصا وردى اللون ومن فوقه جاكيت ضيق وجونلة شدت صدرها كما لو كانت مشدا ، فقد شاء لها خيالها ان تتوهم فى ميشيل عاشقا شديد الوجد ، وشابا خجولا لا تجارب له ، تبذل له نفسها وهى ترتجف غبطة وفرحا ... حب طاهر اخيرا ... وفكرت تقول فى اقتناع : « ان فى هذا الحب خيرا كبيرا بعد الحياة التى قضيتها حتى الآن » ... ليال بلا رقاد وملذات مرهقة مجردة من المتعة الحقيقية ... سوف تنقشع هذه السحابة غير السليمة . سيأتيها ميشيل بالشمس وبالسماء الزرقاء والنضارة والحمية . سيحترمها وسيعاملها كما لو كانت معبودا وبضع رأسه على ركبتيها . كانت تشعر برغبة عارمة فى ان يفعل ذلك وفى ان تنهل من شبابيه المتدفق وأن تعود الى هذا الحب الجديد المتلجلج المحتشم الذى نسيته منذ عشرين سنة . سيكون ميشيل النقاء ذاته . ستبذل نفسها لهذا الفتى دون شبق او احتدام ، ستمضى للقاءه وهى تكاد ترقص فرحا

وستقول له « انا لك » وسيكون هذا حبا مدهشا ... حبا لم يعد احد يرى مثيلا له هذه الأيام .

وكانت قد فرغت من ارتداء ثيابها فخرجت من غرفتها وعبرت ممرا ضيقا مظلما ، ودخلت مخدعها الذي يسطع بالنور ، وهو عبارة عن غرفة بينساء ووردية فالاثاث ابيض والسقف كذلك . اما السجادة والمفروشات والاريكة فكانت كلها وردية اللون ، ينساب نور النهار اليها من ثلاث نوافذ كبيرة . وكان كل شيء يبدو للوهلة الاولى نقيسا وجديدا ، فهذه سلة للشغل ، وهذا دولاب كتب وهذه زهور فوق مناضد مزخرفة ، ولصق الجدران لوحات مرسومة بالماء . صفوة القول ، مجموعة من تفاهات تعطى للمرء صورة من مخدع فتاة ، ولكنه لا يلبث ، اذا ما أمعن النظر أن يدرك أن المخدع ليس جديدا وأنه كباقي الشقة ، فان الطلاء قد نقشه وعلاه الاصفرار والسجادة حال لونها وبلى صوفها في أكثر من موضع ، وفوق الاريكة والمساند مفارش بالية . ونظرة أخرى ويتبدد كل وهم فالستائر ممزقة واللوحات قذرة والكتب يعلوها الغبار والسقف به شقوق ، ولكي تتم الصورة نقول انه اذا ما ظهرت صاحبة البيت في هذا المخدع فان وجه المرأة وحده يفسر كل ما في المخدع من تلف وفساد .

جلست ليزا امام مكتبها وانتظرت . كانت بها رغبة شديدة في ان تتناول فطورها ولكن ما العمل ؟ وحدثت نفسها وهي تنظر الى ساعتها على مضض : « لو اعرف فقط في اية ساعة سيأتي » . ولكنها استطاعت مع ذلك أن تسيطر على نفسها ، واقصت هذه الرغبة عنها

وقطع عليها حبل تأملاتها صوت رنين الجرس فتسارعت دقات قلبها وابتسمت . والقت نظرة الى المرأة وخرجت الى البهو . واضاءت النور قبل أن تفتح . ودخل ميشيل . وقال وهو يعلق معطفه وقبعته : اظن اننى بكرت في الحضور .

أسرعت تقول : ابدا . ومضت الى المخدع ، وجلسا فوق الاريكة وسألته : كيف حالك ؟ وعرضت عليه سيجارة رفضها . وجلس ويداه فوق ركبتيه وقد بدا عليه القلق ، وقالت ليزا بعد صمت قصير : اذا سمحت فسوف أستلقى .

ورفعت ساقها وتمددت فوق الوسائد . ولمح ميشيل فخذهين

بيضاوين فابتسم وقال يحدث نفسه « انها تحاول اثارتنى بكل تأكيد » ولكنه بقى على هدوئه وبروده ، فان ليزا لم تكن تروق له على الاطلاق .

ونظرت الى الشاب وهى تتساءل ماذا تقول له ، واستولى عليها الارتباك . كانت راسها فارغة وقلبها فى صخب . وكان اول شىء عاد الى ذهنها ذلك الشجار الذى وقع بالامس بين ليو وميشيل . وترددت فى ان تطرق هذا الموضوع ولكن خطر لها انها قد تستطيع الانتقام من عشيقها القديم اذا هى كشفت لميشيل عن علاقة ليو بأمرها وهى تقول لنفسها انه ربما لا يعلم بها ، وبأنها قد تصل بذلك الى أغراضها المثيرة فقالت :

— أراهن انك متلهف لكى تعرف لماذا طلبت منك بالامس ان لا تعتذر ليو .

تحول اليها وهم بأن يقول : بل انت الذى تتلهفين لكى تقولى لى ذلك ، ولكنه قاوم نفسه وقال : هذا صحيح .

— اظن انه من حقى دون أى شخص آخر أن أفتح عينيك ؟

— لا شك عندى فى ذلك .

— اننى لم اقل شيئا منذ وقت طويل ، وانظاهر بأننى لا ارى شيئا . ولكن الكيل طفع ، وما رأيته أمس احنقنى جدا .

قال ميشيل : وهل أستطيع ان أعرف ما الذى احنقك ؟

— اعتذارك ليو ، خاصة وان أمك هى بالذات التى عرضتك لمثل هذه المهانة .

ارتسمت امارات السخرية على وجه الشاب وفكر : آه ... انها تريد أن تسوق لى ذلك النبأ الكبير وهو أن الأمى عشيقا .

واحس بالتقزز من ليزا ومن نفسه وقال : ربما لم يكن فى ذلك اية مهانة .

— كان أمرا مهينا على كل حال ... ومهينا جدا . وستفهم عندما تسمع ما سوف أقول لك .

— لحظة واحدة . لا أدري ما سوف تقولين ، ولكن اذا كان الأمر يبدو خطيرا فاننى أريد أن أعرف أولا لماذا تقولينه لى .

وتبادلا النظر ، وعادت ليزا تقول وهى تخفض عينيها : لماذا ؟ ..

ولكن لأننى أهتم بك كثيرا ، ولأننى أحبك كثيرا ، ولأن هناك ، كما سبق ان قلت لك أمورا كثيرة تثير حنقى .

ولم يكن يجهل العلاقة التي كانت تربط بين ليو وبين هذه المرأة وفكر « أن الذي يحنقك هو أن ليو قد طار من بين يديك » ولكنه هز رأسه في جد وقال :

ـ أنت على حق ... ما الذي أثار حنقك الى هذا الحد ؟
ـ لقد اقدمت أمك على حماقة كبيرة ، فقد تعرفت بميروميس منذ عشر سنوات و ...

قاطعها في زعر زائف قائلا : لعلك لا تريدين أن تقولي لى أن ليو عشيق أمى ؟

اجابت ليزا في بساطة مؤلمة : اننى آسفة ، ولكن هذه هى الحقيقة ، ولعلك تفهم الآن حفيظتى عندما رايت أمك تحملك على التذلل امام هذا الرجل .

لم يأت بحركة ولم ينطق بكلمة . رأى بعين الخيال ليو وأمه ، ورأى نفسه بالذات كطفل خجول مرتبك يعتذر ويطلب العفو . ولكن هذه الذكرى لم تقلقه ولم تثر في نفسه أى احساس ، وود لو أن يكون الامر غير ذلك وأن يشعر بالسخط والحقد والغضب . وآلمه جدا وحز في نفسه عدم اكترائه الى هذا الحد .

ورأى ليزا تعتدل وتجلس الى جواره . والقت يدها على رأسه فى حركة خرقاء مواسية وقالت : تشجع . اننى ادرك أن هذه المحنة تثير شجنتك . أن الواحد منا يعيش على ثقة من الآخرين وعلى احترامهم وتقديرهم ، ولكن لا يلبث أن ينهار كل شئ حوله ... ولكن لا تهتم ، فإن فى هذا درسا لك .

هز رأسه وهو يجز على شفتيه لكى لا يضحك . وحسبت ليزا ، على العكس ، بأنه يحاول التغلب على حزنه ، وقالت فى لهجة رثاء معسولة دون أن تكف عن مداعبة شعره :

ـ رب ضارة نافعة . أن كل هذا يقرب ما بيننا . هل تريد أن اكون لك كما كانت عليه أمك حتى اليوم ... هل تريد أن اكون صديقة لك ؟

كانت مخلصه فى قولها هذا ، ولكنها تكلمت فى لهجة حادة زائفة بحيث أن ميشيل ود لو أن يطبق فمها بيده ، غير أنه لم يفعل . رأى نفسه جالسا بجوار المرأة ، على حافة الأريكة ... كان منظرا مضحكا يثير السخرية الى حد أنه لم يجد أمامه غير وسيلة واحدة

لكى لا يضحك ، وهى الجمود التام . وازدادت ليزا حماسا وراحت تقول :

- سوف تأتى لزيارتى من وقت لآخر .. وسوف نتبادل اطراف الحديث .. وسنحاول ان نعيد بناء حياتنا وان ننظمها .

نظر اليها من طرف عينه . كانت منحنية الى الامام وقد اصطبغ وجهها بالرغبة وفكر : « هذه اذن هى بداية البناء والتنظيم » . ثم تذكر ذلك القريب الذى يجب ان يأتى . لماذا لا يستفيد من هذه المفامرة ؟ .. ولماذا لا يظل على تصنعه وتظاهره ؟ .. وقال وهو يرفع راسه كما لو كان قد افلح من التغلب على حزنه :

- كانت ضربة قاسية ، ولكنك على حق .. يجب ان ابدا حياة جديدة .

أسرعت ليزا تقول فى حماس : طبعاً .
خيم بعد ذلك صمت عميق . كان كل منهما يتصنع لاغراض مختلفة ، ويتكلف الحديث . وجلسا ، متجاورين ، وأطرقا براسيهما الى الارض .

وأخيراً ، دس ميشيل ذراعه خلف ظهر المرأة وطوق خصرها فقالت « كلا » فى صوت واضح دون ان تأتى بحركة الجمود واحدة كما لو كانت ترد على سؤال داخلى . وابتسم ميشيل على كره منه ، فقد احس بشيء من الارتباك على الرغم من ذلك ، وجذب ليزا اليه وهو يزيد من ضغطه عليها . وعادت تقول : « لا .. لا ... »
ولكن فى صوت ضعيف ثم استسلمت والقت المضطربة على كتف الشاب ، وبعد لحظة من الجمود العاطفى امسك بذقنها . وعلى الرغم من احتجاج عينيها الصامت قبلها فى فمها . وابتسمت ليزا ابتسامة راضية وقالت : يا شقى ... نعم .. انت شقى ، وجرىء .

نهض ميشيل وهو يتغلب على مشاعره ، وراح يسير فى المخذع ويداه فى جيبيه ، ووقف امام اللوحات المرسومة بالماء ، واخذ يتأملها وهو فى شدة الاستياء ، وفجأة سمع صوت ليزا من خلفه تقول :

- هل تروق لك ؟

- انها أسوأ ما رأيت فى حياتى .

قالت مغمومة : حقاً ... انها تروق لى .

وعادا الى الاريكة . كانت رأس الشاب تدور . واضطربت

وجنتاه ، وفكر فى تقزز : كل هذا بغيض ، ومع ذلك فما كادا يجلسان حتىلقى بليزا فوق الوسائد كما لو كان يريد امتلاكها . وراها تطبق عينيها وتستسلم لنوع من النشوة بصورة مضحكة ومقززة . وكان الانطباع من القوة بحيث تلاشت رغبته فقبل فم المرأة فى برود ثملقى بوجهه فوق صدرها وهو يتنهد فى صوت مكتوم وفكر : « سابقى هكذا حتى لحظة الانصراف ، وبهذه الطريقة لا اراها ولا اقبلها » .

واحس بيدها تداعب شعره وسمع صوتها الزائف يقول : ماذا دهالك ؟

اجاب فى جد وهو مغمض عينية : اظن انه يكفى ان نبذل جهدا بسيطا لكى نكون صريحين ولان نعرف ان كلا منا يكره نفسه لكى يتبع طريقا مختلفا .

وتنهد وقد خيل له انه وصف نفسه وفكر : « لماذا انا هنا ؟ ولماذا الكذب ؟ .. ليس اسهل من ان اذكر الحقيقة وان انصرف .

قالت المرأة دون ان تكف عن مداعبة شعره : هو ذلك ... هذا صحيح . ولكن دعك الآن من افكارك المحزنة ... انك لم تعد بحاجة الى الآخرين ، فانا هنا الآن ، وقد أصبحنا اثنين ، انا وانت ، وسوف نتجاهل الدنيا بأسرها ، (ونطقت بهذه الكلمات فى حماس جعل ميشيل يرتجف) سنعيش بعيدا عن الاشياء التى لا تروق ... بعيدا عن كل هذه المضايقات .. وستروى لى حياتك وآلامك واشجانك ، وسأمنحك انا كل الحب الذى لدى والذى ادخرته لك . سأكون رفيقتك ، فهل تريد ؟ .. رفيقتك الوفية المتواضعة .. رفيقة تستمع اليك فى صمت وتواسيك بمداعباتها ... هكذا .

وتوترت يداها فوق رأس ميشيل ، وانحنت فوقه وقبلت شعره وقفاه فى قوة وهى تتشبث بأصابعها المضطربة على كتفيه . وخفق قلبها وهى تقول : « أخيرا .. أخيرا .. وجدت من يحبني وأحبه » .

ولكن ميشيل لم يتحرك ، فلم يسبق له ان رأى الانفعـال والسخرية والمهزلة والحقيقة مختلطة الى هذا الحد . وتملكه ارتباك شديد ، وراح يقول لنفسه : « ليتها تسكت على الاقل » واحس برغبة جنونية فى ان يقول الحقيقة الجافة وان ينصرف ، ولكن منعه

من ذلك احساسه بالشفقة ، ثم ، ألم يسهم هو فى هذا الموقف
ويضاعف من اوهامها ؟ .. ألم يبدأ بتقبلها ؟
وعادت المرأة تقول : حبيبى .. حبيبى ، لا يمكن ان تتصور مدى
حبى لك .

وود ميشيل ان يقولها لها : « انك تبالغين » . ولكن عينيه كانتا
مملوءتين بالظلام . خيل له انه لم ير النور ابدا ، فان هذا الصوت
وهذه المداعبات اعطته انطبعا بليل لا أمل فيه . ورفع رأسه ودعك
عينيه وهو يقول :

— آن .. ان انصرف .. ولكن قريبك ؟ .. متى يأتى ؟
ولم تكن ليزا تتوقع هذا السؤال فقالت : سأمضى واتصل به
تليفونيا .

وخرجت . وبقي هو وحده . فنهض ومشى ثلاث خطوات ، ووقف
فى شرود الى احدى اللوحات . واقترب من الباب ودار به . كان
التليفون فى آخر الممر المظلم ، ولكن ليزا لم تكن هناك . كان خروجها
مختلفا . لقد كذبت لكى تحمله على المجئ الى بيتها ، وليس هناك
وجود لهذا القريب .

واغلق الباب ، وعاد يتأمل الصور من جديد وقد خامره تقزز
خفيف وأحس بضيق كذلك الذى يسبق التقيؤ . وفتح الباب بعد
لحظة ودخلت ليزا وقالت :

— اننى آسفة . انه مشغول ولا يستطيع المجئ . ولكنه وعدنى
ان يأتى غدا .. فهل تستطيع ان تأتى بعد ظهر غد ؟
اجاب ميشيل وقد ازداد ضيقا : كلا . لن آتى .
قالت المرأة فى اصرار وفى شئ من الوقاحة : ولكنه سيأتى ،
واذا اتت لم ...

وضع ميشيل يده فوق كتفها وحدق فيها قائلا : كلا .. هذا
مضحك .. انه لن يأتى .. لماذا لا تقولين الحقيقة ؟

رأها تضطرب ، وأسوا ما فى الامر انه رأها تتحاشى نظرتة
وتبتسم ابتسامة فاجرة ... ابتسامة امرأة لا يهمها انها اخذت
على غرة ، وقالت وهى لا تكف عن الابتسام :
— أبة حقيقة ؟

اجاب ميشيل فى برود : اننى نظرت الى الممر ، فلم أرك تتكلمين
فى التليفون ، ولا وجود لهذا القريب .

وساد صمت قطعته ليزا اخيرا بأن قالت فى هدوء وبساطة وهى تبسّم وتهز كتفيها : اذا كنت قد نظرت الى الممر فلماذا كل هذه الأسئلة ؟

نظر ميشيل اليها وهو يقول لنفسه : الا يمكن أن تفهم انه كان فى مقدورها أن تتصرف بطريقة أخرى ؟
واراد ان يبذل جهدا اخيرا فقال : كلا ، لا تتكلمى بهذه اللهجة ..
ان الأمر هام . لماذا قمت بهذه المهزلة ؟ .. ولماذا لم تقولى لى بكل بساطة « تعال غدا لكى نتناول العشاء معا » .

اجابت بلهجة عادية دون أى اضطراب : اعلم انه كان يجب أن اقول ذلك ، ولكنك سستأتى على كل حال ، اليس كذلك ؟ .. ثم . لا تخف . اننى لم اتكلم مع قريبى بعد ، ولكننى سأحدث اليه فى اقرب وقت ممكن .

قال ميشيل يحدث نفسه : آه . انها تظن اننى اصببت بخيبة أمل لاننى لى ار هذا القريب .
وقسمت قسماته وقال : كلا . لن آتى . ولا فائدة من أن تقولى اى شئ .

واولاها ظهره وخرج الى الممر ، وقالت فى ذهول وتوسل وهى تناوله قبعته : أحقا لن أراك غدا ؟

نظر اليها . رأى ان محاولته لم تجد شيئا ، وان تقززه ورتاءه لم يكن لهما اية فائدة ، فقد ظلت على خطتها .
وقال وقد زاد تقززه :
- وما الفائدة من العودة ؟

- ماذا تعنى ؟

- ان هذا لن يجدى (وهز راسه) هكذا خلقت ولن تتغيرى ..
لا فائدة .. انكن جميعا سواء .

عادت تقول وقد اصطبغ لونها رغما عنها : ماذا تعنى ؟
ود لو ان يقول لهما : انتن تافهات ، لا تفكرن فى شئ غير الحب والجنس . ولكن حز فى نفسه ان يقسو عليها وأن يقول لها هذا واكتفى بأن قال :

- حسنا . سوف آتى على كل حال . ولكن هناك شيئا اود أن أسالك اياه . ما دمت واثقة من اننى ... احبك ، ومن اننى سأعود

فلماذا استخدمت هذه الحيلة بدلا من ان تتكلمى بصراحة ؟ .. لم يكن هناك داع لذلك .

قالت فى خضوع : نعم . انك على حق . ولكن من منا بلا خطيئة ؟ ثم ان قريبي هذا موجود حقا ، وهو ثرى جدا ... غاية ما فى الامر اننى لم أره منذ مدة طويلة .

قال ميشيل : حسنا . هذا يكفى . الى الملتقى اذن .

واخذ يدها . ولكنه رأى فجأة ان ليزا تنظر اليه بطريقة غريبة وانها تبتسم له فى استفزاز فادرك ما تنتظره وقال : « آه .. لا بأس » . وانحنى ، واخذ المرأة بين ذراعيه وقبلها فى فمها ثم اطلقها من بين ذراعيه وخرج . وعند الباب تحول لكى يحييها ، ورأى عندئذ انها اختبأت فى خوف خلف معطف وقد اعترأها الخجل ، ورأى لو كانت فتاة تقع فى الحب لأول مرة . ورفعت اناملها الى شفتيها وأرسلت اليه بقبلة أخيرة فقال فى نفسه : يا لها من مهزلة شائنة .
واسرع يهبط درجات السلم دون ان يحاول رؤية المزيد .

الفصل السادس

فى ذلك اليوم فرغت مارى جريس من ارتداء ثيابها فى وقت متأخر جدا ، وكانت لا تزال جالسة امام طاولة الزينة فى الظهر ، تحاول أن تصبغ بالفرشاة اجفانها المتورمة باللون الاسود . كانت اشباح الفيرة قد امضتها منذ ان استيقظت ، ولكنها لم تلبث ان تذكرت ان اليوم يوم عيد ميلاد ابنتها ففمرتها موجة عارمة من الحب الاموى . . . وراحت تقول وقد اغرورقت عينها بدموع الحنان « حبيبتي كارلا . . صغيرتي العزيزة كارلا . . انها المخلوق الوحيد الذى يحبني فى العالم » . ونهضت واخذت ترتدى ثيابها وهى تفكر فى كارلا وفى عيد ميلادها الرابع والعشرين . بدا لها هذا العيد حدثا مؤلما مشيرا للدموع ، ومن ناحية أخرى راحت تفكر فى غير انقطاع فى الهدايا والمسرات التى ستقدمها لابنتها « ليس لديها ثياب كثيرة ، وسوف اشترى لها الكثير . . وسأشترى لها معطفا من الفراء ايضا ، فهى تريد معطفا منذ وقت طويل » ولكنها لم تفكر من اين تأتى بالمال اللازم لكى تشتري هذه الاشياء . « يجب أن تجد زوجا وبذلك تتحقق كل آمياتي » وامضتها فكرة أن ان ابنتها قد بلغت الرابعة والعشرين من عمرها ولما تتزوج بعد . وأحست بغضب شديد من نحو الرجال « كل هؤلاء الشبان الحمقى . . . انهم لا يفكرون الا فى ملذاتهم وفى تضييع وقتهم . اما الزواج فلا يهتمون به اطلاقا . ولكن كارلا ستتزوج على الرغم من كل ذلك دون اى شك ، فهى جميلة » وراحت الأم تعدد صفاتها على اصابعها . « بل هى جميلة جدا ، ثم انها طيبة كالملائكة وذكية ومثقفة ، وقد لقيت تربية ممتازة فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟ .. المال ؟ .. هذا هو بيت القصيد . ستدخل كارلا بيت زوجها عارية كالطفل الوليد ، لا يضمنها شيء الا فضائلها . ولكن هل صحيح ان الفتيات الثريات هن وحدهن اللواتى يتزوجن . ولكن هناك فتيات كثيرات لا يملكن

بأئنة استطعن أن يتزوجن « وغادرت ماري جريس مخدعها ومضت إلى غرفة الانتظار وقد شدت هذه الفكرة من عزيمتها . كانت هناك باقة جميلة من الورد ، وبجوارها صندوق صغير ، ومع الورد رسالة أخذتها الأم وفضتها وقرأت فيها هذه الكلمات : « إلى كارلا . . ابنتى تقريبا ، مع أحسن أمياتى ، ليو » . وأعادت الرسالة وسط الباقة وهى تقول مسرورة « ما أرق قلبه ! رجل آخر غيره ما كان ليعرف كيف يتصرف مع أولاد صديقه . أما هو فانه يعرف كيف يزيل كل الشكوك . انه أب بالنسبة لها » . وهمت أن تصفق بيديها لفرط سرورها ، واو ان ليو كان موجودا فى هذه اللحظة لقبلته . ثم فتحت الصندوق ووجدت به كيسا صغيرا للنقود مصنوعا من الحرير المطرز وبه ياقوتة زرقاء فى المشبك . وطارت ماري جريس من الفرحة وأخذت الباقة والصندوق وأسهرت إلى غرفة كارلا وصاحت تقول :

— أرايت إلى هذه المفاجأة الجميلة يا ابنتى ! وكانت كارلا جالسة وفى يدها كتاب ، فنهضت دون أن تنطق وقرأت الرسالة . . . هذا التهور من ليو ومحاولته اذ دعاها « بابنته تقريبا » أعادا إلى ذهنها بطريقة جعلتها ترتجف السمة المقلقة والمحزنة نوعا ما لمغامرتها الفرامية ، ورفعت عينيها فرأت عيني أمها تتألقان سرورا فابتسمت وقد تملكها الانفعال ، وضمت الباقة إلى صدرها فى غباء وقالت :

— هذه حركة جميلة منه . . . وماذا فى هذا الصندوق ؟ أجابت الأم فى حماس : كيس للنقود . . كيس أنيق للسهرة . لا ريب أن ليو دفع فيه ما لا يقل عن خمسمائة فرنك . وفتحت الصندوق وقدمت الكيس لابنتها وهى تقول : اليس جميلا ؟

أجابت كارلا : انه جميل جدا . ووضعتة فوق المائدة ، وتبادلت المراتان النظر . وقالت ماري جريس فجأة : ها انت قد بلغت الرابعة والعشرين اليوم ، ومع ذلك فانه يخيل لى انك لم تكونى بالامس غير طفلة صغيرة . أجابت كارلا فى شيء من السخرية : نعم يا اماه . وأنا ايضا يخيل لى ذلك .

ولكنها كانت تحدث نفسها فتقول : ابتداء من اليوم لن اكول طفلة .

ونظرت الام الى ابنتها وقالت : ولم تعد لى غير امنية واحدة
هى ان اراك متزوجة .. سيسعدنى ذلك كثيرا .
ابتسمت كارلا وفكرت : سيسعدك انت ولكن هل سيسعدنى
انا ؟

واجابت وهى تطرق براسها : وددت ذلك . ولكن يجب ان نكون
اثنين لكى نتزوج .. انا .. وهو .

صاحت الام بلهجة كلها ثقة : هو ؟ .. لسوف يأتى . قد يبدو
لك قولى هذا سخيفا ولكن لدى احساسا بانك ستتزوجين خلال
هذه السنة التى بدأت اليوم .. او ستخطبين على الاقل . لدى
هذا الاحساس وان كنت لا أدرى له سببا .

ولكن هناك امورا لا يمكن ان نجد لها تفسيرا وسوف ترين .
فكرت كارلا « بل سوف ترين انت شيئا آخر » . فقد عقدت
العزم على ان تبذل نفسها لليو فى نفس اليوم . وسبب لها ضلال
امها احساسا من الظلام الاسود والدياجير التى لا بد من ان تحيط
بهما دون اى امل فى الخلاص . وابتسمت واجابت فى صوت
ثابت : طبعا . لا بد من ان يحدث شىء ما .

عادت أمها تقول فى اقتناع : ان لدى احساسا بذلك . وهذه
الزهور ، أين نضعها ؟

ووضعنا الزهور فى الاناء ، وانتقلنا الى غرفة الانتظار . وكانت
هناك ستارة فوق زجاج الباب المؤدى الى السلم تحجب النور ،
وجلست المراتان فوق الارىكة ، وأسرعت الام تقول :
- أخبرينى ، كيف تراءت لك حالة ليزا بالامس ؟
- كعادتها .

- حقا ؟ .. ولكننى ارى انها ازدادت سمنة ... ثم ان السن
بدأت تظهر عليها .

قالت كارلا : لم الحظ ذلك .

وادركت ما الذى تعنيه امها وفكرت تقول : انما يجب ان تغارى
منى انا يا أماه ، وليس منها .

واستطردت مارى جريس تقول : وذلك الثوب الذى كانت ترتديه
... لم أر أبشع منه أبدا ... ثم ، أرايت كيف هاجمت ليو ،
وأصرت على ان يصطحبها معه ؟ .. اظن انها تتلهف على تجديد
علاقتها القديمة به . ولكن ليو لم يعد يحفل بها ، واذا اراد فانه
يجد أجمل منها بكثير ، فقد ترهل جسدها ولا أدرى لماذا تثير فى

نفسى التقزز والاشمزاز ... انها تبدو لى دبكة ومضطربة وتشتعل حرارة ... عندما تنظر الى الرجال بعينيها البراقتين فكأنها تدعوهم وتقول لهم « تعالوا معى » . ولكن لو اننى كنت رجلا فاننى ما كنت لالمسها باصبعى لانها تثير فزعى .

وامسكت عن الكلام لحظة اذ سمعت صوت باب يقفل فى الطابق الارضى ، ونهضت واقفة وقالت :
- لا ريب انه ميروميس ... سأعود حالا .

أحست كارلا بقلبها تتسارع دقاته ، وهبطت السلم درجة درجة فى ببطء كما لو كانت تخشى ان تخور قواها . ودخلت غرفة الصالون ، وكان ليو واقفا بجوار النافذة ، وكان يوليها ظهره . وقال وهو يمسكها من ذراعها ويجلسها فوق الاريكة : آه . أهذه انت ؟ قالت : شكرا لهيديتك . ولكن لماذا كتبت « الى ابنتى تقريبا » ؟ ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة وقحة وراضية فى نفس الوقت وقال : انما كتبت ذلك مراعاة لامك ، ولانه يروق لى ان أتصور أنك ابنتى .

وفكرت تقول : يا للعار .. يا للفضاعة .. ولكن النزوع الى الدمار كان فيها اقوى من الاشمزاز فقالت وعلى شفيتها نصف ابتسامة :

- انا ابنتك ؟ .. الحق ان ذلك لم يخطر لى ابدا .. من اين جاءتك مثل هذه الفكرة ؟

اجاب ليو فى هدوء : جاءتنى مساء أمس ، بينما كنا خلف الستارة ، تذكرت فجأة اننى عرفتك وانت طفلة ، بضفائرك خلف ظهرك ، وساقيك العاريتين ، وقلت لنفسى عندئذ : كان فى مقدورى ان اكون ابا لها ، ومع ذلك ...

أتمت قوله وهى تنظر اليه مليا : ومع ذلك فان كلا منا يحب الآخر ، ولكن الا ترى ان هذين الأمرين متناقضان ؟ قال ليو وهو لا يكف عن الابتسام : ولماذا ؟ .. قد يكون ذلك من الامور العادية ، ولكن كل امرئ يتصرف حسب مشاعره فى الحالات الخاصة .

- ولكن هذا شئ يتعارض مع الطبيعة .
راح ليو يضحك وهو يرى امارات الجذ والقلق المرتسمة على وجهها وقال : نعم . ولكن بما انك لست ابنتى حقا فليس لهذا

اهمية ... وبهذه المناسبة ، وقبل ان انسى .. بعد ان نفرغ من تناول الطعام ، أنتحلي عذرا واهبطى الى الحديقة .. وسألحق بك على الفور .. اتفقنا ؟

أشارت براسها ان نعم ، وانبسطت أسارير ليو وعقد ذراعيه ورفع عينيه الى السقف . لم يشأ ان يلثم كارلا او ان يلمسها لانه كان يتوقع ان تدخل ماري جريس من لحظة لآخرى ، وكان يفكر ويقول : أخشى ان ابقى على اضطرابي ورغبتى ، والاوفق ان أوجل كل شيء الى ما بعد ، حين نكون وحدنا ، وحين يكون امامى كل الوقت . ولكنه كان لا يكاد ينظر الى كارلا حتى يضطرم وجهه وتستبد به رغبة ملحة فى ان يضمها بين ذراعيه وان يمتلكها فوق الاركة فى اللحظة نفسها .

وضاعفت رغبته المكبوتة من حقه على ماري جريس ، وتذكر غيرتها الشديدة التى تعرض لها بالأمس ، فعصف به غضب لا حد له وقال فجأة :

— ان امك غبية من الدرجة الاولى .

فتحت كارلا فمها لكى ترد ، ولكنهما سمعا الباب يفتح ، ودخلت الام ممسكة بميشيل بيدها وهى تكاد تجره جرا . وقالت مخاطبة عشيقها وهى تشير الى ابنها :

— صباح الخير يا ميرومس . يقول ميشيل اننا اذا بعنا الفيلا بالمزاد بدلا من ان نتنازل لك عنها فاننا نستطيع عندئذ ان نسدد لك دينك وان يتبقى لنا بعد ذلك نحو عشرة آلاف ليرة او اكثر .
تجهم وجه ليو وقال : هذه حماقة ، فما من احد يمكن ان يقدم ثمننا لمنزلكم اكثر مما اقدمه لكم .

قال ميشيل : ولكنك لا تقدم لنا شيئا فى الواقع ... انك انما تطردنا منه ولا اكثر .

اجاب الآخر محنقا ومتضايقا : اننى قدمت لكم الكثير حتى اليوم . ومع ذلك يمكنكم ان تفعلوا ما يحلو لكم ، وان تبيعوا البيت ، ولكن لا تعتمدوا على ، وليكن معلوما لكم ... لابد ان يصلنى المبلغ يوم الاستحقاق .

كان ليو يعلم الخطر الذى يتعرض له بقوله هذا فانهم اذا باعوا الفيلا بالمزاد فسوف تظهر قيمتها الحقيقية ، وتتبخر أحلامه عندئذ ، ولكن لحسن الحظ ان ماري جريس لم تكن تعرف ما هو

البيع بالمزاد ، وان مثل هذا الاجراء مشبوه ، وانها كانت تخشى على الخصوص ان يهجرها عشيقها ، ولهذا اسرعت تقول تطمئنه :
- كلا . لن نبيعها بالمزاد . ولكن الا تستطيع يا ميروميس ان تقدم لنا شروطا افضل . نستطيع ان نصل الى تسوية .

سألها الرجل وهو لا ينظر اليها : أى نوع من التسويات ؟
اجابت الأم فى حماقة : ان تدعنا ننتفع مثلا بالفيللا ريثما يكتسب ميشيل قوته وتزوج كارلا .

قابل اقتراحها هذا بقهقهة كبيرة مفتعبة وقال بعد ان هذا :
سأنتظر الى ما شاء الله اذن .. نعم ، الى ما شاء الله .

سألته الأم وهى تتميز غيظا : ماذا تعنى ؟
اجاب ليو : افهمينى جيدا . لست أشك فى ان كارلا ستزوج قريبا ، وأتمنى لها ذلك من سويداء قلبى . ولكننى لا اعتقد ان ميشيل سيستطيع ان يكسب قوته قبل سنوات ، هذا اذا كان ينوى حقا اكتساب قوته .

ولم يكن ميشيل قد تكلم حتى ذلك الوقت ، وان كان قد جر انى الاشتراك فى هذه المناقشة جرا . ولكنه ما ان سمع ليو يتهمه بالعجز والخمول حتى اخذته انتفاضة وفكر :

ان الاوان لكى أغضب . وقال فى صوت بدا زائفا :
- لست كماله تتصور . سأثبت بالافعال اننى اعرف كيف اعمل واكسب قوت يومى . وسترى اننى سأعرف كيف اتكفل بنفقاتى ونفقات اسرتى .

صاحت ماري جريس وهى تداعب رأس ابنها فى زهو : تماما سيشتغل ميشيل وسيغدو ثريا . اننا لسنا بحاجة الى معونة من احد .

ولكن ليو لم يكن غبيا الى هذا الحد فهز كتفيه فى غضب وقال :
هراء . ان المرء لا يعرف ابدا اذا كان ميشيل يجد او يهزل ...
انك مهرج صغير .. نعم ، مهرج صغير .

كان فى ذروة الغضب ، فلم يكن ابغض الى نفسه من الهزل فى العمل . وود لو ان يتخلى عنهم عندئذ وينصرف . وتقدم ميشيل خطوة الى الامام وهو يتساءل هل عبارة مهرج سبة واهانة تجرح شرفه ؟ ان استخفاف ليو وعدم مبالاته وهو ينطق بها تدل على انها عبارة عادية ، ولكن اذا نظرنا الى المعنى الذى تنطوى عليه

فانها لتكون اهانة عندئذ . وفكر فى شىء من الثمالة « يجب ان اتصرف وان اصفعه مثلا » . ولم يكن ينبغى ان يفوت هذه الفرصة فان ليو كان يقف امامه على بعد خطوة ويواجهه تماما ، ولا يمكنه ان يخطىء الهدف .

وقال فى صوت اجش : آه .. انها مهرج صغير ؟ الم يخطر ببالك ان مثل هذه العبارة قد تهيننى ؟
اجابه ليو وهو يبتسم فى غير اكتراث : لك ان تشعر بما تريد .
- خذ اذن .. اليك هذا .

رفع ميشيل يده ولكن ليو كان اسرع منه فامسك بيد الشاب بيد من حديد ، وقبل ان يدرى ميشيل كيف وقع هذا رأى نفسه محصورا فى زاوية النافذة وليو ممسك برسغيه الاثنين .
وقال هذا الأخير فى سخرية هادئة :

- آه ! . كنت تريد ان تصفنى ؟ .. ولكنك مخطىء يا صغيرى ، فلم يخلق ذلك الذى سيصفنى .

وصاحت مارى جريس تقول خلف ظهره : ولكن ... ماذا حدث ؟

وقالت كارلا بدورها وهى تضع يدها على كتف أخيها : دعه يا ميروميس . انك تستطيع ان تكلمه كما تريد من غير ان تمسكه هكذا .

اطلق ليو سراحه وهو يقول فى حدة : ليس لدى ما اقول اكثر من ان الوقت قد حان لكى نفرغ من كل هذا . ان هذه الاساليب غير مقبولة ، ثم انها ليست احسن وسيلة للوصول الى تسوية .
وقال سيشيل محتدا : لماذا دفعتنى الى التدخل فى هذا الامر اذن ؟

ولكن مارى جريس استطردت تقول دون ان تحفل به : واذا اردت ان تتكلم فى هذا الموضوع فتكلم فيه معى انا .

قال ليو : حسنا . سأعرض عليك شروطى للمرة الاخيرة . سأترك لكم الفيلا الى ان تجدوا لكم مسكنا ، وسأقدم لكم فوق ذلك مبلغا معيناً ... ثلاثين الف ليرة مثلا .

قالت الام وقد اتسعت عيناها : ثلاثون الف ليرة ! كيف هذا ؟
- انك تؤكدين ان قيمة الفيلا تربو بكثير على مبلغ الرهنية ، وأصر أنا على ان الامر غير ذلك . ولكن ، ولكى أبرهن لك على حسن نيتى

وعلى اننى اتصرف كصديق حقا فاننى اقدم ثلاثين ألف ليرة اضافية ، ولنقل انها نظير الاعمال والترميمات التى ادخلت بعد الرهنية .

قالت الام وهى تتحسر تقريبا : ولكن البيت يساوى اكثر . قال ليو فى هدوء : اذا كان الامر كذلك فاليك نصيحتى . بيعى البيت الى اى شخص آخر ، وسترين عندئذ انه لن يتبقى لك ثلاثين ألف ليرة وانك لن تجدى معك يا يكفى لتسديد الدين ، فاننا نعيش فى ازمة خانقة والجميع يريدون البيع ، ولكن ما من احد يريد الشراء . يكفى ان ترى صفحة الاعلانات فى الجرائد للتحقق مما اقول ، ثم ان البيت يقع خارج المدينة ولن يكون من السهل العثور على شخص يرضى بالمعيشة بعيدا عن وسط البلد . ولكن افعل ما يحلو لك ، وسألوم نفس طوال حياتى لاننى لم انصحك بما فيه الكفاية .

قالت كارلا : لو اننى مكانك لقبلت شروط ميروميس ، قانا ، من ناحيتى ، ليس لى غير امنية واحدة ، وهى ان اغادر هذا البيت واعيش فى مكان آخر حتى ولو كانت عيشة الكفاف . اتت الام باشارة محنقة وقالت : هل لك ان تسكتى ؟

وساد صمت مذهل وتراءى البؤس لمارى جريس . ورات كارلا نهاية حياتها القديمة . اما ميشيل فلم ير شيئا ، وكان اكثر الثلاثة ياسا .

وقال ليو ، ممها يكن ففى مقدورنا ان نبحث هذا الامر . . تعالى بعد غد الى مكتبى يا سيدتى العزيزة ، وسوف نبحث هذا الامر كما يحلو لنا .

قالت الام فى حماس مؤلم : حسنا . . . بعد غد اذن . وبعد صمت قصير ، وعلى اثر كلمة من مارى جريس انتقل الجميع الى غرفة الطعام .

وكانت المائدة قد اعدت فى ابهة ودقة ، فصفت عليها الاوانى الفضية والكريستال واطباق العائلة الثمينة ، واخذت الام مكانها وهى تقول :

— كنت اود ان اعد وليمة فاخرة احتفالا بعيد ميلاد كارلا ، ولكن لم يعد ذلك متاحا فى هذه الايام . ان عندى طاهية لديها كل الامكانيات ولكنها ليست قديرة ، انا تفتقر الى الحمية ومن يفتقر الى الحمية لا يجيد شيئا .

قال ميشيل بلهجة الحد : انك على حق يا اماء . ان من يفتقر

الى الحمية لا يجيد شيئاً ، فقد حاولت ان اصفع ليو ولكننى لم
اتمكن ... اننى افترق الى الحمية .

قالت مارى جريس وهى تتميز غضبا : ولكن ما علاقة هذا بما
اقول : وما دخل ليو فى حديثنا هذا .. اننى أتكلم عن الطاهية .
انك لن تتغير أبدا ، حتى فى مثل هذا اليوم ، وهو عيد ميلاد أختك ،
فحيث يجب ان ننسى وان نصفح وان نظير سرورا وفرحا تتكلم
انت عن الصفع والعراك .

قال ليو من غير ان يرفع عينيه عن طبقه : دعيه يتكلم يا سيدتى
العزيزة ، فهو بالنسبة لى لا يتكلم .. وأنا لا أصغى اليه .
وخيم الصمت من جديد . ودخلت الخادمة بأطباق اخرى ، وكانت
مارى جريس لم تكف عن التحديق فى عشيقها بعينها الفاحصتين ،
وقالت فجأة :

— هل استمتعت جيدا مساء أمس يا ميروميس ؟

نظر ليو الى كارلا نظرة تعنى « ها نحن قد عدنا » ولم ترد عليه
كارلا وانما سمعته يقول « متى ؟ .. واين ؟ .. » وفى نفس اللحظة
ضغط قدمه على قدمها فعضت شفتها وقد اشمئزت من هذا الرياء
الحقير .

وعادت مارى جريس تقول : أين ؟ .. ولكن مع ليزا طبعاً .
— رحماك يا الهى ! .. اذا كنت تظنين ان فى مصاحبة الناس
الى بيوتها استمتاعاً .

قاطعت الأم وهى تضحك فى خبث : كلا . اننى لا اظن ذلك ،
فان هناك اناسا أضياع من مصاحبتهم . ولكن اذا كنت انت تنشد
مرافقتهم فمعنى ذلك انهن يرقن لك .

هم ليو بأن يرد عندما تدخل ميشيل بقله ذوقه كعادته وقال مرددا
نفس الكلمات التى خاطبته بها أمه منذ لحظات : آه يا أماه ...
انك لن تتغيرى أبدا ... حتى فى يوم كهذا ، يوم عيد ميلاد أختك
.. كلا ، عفوا .. عيد ميلاد ابنتك ، فحيث يجب ان ننسى وأن
نصفح وأن نظير فرحا وسرورا تأتين أنت وتحدثين عن ليزا وعن
مصاحبة الناس الى بيوتهم ... انك لن تتغيرى أبدا .

كان من اثر هذا التهريج ان ابتسمت كارلا رغما عنها ، كما ضحك
ليو وقال : أحسنت يا ميشيل .

ولكن الأم نظرت الى ابنها محنقة وصاحت : وما دخلك انت ؟ ان

لى الحق فى ان اتحدث مع ميروميس كما يحلو لى فى الامور التى
تعيننا من غير ان تتدخل انت .
- ولكن ليس فى يوم كهذا ! .

هزت كتفيها غاضبة وقالت : لا دخل لك انت . . اننى انما أشرت
. . ولكن فلنتكلم فى موضوع آخر على كل حال ، وانت يا ميروميس ،
عليك منذ اليوم ان تختار مكانا آخر للقاء عشيقائك ، فاننى لا ادير
بيتا للقاءات العابرة . . . فهل فهمت ؟

كانت هذه اول مرة تترك فيها مارى جريس العنان لمثل هذا
العنف . وحدث عندئذ شىء غير متوقع ، فان كارلا لم تكن قد نطقت
بشىء حتى هذه اللحظة ولكنها تدخلت عندئذ فقالت فى حدة وشفاتها
تختلجان :

- هناك شىء احب ان اعرفه . . . هل يجب ان نعيش دائما
فى مثل هذا الملل وهذه المضايقات ، وان نرضى بهذه الحماقات
التي تدور برؤوسنا ، وان نتجادل ونتخاصم ونعود دائما الى
المطاعم وان لا نرتفع ابدا الى ما هو اسمى وافضل . . . (ورفعت
يدها فوق المائدة واستطردت تقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع)
نعم ، اريد ان اعرف اذا كنت تجدين هذا جميلا . . . ولكن الا ترين
نفسك ؟ . . يجب ان تنظري الى المرأة وانت تتكلمين وتتجادلين .
سوف يصطبغ وجهك خجلا وتفهمين الى اى حد يمكن ان يؤدى بنا
الملل والتقزز ، وكيف يدفعنا كل هذا الى اشتهاى حياة جديدة
مختلفة عن حياتنا هذه .

وسكتت وقد اضطرم وجهها واحمرت عيناها ، وراحت تزدد
الطعام وهى لا تدري ما تفعل . وأخيرا أفاقت الام من دهشتها
وقالت :

- آه . لقد طفع الكيل . ابتداء من اليوم يجب ان أستأذن ابنتى
لكى أتكلم . خيل لى اننى أحلم وأنا أصفى اليها . هذا عجيب .
قال ميشيل فى هدوء : أرى على العكس ان كارلا لم تذكر
الا الحقيقة . كل هذا مزعج ومقزز ولكن لا جدوى من الاحتجاج .
هذا هو الواقع .

وقال ليو : لا داعى للمبالغة . ان كارلا لم تكن شيئا من كل
هذا .

اجابت الام : بل عنت كل ما قالت . اننى اعرف ابنائى جيدا

يا ليو . ان كارلا وميشيل انانيان ولو امكنهما ان يهجرا البيت ويتركاني وحدي لفعلا منذ وقت طويل .

وتهدج صوتها .. نعم ، انهما ليتركانها وحدها لو استطاعا حقا . فلم يكن هناك أية فائدة .. لا يمكن استنفاد البحر بكوب من الماء ، وكذلك ليو . ونظرت كارلا الى أمها وقد اخذها الندم لأنها تكلمت ، وستبقى أمها كما هي دائما ، مدعاة للهزؤ والسخرية ، وغبية ضائعة في دياجيرها ، ولن تتغير حتى اذا وقعت معجزة . ولا فائدة من الاصطدام بها عمدا . والافق ان تنصرف وتهجر البيت اليوم بالذات وان لا تعود اليه . وغالبت نفورها وتقرزها وقالت :

— ولكننى لم اشأ اهانتك يا أماه . انما اردت أن اطلب منك أن تنسى وتصفحى لان اليوم يوم عيد ميلادى ، كما قلت انت بالذات : قالت الام وهى تبسم نصف ابتسامة : انت داهية . حسنا . فلننس ما دام اليوم هو يوم عيد ميلادك ، ولولا ذلك لكان لى معك شأن آخر .

قالت كارلا بنفس اللهجة الهادئة : حسنا جدا يا أماه . اننى اشكرك . والآن ، فلنتحدث فى شيء آخر ، ويمكنك يا ليو ، وانت يا ميشيل أن تقصا علينا بعض القصص المضحكة . وجاءت الخادمة بزجاجتين من الشراب فى هذه اللحظة ووضعتهما فوق المائدة ، وقال ليو :

— حسنا يا كارلا ، اليوم تبديين حياة جديدة ، اليس كذلك ؟ قالت كارلا وهى تكتم تنهيدة : ارجو ذلك . كانت هناك فكرة واحدة تؤرقها . متى تستسلم ليو ؟ .. افى هذه الليلة بالذات أم فى يوم آخر . وقالت الام : جديدة فى أى معنى ؟ — فى كل المعانى يا أماه .

قالت ماري جريس : اننى لا افهمك يا عزيزى .. اذكرى لى مثلا .

— جديدة ... اعنى اقل حماقة واقل سطحية واكثر نفعا واعمق من الحياة التى قضيتها حتى الآن .. جديدة ومختلفة كل الاختلاف . قالت الام فى قسوة : ولكننى لا ارى كيف يمكن لفتاة محترمة ان تغير حياتها بغير الزواج .. انها بذلك تعيش حياة جديدة تماما فأمامها مسئولية البيت ، ولابد لها من أن تعنى بزوجها وأن تربي

أولادها ... هناك أشياء كثيرة يمكن أن تغير عاداتنا ، وانمنى لك ذلك من كل قلبى ، ولكن يبدو لى أن الاحتمال قليل فى أن تتزوجى ما بين يوم وليلة ، ولهذا لا أرى كيف يمكن أن تتغير حياتك لا لشيء إلا لأنك تريدن ذلك .

قالت كارلا فى انفعال : ولكن هناك أحداثا أخرى غير الزواج يمكن أن تغير حياة المرء ، فقد التقى اليوم مثلاً بمدير شركة سينمائية أمريكية يأسره جمالى فيقدم لى عقدا ... الا تتغير حياتى ما بين يوم وليلة بهذه الطريقة ؟

مطت الأم شفيتها استنكارا ، وقالت : انك تتكلمين كما لو كنت طفلة صغيرة ولا يمكن التفاهم معك أبدا .

قال ليو : كل شيء ممكن .

— ماذا تقول ؟ .. هل تقصد أن تغدو ابنتى ممثلة ؟ .. انك لا تدرك ما تقول .

قالت كارلا : لندع المزاح جانبا . اظن أننى فهمت اننا سوف نضطر الى الانتقال من الفيلا والاقامة فى مسكن آخر ... ثم لابد لنا من خفض نفقاتنا . ستكون هذه حياة جديدة ، اليس كذلك ؟ قالت مارى جريس وهى تحقق بعينيها فى عيني عشيقها فى صفاقة يائسة :

— من قال اننا سننتقل من البيت ؟ .. سنبقى فيه الى أن نتزوجى ، اليس كذلك يا ميروميس ؟ نظر الجميع الى ليو ، وكان هذا الأخير يقول فى نفسه : « فلتذهب الى الشيطان » . ولكنه لم يشأ أن يتسبب فى شجاره ، وحرص على أن يكتسب ود كارلا فقال : — نعم ، نعم ، سنبقون .

صاحت الأم فى لهجة الانتصار : ارايتما ؟ لقد وعدنى ميروميس ، ولن يتغير شيء فى الوقت الحاضر .

تمتم الرجل يقول فى صوت خافت لم يسمعه احد « نعم ، فى الوقت الحاضر » . واجتاحت كارلا عندئذ ثورة من الغضب مرة أخرى ، ورآها الثلاثة الآخرون وقد احمر لونها ، وهوت بيدها على المائدة فجأة وقالت فى صوت حاد :

— اما أنا فلا اصدق شيئا من هذا . انك تريدن منى أن اختنق يا اماه ... ولكننى افضل أن أسير الى النهاية والى أسفل

سافلين . اننى قلت هذا لليو فى اليوم السابق ، وما كدت استيقظ من النوم حتى قلت لنفسى « ان سنة جديدة تبدأ ويجب ان تختلف حتما عن السنة التى انقضت ، لأن من المستحيل ان يستمر هذا .. من المستحيل .

وفجأة تغير لونها من الاحمرار الى الاصفرار ، واحنت رأسها واخذت تبكى . ونظر الجميع اليها مرتبكين . ونهضت مارى جريس ، ولا ريب ان بكاء ابنتها بدا لها صادقا بما فيه الكفاية لكى تنسى الاتهامات التى سبقته لانها اقتربت منها وقالت :

— ولكن لماذا تبكين هكذا من غير سبب ؟ .. فى يوم عيد ميلادك .. لا يجب ان تبكى .

رفعت الفتاة عينيها وقالت وهى تجفف دموعها : انك على حق . ان اليوم عيد ميلادى .

وكانوا قد فرغوا من الطعام فصب ليو النبيذ فى الكؤوس ، وتناولت الأم كأسها وقالت : نخب صحتك يا كارلا .

وتلاطمت الكؤوس فى ود ، وشرب الجميع نخب كارلا ثم عادوا فشرّبوا نخب الأم فنخب ميشيل فنخب ليو . وقال هذا الأخير وهو يتحول الى كارلا : لنشرب الآن نخب صحة زوجك المقبل .

اسرعت مارى جريس تقول وهى فى منتهى الابتهاج : سأشرب هذا النخب انا أيضا .

ترددت كارلا . كانت رأسها قد بدأت تدور من تأثير الشراب ، واهتزت الاشياء امامها وراحت تختلط بعضها ببعض ، وقالت : جرعة اخرى لا أعى بعدها شيئا . وابتسمت ابتسامة حائرة ورفعت كأسها وهى تغالب غيثانها وشربت . واحست على الفور بأنها قطعت فى سماء السكر شوطا كبيرا . وغمرها فرح شديد واحست برغبتها فى الكلام ، لكى تظهر للآخرين انها ما زالت متمالكة لكل حواسها ، فقالت فى صوت واضح :

— أريد ان اشرب نخب زوجى المقبل طبعاً ، ولكن من هو هذا الزوج يا ترى ؟

قالت الأم : الله وحده يعلم من هو .

وقال ليو : لولا اننى اعتبرك كابنتى لتقدمت أنا نفسى ... هل تقبليننى ؟

صاحت الفتاة وهى تشير اليه باصبعها : انت ؟ .. انت زوجى ؟ ..

ولكن (ونظرت اليه لحظة ، ولكن اليس هو عشيق امها) . ولكنك
بدين جدا يا ليو .

صاحت الأم غاضبة : اوه كلا . انه ليس بدين ابدًا واتمنى
لك زوجا مثله .

قال ليو فى اصرار وهو يبتسم : اترين ؟ سنمضى شهر العسل
فى باريس و

قاطعته كارلا فى لهجة نائحة : كلا . اننى افضل الهند .
- فلتكن الهند إذن سأمنحك سيارة وبيتا وكل ما تشائين ،
فهل تقبلين ؟

نظرت كارلا اليه وقد شوش السكر افكارها . لماذا يتكلم ليو
هكذا ، ربما لكى يهزا من امها ؟ . . اذا كان الامر كذلك فيجب ان
تضحك . واجابته اخيرا : عنى انا ليس لدى اى مانع ، ولكن لابد من
موافقة امى أولا .

قال ليو وعلى ملامحه نفس الابتسامة الهادئة : حسنا يا سيدتى ،
هل تقبليننى صهرا لك ؟

ورأقت هذه المهزلة للأم وهى تحت تأثير الشراب فابتسمت
وقالت : ولكن ، هل تشغل وظيفة طيبة ؟

اجاب ليو فى تواضع : انا موظف فى وزارة العدل ، واتقاضى
مرتبا قدره ثمانمائة فرنك فى الشهر ، ورؤسائى راضون عنى ،
وسوف انال ترقية قريبا .

عادت الأم تقول وهى تغالب ضحكها : واسرتك ؟

- ليس لى أسرة اننى وحيد فى العالم .

- هل يمكنك اسعاد ابنتى ؟

قال ليو وهو ينظر الى كارلا مليا : طبعا .

قالت مارى جريس اخيرا وهى لا تملك نفسها من الضحك : ما دام
الامر كذلك فتزوجا على بركة الله .

وقالت كارلا دون اى مرح : فلنتزوج يا ليو .

وضحك ليو وقال : يبدو لى ان التجربة العامة سارت على
ما يرام ، وليس امامنا الآن الا ان نبحث عن الزوج الحقيقى .

وتناول الزجاجة الثانية وملا كاس كارلا وهو يقول لنفسه : يجب
ان تشرب وان تفرط فى الشراب .

وقال فى صوت مسموع : والان . نخب المدام .

أخذت كارلا كأسها بيد مضطربة وشربت . وعندئذ . وفجأة اجتاحتها الخوف وأدركت أنها سكرى ، فقد دارت رأسها وجف حلقها واختلطت الأشياء أمام عينيها . وفى الامكان القول بأنها فقدت انوعى والادراك منذ هذه اللحظة فلم تعد ترى أو تسمع شيئاً ما . بدت لها الاوانى الفضية والزجاجية التى فوق المائدة شديدة الوضوح واللمعان بحيث آلت عينيها وأصبحت وجوه الجالسين جامدة قاسية القسما ت بحيث بدت كالاقنعة . كانوا يتكلمون حولها ولكنها لم تستطع ان تفهم كلمة واحدة مما يقال على الرغم من محاولاتها وفكرت تقول : « اننى الآن سكرى ، فكيف أستطيع التحدث الى ليو فى الحديقة » واستبد بها الخوف وندمت لأنها افترطت فى الشراب وودت لو أن تبكى .

وكانت الزجاجاة الثانية قد فرغت فقال ليو فى مرح : اننا اتينا على الزجاجتين . مرحى يا كارلا . ولكن ما الخبر ؟ .. هل تحسين بدوخة ؟ .. خذى سيجارة .

أخذت السيجارة وراحت تدخن فى صعوبة كبيرة ، ولكن حالتها لم تزد الا سوءا فتهاوت رأسها فوق المائدة وخيل لها انها ستموت . واذا رأت أمها ذلك نظرت اليها فى استهجان وقالت : اخرجى الى الحديقة . سوف ينعشك الهواء .

نهضت ، ورات على الفور انه سيتعذر عليها ان لا تقع ، فقد راحت الغرفة كلها تدور حولها ، واستطاعت بشق النفس أن تخرج من الغرفة وتختفى فى البهو . وقالت الأم :
- انها غير معتادة على النبيذ .

ضحك ليو وأخذ الزجاجاة وصب القطرات التى فيها فى كأس كارلا وقال وهو يلتفت الى الشاب : نخب صداقتنا يا ميشيل .

ولكن ميشيل لم يجب وانما اطرق برأسه وقد اجتاحه تقزز كبير مشوب بوخر الضمير والمهانة ، فقد سخر ليو منه وانتصر عليه وأخذ تقوده كما أخذ أمه وأصبح هو خاوى الوفاض لا يملك شيئاً الا الرضوخ للواقع .

فرغت الزجاجتان : وأخذ دخان السجائر يتبدد وتسلك نور أبيض هادىء من خلال السحب وعادت الأم فى غبائها وغيرتها الهوجاء الى شجارها القديم وقالت :

- لماذا لا تشرب نخب الصديقة البعيدة .

واردفت تقول فى لهجة يرثى لها : البعيد عن العين بعيد عن القلب .

اما ليو فقد اضطلع فى مقعده الى الخلف وقد اثقل عليه الطعام ولم يجب ، وراح ينظر بعين كئيبة وقد خيم على المكان صمت ثقيل لم يكن يقطعه غير صوت جهاز التدفئة وهو يدور فى الطابق الارضى .

الفصل السابع

انتقلت كارلا من الطريقة الى البهو . كان كل شيء يتحرك ويدور حولها . . هذه الستارة ، حيث اختبأت خلفها امس مع ليو . . تشبثت بها حتى لا تقع ، ثم خرجت وهبطت السلم درجة بدرجة . وكان يخيم بالحديقة التى تقع خلف الفيلا صمت قاتل ، وهناك جلست فوق مقعد خشبي واخذت راسها بين يديها وهى تحس بتوعلك لم يسبق ان احست بمثله من قبل . وبقيت هكذا نحو عشر دقائق ثم احست بيد تلمس كتفها ففتحت عينيها ، واذا بها ترى ليو واقفا امامها .

قال : ماذا بك ؟ . . ولماذا تمسكين راسك هكذا ؟ رفعت عينيها اليه . كان يقف ومعطفه فوق ذراعه وسيجارته بين شفتيه ، ووقفت فى استرخاء ، وما كادت تفعل حتى تشبثت به بكلتا يديها قائلة :

— لست على ما يرام . امسك بى جيدا . لماذا حملتنى على ان اجرع كل هذا الشراب ؟ اجاب ليو : ولماذا شربت انت ؟

قالت وقد انفكت عقدة لسانها فجأة : اننى شربت لكى لا اراكم . . انت وامى وميشيل . ولكن لو اننى عرفت ان الشراب سيضر بى هكذا لما شربت .

قال ليو فى صوت قوى اثار دهشته هو نفسه : كفى عن هذه الحماقات . انك شربت لانه طاب لك ان تشربى . رآها تبسم فى غموض وسألته فى لهجة ودية : لعلك تعتقد اننى احبك .

وتبادلا النظر ، كارلا فى جد وبجنون السكر فى عينيها الصافيتين ، وهو بعينه المضطربتين واللتين تبدو فيهما الشهوة والسخرية فى نفس الوقت . وفجأة خفض ذراعه وامسكها من خصرها فى غلظة ، فاطلقت ضحكة حادة ، وراحت تقاوم محرقة ساقها فى اضطراب

أقرب الى عدم الحياء وصاحت تقول وهى تضحك : ليو .. ليو ، لا تنظر الى هكذا ... دعنى .

وكتمت الاغصان المتشابكة صوتها . وكانت ترى أثناء تحركاتها والتواءاتها وجه الرجل المحتقن لفرط الشهوة والرغبة التى يحس بهما ، ولم تدر هى نفسها لماذا تقاومه شكذا ، وأخيرا تغلب ليو عليها وضمها اليه . ونظر لحظة الى عينيها اللتين تجلى فيهما الخوف والى فمها المفتوح ثم انحنى فوقها وقبلها .

وافترقا . وتقدما مرتبكين ، بضع خطوات بين الاغصان ، وفجأة توقفت كارلا وضفطت على ذراع رفيقها ، وتمتمت تقول : ليو ... لا يجب ...

ولكنها أمسكت فجأة ، فقد انسابت هذه العبارة من بين شفثيها دون وعى منها . وقال ليو : حسنا . ما هذا الذى لا يجب ؟ .. ولكننى أعرف ذلك جيدا ، وقد وقع المحذور على كل حال . ودفعها الى الامام وهو يقول : سبرى بضع خطوات اخرى .

وبلغا آخر الحديقة ، وهناك أفضى بهما الطريق الى منحدر فى آخره كوخ صغير تكاد الاغصان المتشابكة تخفيه عن الأنظار ، ولم يكن يبدو منه غير باب معوج تظاهر ليو بالدهشة وهو يراه وقال : — ما هذا ؟

— انه بيت البستانى ؟ .. وهل يقيم البستانى فيه ؟ — كلا .

عاد ليو يقول كما لو ان شيئا خفيا جعله يستطيب هذه الكلمات ا بيت البستانى ؟ .. حسنا ، هلمى بنا لزيارته .

ضحكت كارلا . كان كل ذلك يبدو لها سخيفا ، ولكنها اطاعته . ودفع ليو الباب فاذا بهما على عتبة غرفة منخفضة السقف ، وهى الغرفة الوحيدة بالبيت .. أرضيتها من الخشب يعلوها القبانى وجدرانها عارية ، بها فراش من الحديد فوقه مرتبة ممزقة ، وأمامه فى ركن من الغرفة ركيزة من المعدن ذات ثلاث قوائم فوقها طست يعلوه الصدا . وراحت كارلا تتأمل كل هذه الاشياء كما لو كانت فى حلم . وبلغ غثيانها حدا لا يطاق . وودت لو ان تعود الى الفيلا وان تستلقى فوق اريكتها . ولكنها استسلمت لسكرها ، وثنت ركبتيها وجلست فوق الفراش الحديدى . وتأوهت قائلة :

— لماذا ... لماذا جعلتنى افرط فى الشراب ؟

ونظرت الى الالواح الخشبية وقد تهدلت خصلات شعرها فوق عينيها وامتلأ فمها باللعب . وجلس ليو بجوارها وهو يقول : « هذه هي اللحظة المناسبة » . وطوقها بذراعيها قائلا : « كوني عاقلة » اذا كنت قد شربت فذلك لانك أردت . ومع ذلك فهذا امر لا اهمية له .

وسحبها من كمها وقبل كتفها العارى وهو لا يحول عينيه عن جيدها وصدرها المكشوف . وامسك بها فجأة وألقاها فوق الفراش ، وقاومته وهى تقول « دعنى » ولكن مقاومتها لم تجد وانهكها الجهد . وفى فتور غريب كفت عن كل مقاومة ، ومن سقف الغرفة الذى راحت تحديق فيه بعينيها الذائفتين والمتألمتين رأت وجه ليو يهبط نحوها كما لو كان نيزكا . وهبطت القبلة على عنقها وانزلت على ذقنها ثم استقرت أخيرا على شفتيها .

وفكر ليو « آه .. يا للصغيرة الجميلة ! » وانحنى لى يقبلها من جديد عندما رآها ترفع رأسها مذعورة وقد شحب لونها مصدرة أصواتا من حلقها وقد اطبقت شفتيها فى قوة ، وأطلقها عندئذ وارتد خطوة الى الوراء . وجلست كارلا فوق الفراش وأشارت بعينيها وذقنها الى الركيزة الموجودة فى ركن الغرفة . وفهم ليو وامسك بالطست وجاءها به فى الوقت المناسب فقد اندفع من فمها المفتوح بسائل كثيف متعدد الألوان يتصاعد منه الدخان . وتوقف لحظة ، وارتجفت بطنها المضطربة ثم عاد السائل يتدفق من جديد . وراح الرجل يتأملها فى غضب وهو ممسك بجبينها ويحدث نفسه قائلا : انا السبب ، فأنا الذى دفعتها الى الشراب ، ولا داعى لاية محاولة فلم يعد هناك ما يمكن عمله الآن . ونظر اليها وهو يكاد ينفجر من الغضب ، فقد كانت فتاة احلامه امامه مستسلمة على استعداد لبذل نفسها له ، وفكر يقول : « لو اننى لم احملها على الشراب لكأنت ملكي الآن » .

وبعد ان افرغت كارلا ما فى بطنها ابعدت الطست عنها ، فأخذه الرجل فى اشمزاز ووضعها فوق الركيزة ، ثم تحول ونظر الى الفتاة . كانت لا تزال عارية ، جالسة على حافة الفراش ، مطرقة الرأس . وقال : بماذا تشعرين الآن ؟

— لست على ما يرام .

ونظرت الى الارض وهى تحرك فى فمها لعبا خامضا . وكان بصرها

يتعلق أحيانا بثيابها المشوشة فوق بطنها النصف عارية . وبدأت تشعر بالبرد ، وعصف بها تقزز ونفور كبيرين وراحت تقول لنفسها « انتهى كل شيء » ورفعت رأسها فى رفق ونظرت الى ليو بعينين مفرورقتين ولم يسعها الا ان تسأله قائلة : والآن ؟

أجابها الرجل فى غضب مكبوت : البسى ثيابك ولننصرف . ونهض ، وراح يمشى جيئة وذهابا وهو ينظر من وقت لآخر الى كارلا وهى ترتدى ثيابها . وعادت الرغبة تتولد فيه من جديد ، وساءل نفسه أكثر من مرة اذا لم يكن من الأوفق ان ينتظر حتى تتغلب الفتاة على وعكها لكى يعاود الهجوم . ولكنه لم يلبث ان رأى انها فرغت من ارتداء ثيابها فقال فى نفسه محنقا « كلا . لقد زال السحر ولم يعد هناك ما يمكن عمله اليوم » . واقترب من الفراش وقال :

— كيف حالك الآن ؟

أجابت : أحسن .

وخرجا من البيت دون أن يتلامسا . وفى الخارج كانت الاوراق الميتة تقطط ، وقال ليو : آه . انها تمطر . وازعجه صمت كارلا فحاول أن يتظاهر بالمرح . وكان الهواء تحت الاغصان هادئا وخانقا ولكن الماء راح يتساقط عند قدميهما مع كل خطوة وعاد ليو يقول :

— هذا غريب . ان الطقس لا يتغير هذه الايام ، فهو جميل فى الفجر ومكفهر فى النهار ثم يبدأ المطر من بعد الظهر حتى الليل . لم تنطق كارلا بكلمة فسألها : سنلتقى مساء الجمعة طبعاً ؟

توقفت كارلا . كانت تريد ان تجيبه قائلة : لن نلتقى بعد الآن ابداً ، ولكن خاطرا حبس الكلمات فى حلقها ، وقالت لنفسها « يجب ان امضى حتى النهاية ... حتى النهاية » وعادت تمشى من جديد وقالت وهى تطرق برأسها الى الأرض : ربما ... لا أدري .

واذ بلغا آخر الممر توقفا من جديد ، وقال الرجل وعلى شفثيا ابتسامة وهو يضبط على ذراعها : حسنا ... ما أجملك حتى وانت مريضة !

وتبادلا النظر . كانت لا تزال مضطربة من تأثير الشراب . وربت ليو بيده على صدغها وقال : يا لك من صغيرة حمقاء ... ما كان يجب أن أحملك على الشراب .

ثم جذبها اليه واستطرد يقول : فلنتعاقق ولننس . كال هذا .
وتعاققا . ثم انفلتت كارلا بين الاشجار واسرعت راكضة ، تحت
المطر ، ولم تلبث ان اختفت خلف زاوية البيت . اما ليو فقد سار
نحو الباب الحديدى للحديقة وهو يقول لنفسه : يا له من يوم
ردىء ، وما أسخفه ! وكان المطر يتساقط وابتلت الارض . وانطلق ليو
وهو ساخط فان حفلة كارلا كلفته خمسمائة ليرة ، وجاءت هذه
الخمير الخادعة فأنهت مفامرته معها بطريقة سخيفة ومقززة . وفكر
محققا : « لم تكن كارلا تريد شيئا آخر ، ولم تكن هناك اية حاجة
لكى اسكرها ، وعلى الآن ان ابدأ من جديد » .

وكان قد خرج الى الشارع عندما تذكر ان ليزا طلبت منه مساء
الأمس ان يزورها فى النهار . وبدأت له فكرة عودته الى عشيقته
القديمة سخيفة فى بادىء الأمر ، فلم يكن يطيب له ابدأ ان يرجع
الى الطرق التى سبق له ان سلكها ، وبدأت له هذه الزيارة مبتذلة .
ولكن كان لابد له من ارضاء شهوة الجنس التى ايقظتها كارلا فيه ،
وراح يقول لنفسه وهو يسير تحت المطر « اذا لم ارض حاجتى
فانى سأنفجر » .

ووضعت هذه الفكرة اجنحة فى قدميه ، فاستقل سيارة ومضى
بها الى بيت ليزا ، وصعد السلم وهو يتذكر فى شيء من الرضا
عدد المرات التى ارتقاه ، منذ عشر سنوات . ودق الجرس ، وما ان
فتحت ليزا الباب حتى قالت دون تفكير : آه ... أهو انت ؟
وجلست ، ونظرت اليه كما لو كانت تريد ان تسأله عن سبب
زيارته فقال مشدوها : اما كنت تتوقعين حضورى ؟ .. ومع ذلك
فقد جعلتنى اعتقد العكس بالأمس .

قالت وهى تشد جونلتها فوق ركبتيها : كان ذلك بالأمس وكان
الوقت ليلا ، ولم اكن ادرى ما اقول .
قال يحدث نفسه : انها مأكرة وتتمنع لكى تزيدنى وجدا على
وجد .

وأدنى مقعده منها وقال : ولكننى كنت مقنعا بأنك لا تهزلين .
قالت فى حدة : لعلى غيرت رأى ، وربما وقعت امور وامور
ما بين الليل والنهار . ثم ان لديك مارى جريس ، فكيف تحفل
بى ؟

— ان كل شيء قد انتهى بينى وبين هذه المرأة ، واننى احفل بك

الآن بالذات ، وقد جئت لكي أقول لك فلننس الماضي ولنتصالح .
وبسط يده الى ليزا ، فنظرت اليه ثم الى يده وقالت : نتصالح ؟
.. ولكننا لسنا على خصام .

قال ليو : آه . دعك من هذا الكلام ، فلا جدوى منه ، وارجوك
الا تتظاهري بالبراءة ، ولا تكوني بلهاء . انك تفهمني غرضي تماما ،
وقد تكلمت في وضوح ، وعندما قلت لك فلننس كل شيء عنيت
كل شيء حقا . نتصالح ؟ ولم لا ؟ اننى لأفعل طواعية ... اعنى
ان نبدا كما كنا من قبل . اننى لا أتكلم في غموض . والكلمة لك
الآن .

نظرت اليه مليا . ارادت ان تقول له ان الامر بينه وبينها قد
انتهى الى غير رجعة ، وانها تحب رجلا آخر يبادلها حبا بحب ،
الا انها رأت ان تماشيها حتى النهاية فقالت :

— ولكن من الذى يضمن لى انك تحبنى حقا ، وان حبك هذا
ما هو الا نزوة عابرة تعود بعدها الى ماري جريس ؟

قال الرجل وهو ينظر اليها بعينين مألهما الشهوة والرغبة
العارمة : كلا . اننى لن أعود الى ماري جريس لان كل شيء بيننا
قد انتهى .

والقى يده على كتفها ، وأدنى وجهه من وجهها ، ولكنها حاولت
أن تتخلص منه قائلة :

— آه . كلا . دعنى ... لا أحب ان يلمسنى أحد .
قال ليو فى ببطء ، وهو يزداد اقترابا منها بوجهه : ولكنك كنت
تحبين ذلك فيما سبق .

— ربما . ولكننى لم اعد كما كنت فيما سبق ... دعنى .
وحاولت ان تتخلصى منه من جديد فصاح : آه ... هذا هو
الامر اذن !

ونفض فجأة ، وانحنى فوقها وأمسكها من شعرها وطوحها الى
الخلف لكي يقبلها ، ولكن ليزا أسرعت فوضعت يدها فوق فمها
فقال : كفاك تمنا .

بدا له انها وضعت يدها فوق فمها امعانا لاثارته وانه اوشك ان
ينتصر وان يتغلب عليها ، ولكن المرأة عصفت بها غضب اعمى فجأة
فرفعت يدها عن فمها وصاحت محنقة : قلت لك دعنى .

غير ان الرجل انتهز هذه الفرصة واكب على شفيتها . وتحملت

قبلته وهى متوتره فى محاولتها للتحرر منه . واخيرا دفعته عنها فى غلظة بحيث فقد توازنه ووقع فوق المقعد . ونهض ورتب هندامه وهو يقول : ولكن فيم هذا التصرف الأحمق ؟ الم نتفق على المصالحة ؟

اشارت الى الباب فى حركة مسرحية وقالت : اخرج . امسكها ليو من شعرها فى غلظة ، ودفع المقعد بقدمه واخذها بين ذراعيه . ومرت بضع لحظات وهى تحاول التخلص منه ، وهو يحاول اعاقه حركاتها . وافلحت فى التخلص منه اخيرا ، وأسهرت راکضة نحو الباب ، واعتمدت بظهرها عليه وصاحت تقول : - اخرج .. اخرج والا صرخت فى طلب النجدة .

واصطبغ وجهها وتشوش شعرها ، وتهدل ثوبها عند كتفيها واعتمدت بيديها على الباب وراح صدرها يعلو ويهبط وعادت تقول : اخرج من بيتى .

ولكنها احست بأن شخصا يدفع الباب من الخارج محاولا الدخول فقالت دون ان تلتفت : لا داعى يا ماريا .. اننى لست بحاجة اليك .

واجابها صوت رجل من الخارج يقول : افتحى ... انا لست ماريا .

انسحبت ليزا بحركة آلية ، فانفتح الباب ودخل ميشيل . كان ممسكا بقبعته فى يده ويرتدى معطفا بلله المطر . ونظر الى ليزا المشوشة اللاهثة والى ليو الذى احمر وجهه وسرعان ما ارتسمت فى ذهنه صورة لما حدث .. اقبل ليو ليجدد علاقته بها ولكنها صدته ... وتجنب التصرف نتيجة لذلك ، بل انه احس احساسا مبهما بأنه يجب ان يفتنم هذه الفرصة لكى يقطع علاقته بليزا نهائيا ، فقد كان هذا هو التصرف الوحيد الذى تمليه مثل تلك الظروف ، وقال فى صوت واه حاول أن يجعله ساخرا : معذرة . كنت قد قررت الا اعود ، ولكننى عدت . اننى ازعجتكما فألف معذرة .

ثم انحنى انحناء متوتره مضحكة ، واستدار على عقبيه وخرج . وهذا ظهوره وخروجه من انفعال ليو فابتسم وقال :

اهذا هو الحب الكبير يا ليزا !

اومات برأسها ان نعم وهى مذهولة مكتئبة . وفجأة لم تحتمل فكرة رحيل ميشيل من غير ان يودعها ، ربما الى الابد ، فأسهرت

الى النافذة وفتحها على مصراعيها واطلت منها على الشارع . وكانت السماء تمطر ، ورات ميشيل يمشى فى هدوء على الرصيف المقابل مرتديا معطفه الاخضر فنادته قائلة : ميشيل !

وراته يدير ظهره وينظر اليها فى استغراب ، تم يعاود سيره فصاحت فى صوت أقوى « ميشيل » . وفى هذه المرة اشار الفتى بيده مودعا . واذ رات ليزا ذلك غادرت النافذة ، وكان ليو لا يزال واقفا فى منتصف الفرفة يتأملها ، فقال فى رفق كاذب :

— انه سيعود فلا تقلقى .. اننى اعرفه فهو من ذلك النوع الذى لا يستقر على حال ، ولك ان تطمئنى .

أثارها صوته واهانها وادماها . ومشت فى وقار كبير وقرعت جرسا مثبتا فى الحائط ، اقبلت الخادمة على اثره . فقالت تخاطبها :

— ماريا ... شيعى السيد الى الخارج .

كانت هذه هى النهاية ... نهاية مبتدلة مثيرة للسخرية . ومشى ليو نحو الباب وهو يفهم فى سفالة : حسنا ... اننى خارج يا ليزا .. اننى خارج ، وتحياتى الى ميشيل .

وانعش المطر روحه ففتح مظلمته وسار بضع خطوات دون ان يفكر فى شىء ، وعندما بلغ آخر الشارع انعطف الى ميدان كبير وقفت فى ناحية منه عند محطة الاوتوبيس جماعة من الناس فاقترب منهم ورأى بينهم ميشيل ، فبادره يقول :

— آه ... اهلا انت ؟

اجابه الشاب وهو ينظر اليه فى ضجر : نعم . اننى انتظر . وساد صمت قصير قطعه ليو بأن قال : حسنا . اننى عائد الى بيتى . سأصطحبك معى فى التاكسى ... تاكسى !

وقبل ميشيل الدعوة ، وفى سيارة الاجرة ، كان ليو اول من تكلم فقال :

— هل يمكننى ان اعرف لماذا انصرفت ؟ الم تفهم انها لم تكن تريد شيئا اكثر من بقائك معها .

لم يجبه ميشيل على الفور ، وراح ينظر من خلال نافذة السيارة الى واجهات البيوت المبتهمة ثم قال أخيرا : اننى متأكد من ذلك .

— لماذا لم تبق اذن ؟

— لاننى لا احبها .

ابتسم ليو وقال : ولكن هل تعتقد انه لابد للمرء من ان يحب المرأة التي يعاشرها .
اجاب ميشيل فى لهجة جادة دون ان يلتفت اليه : نعم ، اعتقد ذلك .

تمتم ليو يقول : اوه ، فى هذه الحالة ... انا مثلا ، التقيت بعدد من النساء لم احبهن ، وليزا نفسها عاشرتها دون ان احبها ، ولم اندم على ذلك . وانما استمتعت كثيرا . انها امرأة لا يستهان بها ... سميئة ولكنها صلبة العود .. ثم انها تستطيع ان تمنحك ما لا تستطيع ان تمنحه لك اية واحدة من هؤلاء الفتيات الصغيرات ... انها امرأة شبيقة ... امرأة حقيقة ناضجة ... ومن ناحية اخرى ، لا يمكن ان تجد عشيقة مثلها ، لها بيت تستقبلك فيه ، تدخله وتنصرف منه دون ان تجد من يعترض طريقك ، ولست مضطرا الى ان تختلف واياها الى احد هذه الفنادق الصغيرة التى قد يجد فيها شاب مثلك لم تصقله التجارب بعد ما لا تحمد عقباه . اضيف الى كل هذا ان ليزا لن تكلفك سنتيما واحدا ، فماذا تريد اكثر من هذا ؟

فكر ميشيل فى حزن ان كل هذا صحيح ، واخذ يتساءل ماذا عساه يفعل فى حين استطرد ليو يقول :
- لا تتردد يا عزيزى . ان الامر اسهل بكثير مما تظن ، وليزا لا تنتظر غيرك . عد اليها الليلة ، وسوف تستقبلك بذراعين مفتوحين .

- على اذن ان اظهر باننى احبها و ...
قاطعته ليو يقول : ولكن من الذى يجبرك على التظاهر ؟ .. انها على استعداد لان تضاجعك وهذا هو المهم ... اقبل واغتنم الفرصة .

وبقى ميشيل يفكر وأخيرا قال : انزلنى هنا .
وتوقفت سيارة الاجرة ، وهبط ميشيل منها ، وخاطبه ليو قائلا : اعمل بنصيحتى وامض الى ليزا .

وذكر عنوانه للسائق بعد ذلك ، وبلغ بيته بعد دقائق . وكان جالسا فى مكتبه يرتب بعض أوراقه عندما صلصل جرس التليفون فأمسك بالسماعة وسمع صوتا يقول : مع من أتكلم ؟
وعرف فى الصوت صوت ماري جريس فقال : هنا رقم ٣١٤٦٦ ،

فعاد الصوت يقول : هل اتكلم مع مسيو ميروميسي ؟ .. انا ماري جريس . ان كارلا لا تريد ان تذهب لكى ترقص فى الرتيز ، فهل تأتى معنا ؟

اجاب : ليكن .. ساكون لديكم بعد نصف ساعة .
وفرغ من تحرير رسالته ثم كتب رسالة اخرى دون ان يتعجل ، ولم يكن لديه اية اعمال حقا ، وكان كل نشاطه مقتصر على ادارة املاكه وبعض المضاربات العاقلة ، ومع ذلك فقد كانت امواله تزداد سنة بعد سنة ، فقد كان ينفق ثلاثة ارباع دخله ويستخدم الربع الباقي فى شراء الشقق وبيعها . وبعد ان فرغ من خطابات مضي الى مخدعه وحلق ذقنه ثم استبدل ثيابه ، ولم تمض نصف ساعة اخرى حتى كان يطرق باب آل اردننجو .

وكانت كارلا جالسة فى الصالون ، وكانت ترتدى ثوبا خفيفا وردى اللون ، وقد تجملت استعدادا للخروج ، وقالت :
- ستأتى امي حالا .

قال ليو وهو يجلس هو الآخر ويفرك يديه : حسنا ، وانت ؟ كيف حالك ؟
- لا بأس .

وساد صمت قصير ، واخذ ليو يد الفتاة وطبع عليها قبلة قائلا : حسنا . ماذا تفعل ؟

اجاب : سوف نرقص ، وسوف تتناول العشاء معنا الليلة ، اليس كذلك ؟

- العشاء ؟ .. ربما لا .. ولكننى سأتى بعد العشاء حتما .
وتناهى الى سمعهما صوت ابواب تفتح ، فسحبت كارلا يدها على الفور ، ودخل ميشيل وصاح يقول فى مرح مصطنع : آوه ...
ما هذه العظمة ! .. طاب مساؤك يا ليو ؟ .. اين تذهبون ايها القوم الاثرياء السعداء بكل هذه الأناقة .

اجابت كارلا كما لو كانت فى الكلام : سنذهب للرقص .
جلس ميشيل وهو يقول : الرقص ؟ .. سأتى معكم اذن ؟ هل تدعيننى ؟

- ان ايو هو الداعى .
ارهدف ليو اذنه وقال يحدث نفسه : على اللعنة اذا كنت قد دعوت احدا ما .

وقال ميشيل محتجا : لا اريد ان اثقل على ليو ، فما زال معى ثمن الشاى .

واسرع ليو يقول تحت نظرة كارلا : ما هذا القول . اننى انا الداعى ، وسأدفع عن الجميع .

ولزموا الصمت لحظة ثم قالت كارلا : ستأتى معنا يا ميشيل اذن ؟ .. ولكن امض واستبدل ثيابك أولا .

وما ان اغلق الباب خلفه حتى تمتت تقول : اننى حزينة .
- لماذا ؟

- لا أدرى .

ونظرت الى النافذة ، وكان المطر لا يزال يهطل فى الخارج ، وقالت : ربما بسبب الطقس .

ومالت رأسها فى وهن نحو الرجل ، فأخذها هذا الاخير بين ذراعيه وطبع قبلة على شعرها فقالت فى هدوء وبدون حياء : سوف ترقص معى . ومعى وحدى ، وسوف تترك أمى فى مقعدها .. عليها ان ترقص مع غيرك .. أو مع ميشيل .. ولم لا ؟

وضحكت ضحكة جافة ، وبدا كأنها كبرت سنة .. نعم .. كانت هذه هى النهاية . وتعانقا ، ثم قال ليو فى هدوء :

- ستأتين عندى الليلة .. اليس كذلك ؟

- عندك ؟ .. أين ؟

وامتقع وجهها فى حين اجاب هو : فى بيتى طبعاً .

ونظر اليها ، ورآها تتردد وتحنى رأسها كما لو كانت تبحث عن شىء فوق الأرض . وقالت أخيراً : كلا .. هذا محال .

ولزما الصمت ، وراح ليو يتأملها . اثاره صدرها الذى راح يعلو ويهبط تحت ثوبها ، واضطرم وجهه وراح يفكر قائلاً : « لسوف تكون عشيقة رائعة » . وتوترت شفتاه لفرط الرغبة ، وامسك كارلا من خصرها وقال :

- يجب ان تأتى .. يجب ان تأتى حتما .. والا .. والا فكيف يتسنى لك ان تبدئى حياة جديدة ؟

نظرت اليه هى الاخرى وهى تفكر قائلة : « انه لا يبحث الا عن لذته . انه على حق . والحياة الجديدة ؟ » وادركت انه لكى تغير حياتها لابد لها من ان تدمرها دون اية رحمة ، بيد ان فكرة

ذهابها ليلا الى بيت غريب سبب لها نفورا ودعرا ، وقالت في بساطه زائفة :

— افضل ان يكون ذلك بالنهار . سأتى ذات يوم وسنتناول الشاي معا وتبادل الحديث .

قال ليو : ليس الشاي ما اريد وانما اريدك أنت سأسطرك في الشارع بسيارتى ، وسأعود بك قبل طلوع النهار وسوف ترين ستغبتطين بحيث تعودين كل ليلة .

قالت في شيء من الدعر : كلا . . . كلا . . . يجب ان يكون كل شيء واضحا قبل اى شيء آخر .
ومحرت . « كل ليلة ! » .

وقال ليو : اننى واثق انك ستأتين . . اليس كذلك ؟
تشبثت بحجة اخيرة فقالت : ولكننا لم نتحاب الا منذ يومين ، فلماذا لا ننتظر قليلا . . الا تظن ان لكل امرأة كبرياؤها .

اسرع ليو يقول : طبعاً يا حبيبتي سأنتظرك اذن .
ولكنها ترددت مره اخرى وعقدت حاجبيها ، وقالت اخيرا :
سأقول لك أثناء الرقص . . نعم ، أثناء الرقص .
قال ليو يحدث نفسه « الحمد لله » وقبلها .
واقبلت ماري جريس على اثر ذلك وقالت : حسناً يا ميروميس . . هل نخرج ؟

اجاب وهو ينهض : نعم . فلنخرج . اننا على استعداد .
ونهضت كارلا هي الاخرى ، وتقدمت للقاء امها . وقالت لها
هذه الاخيرة وهى تفحصها من اعلا راسها الى اخمص قدميها : لماذا
لم تأخذى الكيس الذى اهداك ميروميس اياه ؟ انه يتلاءم تماماً مع
هذا الفستان .

قالت كارلا : سأذهب لكى آتى به ثم أعود .
وخرجت ، وصعدت الى غرفتها راكضة . كان الكيس فوق طاولة
الزينة ، وكان انيقاً حفا ويدل على ذوق سليم . وفيما هى تضع
يدها عليه خطر ببالها ان هذه الهدية انما هى الاولى من هدايا
كثيرة . ووقفت مذهولة وهى ترى نفسها بعين الخيال جالسة فوق
ركبتى ليو يلاطفها ويداعبها . سوف يصطحبها الى محلات الازياء
الراقية ويشتري لها كل نفيس وغال . وسوف يكون كل هذا
جذاباً . وسوف نمتلك ايضاً سيارة وبيتاً ومجوهرات ، ونسافر

وترى الناس والبلدان .. صفوة القول ، سوف لا تقف عند حدود نشاطها الخاص ورغباتها الخاصة . يا له من حلم جميل ! وابتسمت على الرغم منها وهى تفكر فى كل هذا ، ولكنها لم تلبث ان سرت فى بدنها قشعريرة فجأة فقد رأت فوق عنقها بقعة صغيرة حمراء . ولم تفهم معناها فى بادئ الأمر ، وراحت تحكها باصبعها ، ثم تذكرت أخيراً ان ليو قبلها منذ لحظات فى الصالون ، وتملكها خوف كبير خشية من أن تكون أمها قد رأتها ، واخذت بدارتها وراحت ترش المسحوق فوقها ، وفيما هى تتلوى امام المرأة لكى ترى اذا كانت البقعة قد اختفت بدت لها دعوة ليو بأن تذهب الى بيته الليلة مرتبطة بتلك الهدايا والازياء التى تتمناها ، وقالت تحدث نفسها فى فزع مصطنع : يا الهى ! .. أهذه هى حياتى الجديدة ؟ ولم تجد متسعاً من الوقت لمزيد من التفكير فقد تناهى الى سمعها ، من الحديقة صوت بوق السيارة وهو يستعجلها فأسرعت بالهبوط .

وكان البهو مظلماً فاجتازته وهى تتحسس طريقها وفتحت الباب ، واستقبلتها أصوات فرحة من أمها ومن ليو وميشيل . وكانوا ينتظرونها فى السيارة . وكان المكان غارقاً فى الظلام ، ولم تميز كارلا الا السيارة من بريق معدنها الذى كان يلمع فى جوف الليل ومن مصباح باهت يلقى بضوئه داخلها . وسعدت كارلا وانطلقت السيارة .

ولم ينطق أحد من الاربعة بكلمة واحدة طوال الرحلة . وبلغوا فندق الرتيز بعد لحظات . وكانت تقف أمامه وحوله بضع مئات من السيارات . ومروا امام غرفة الثياب ، وكانت تعج بالمعاطف المرقمة . واجتازوا بضعة صالونات مقفلة افضت بهم الى صالة الرقص . وكانت هناك ، بجوار الباب ، منضدة صغيرة يجلس امامها رجل يبيع تذاكر الدخول . ودفع له ليو ودخلوا جميعاً .

وقالت الام فى اعجاب وهى تردد البصر حولها : ان المكان شديد الازدحام . ستجدين يا كارلا اننا لن نجد مكاناً نجلس فيه . ومع ذلك ، فقد وجدوا منضدة شاغرة فى أحد الأركان ، فجلسوا ، وخلعت ماري جريس معطفها وقالت وهى تردد البصر حولها :

— اننى ارى من المعارف اناسا كثيرين ... انظرى يا كارلا ..
ها هم آل فالنتين .

— وها هم آل سانت اندريه يا اماه .
واردفت مارى جريس تقول : وآل كونترى .
وانحنت قليلا نحو ابنتها وعقبت قائلة : وبمناسبة آل سانت
اندريه ، اظنك تعرفين انهم قضوا شهرين فى باريس فى رحلة شهر
العسل .. حسنا ، عندما سافروا كانت عربة النوم تضم العريس
والعروس وعشيق العروس .. اننى نسيت اسمه .

— جورجيتى ... يا لها من قصة .. انها تبدو قصة خيالية .
وكانت الموسيقى قد سكتت . وعاد الراقصون الى اماكنهم بعد
التصفيق . وارتفعت فى الصالة همسات الحديث على الفور .
وتحولت الام الى عشيقها وقالت :
— ما رايك فى ان نذهب الى المسرح الليلة لسماع هذه الفرقة
الفرنسية .

اجاب الرجل وهو يلقي نظرة سريعة الى كارلا : لا استطيع
الليلة ... فلدى موعد فى الساعة الحادية عشرة لا يمكننى التخلف
عنه .

قالت الام فى صوت حميمى وساخر فى نفس الوقت : موعد
فى الساعة الحادية عشرة مساء ... قل لى يا ميروميس ، اهو مع
رجل ام امرأة .

تردد ليو .. هل يثير غيرة مارى جريس ام لا . واخيرا قال : موعد
مع امرأة طبعاً . ولكننى لم احسن التعبير ... انه ليس موعدا وانما
مجرد زيارة ... دعوة للعشاء ... سأتناول العشاء عند سيدة
تستقبل بضعة اصدقاء .

سأله الام فى صوت قاس : ومن هذه السيدة ؟ هل يمكننى
ان اعرف ؟

استولت الحيرة على ليو ، فهو لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال .
وبحث فى ذهنه عن اسم امرأة لا تعرفها مارى جريس وقال اخيرا :
— انها مدام سميتسون ... تلك السيدة التى تشتغل برسم
اللوحات الزيتية .

— مدام سميتسون .. ما هذا القول ؟ .. ولكنها سافرت الى
ميلانو منذ خمسة ايام .

صاح ليو : ماذا ؟
واسقط في يده ، وعادت ماري جريس تقول وهى تنفث كلماتها
كما لو كانت تنفث السم الزعاف : امض اذن الى مدام سميتسون
... ولكننى اخشى ان لا تستطيع اللحاق بها ، حتى اذا ركبت القطار
او الطائرة .. آه ، يا صديقى العزيز ... ان للكذب سيقانا قصيرة
.. ولكن هل تريد ان اقول لك من هى السيدة التى يجب ان
تزورها ؟ . لا ريب انها واحدة من بنات الهوى القذرات .

وما سمعت كارلا هذه الكلمات حتى امتقع لونها بحيث خشى ليو ان
ينمى عليها او ان تنفجر بالبكاء . ولكن شيئا من هذا لم يحدث .
واكتفت كارلا بأن قالت : هلم بنا نرقص يا ليو .
وسارا الى حلبة الرقص ، وكانت كارلا لا تزال ممتعة اللون .
ولكن وجهها كان متسما بنوع من التحفظ المتعالى . وعندما همت
بان تأخذ يده رفعت رأسها اليه وقالت فى عزم : سأتيك الليلة
طبعاً يا ليو ، وما عليك الا ان تنتظرنى .

وخيل ليو انها تتكلم وهى تجز على أسنانها فقال : اتعنين
ما تقولين حقاً ؟

— نعم . تماماً .

وراحا يرقصان وكل منهما نهب لأفكاره . كان ليو يكاد يطير لفرط
الفرح ، ويقول لنفسه : هذه المرة أصبحت لى ... أصبحت لى ...
اما هى فقد استولى عليها الارتباك وأخذت ترقص على مضض ،
فقد كانت تود لو أن تخرج وتجلس فى مكان ما وتطبق عينيها .
ولكن الراقصين كانوا يدورون حولها بدون انقطاع بحيث لم تجد
الجرأة على أن تنتزع نفسها من بين ذراعى ليو .

وانتهت الرقصة . وغاد الراقصون الى أماكنهم ، ومن بينهم
ميشيل وامه ، وكانا يتشاجران . وعادت ماري جريس تقول ساخطة :
— هذه آخر مرة أرقص فيها معك .

سألها ليو : لماذا ؟

— آخر مرة . تصور ... كان الجميع ينظرون إلينا . ومن يدرى
ماذا كانوا يقولون عنا ... انه كان يرقص .. ماذا أقول ...
كان يرقص كما لو كان لصا ..
قال ميشيل وهو يفتصب ابتسامة : وكيف يرقص اللص ؟ ..
ومن هو اللص بيننا ؟ اهو أنا أم ...

قالت الأم وهي تردد البصر حولها : اسكت .
ولكن ميشيل لم يسكت واستطرد يقول : يبدو لى انه كان يجب
ان ارقص كالمسروق .. كرجل سلبت منه ثروته واحاسيسه
وانفعالاته ولكى تعرفى كيف يرقص اللصوص يجب ان ترقصى مع
رجل آخر ... بكل تأكيد .

ونظر الى ليو مليا وعاد يقول : نعم ... مع رجل آخر .
وقف ليو لحظة بين المراتين ، جامدا لا ينطق ، ثم ابتسم اخيرا
وقال :

— اظن يا ميشيل ان شيئا قد حدث لك حقا . لا يمكن ان يستمر
الأمر هكذا ... يجب ان تنصرف يا عزيزى ... أو لعلك تريد
ان انصرف انا ؟

تأوهت الأم قائلة : نعم يا ميشيل .. انصرف .
ولم يسع ميشيل عندئذ الا ان يقول : اذن فأنت تفضلين طرد
انك بدلا من رجل غريب كلىو .

— ولكن ليو هو صاحب الدعوة .
ولم يجد الشاب ما يقول بعد هذا فأحنى راسه وتمتم : انت على
حق . أننى منصرف . أمرحوا كما يحلو لكم ... ان اللص خارج .
وانصرف . وبعد خمس دقائق كان فى بيته . واجتاز الحديقة
ركضا ، تحت المطر الذى ازدادت حدته . وكانت الليلة حالكة
الظلام ، وكان البهو مظلمًا هو الآخر . والقى مظلته وقبعته فوق مقعد
ومضى الى السلم دون ان يضىء النور وهو يتحسس طريقه ، ولكنه
حين مر أمام الصالون رأى بصيصا من النور من خلال ثقب المفتاح
وسمع موسيقى هادئة ففتح الباب ودخل . وكان النصف الاول من
الصالون ، حيث يجلسون عادة للحديث مظلمًا . أما النصف الآخر ،
فيما بعد القنطرة الصغيرة فكان مضاء ، وكانت ليزا جالسة امام
المعزف تجرى بأصابعها على ملامسه .

وقال ميشيل يحدث نفسه فى ضجر : « انها جاءت لكى تفسر لى
موقفها ، كما لو كنت لم أفهم » . وجلس فوق مقعد بعيدا عن
النور وقال فى هدوء : اننا ذهبنا الى الريتز ، ولكن تملكنى الضجر
فانصرفت .. ثم ، تصورى اننى تشاجرت مع ليو .

مضت اليه وجلست بجواره بقدر ما استطاعت وقالت : ولماذا ؟ ..
لعلكما تشاجرتما بسببى .

نظر ميشيل اليها وود لو ان يضحك . وكان الجواب حاضرا على شفثيه ، وود لو ان يقول لها « ايتها المسكينة ليزا ... ماذا يجب ان افعل لكى اقنعك بأننى لا احبك ؟ » ولكنه أشفق عليها واكتفى بان قال :

— كلاً . لم تكونى انت السبب .. انما تشاجرنا بسبب امى .
قالت ليزا وهى تشعر بشيء من خيبة الامل : آه ... اننى افهم . حسبتك غضبت منى ومن ليو .

اجاب ميشيل : ابدا ... ولماذا أغضب ؟
استطردت ليزا : « اننى افهمك . اوه ، نعم ، اننى افهمك ، ولهذا اتيت اليك لأفسر لك موقفى . اذا كنت تعتقد ان هناك شيئا بينى وبين ذلك الرجل فاننى اؤكد لك انك مخطيء . لا اخفى عليك أنه كانت بينى وبينه علاقة ... كان يحبنى » . وابتت بإشارة لكى تعبر بها انها تشير ماضيا بعيدا « وكنت انا صغيرة وبحاجة الى المساعدة ، وكان ملحا وساعدته الظروف فاستسلمت له .

قال ميشيل دون ان يقصد تقريبا : ولكننى سمعت انك تزوجت بعد ذلك .

اجابت فى بساطة كبيرة : هرب زوجى بعد عام من زواجنا ... واخذ معه كل مجوهراتى .

وبقيت حاملة لحظة ، ولكن من غير حزن او ضيق كالشخص الذى يحاول ان يستأنف حديثه بعد مقاطعة تافهة : واستسلمت له ودامت علاقتنا ثلاث سنوات ... ثلاث سنوات عندما رايت فجأة اننى لا احبه واننى لم احبه قط ، فافترقنا .

قال ميشيل يحدث نفسه : او بالأحرى هجرك بسبب امى .

— ولم ير أحدا الاخر بعد ذلك الا بضع مرات حتى ... حتى اليوم .. جاءنى ولا ادرى بأية نوايا . كان يظن ان من الممكن ان يعود الماضى (وانفجرت ضاحكة كما لو كانت تريد ان تشير الى سخافة آمال ليو) كما لو انه كان باستطاعتى ان انسى سلوكه حيالى . وما لو انه ليس فى الدنيا غيره . انه يتصور ان ما عليه الا ان يأتى لكى يحصل على ما يريد .. وكنت أهم بطرده بالذات حين أقدمت نت . هذه هى الحقيقة ، ولك ان تصدقنى ، وأقسم لك بكل عزيز لدى على ذلك .

وأدنت وجهها من وجهه وأردفت تقول : اننى لا احب احدا غيرك .

لم ينطق ميشيل ، وطوح برأسه الى الخلف قليلا ، ونظر اليها فى اشمئزاز وضيق . وازدادت ليزا انحناء فوق انحناء مقعدها . وكان ثوبها ضيقا فانحسرت جونلتها عن ساقها وتكشفت عما فوق ركبتيها بقليل ، واثاره هذا المنظر وقال لنفسه : ان ليو على حق . انها امرأة لا يستهان بها « ولكن خسة هذا الخاطر الذى خطر له ، واحساسه بالكذب الذى يعيش فى داخله اوحيا اليه بنفور كبير ارتجفت له شفتاه ، وتراجع فى مقعده الى الخلف وقد خفض عينيه .

وصاحت تقول قبل ان ينطق بكلمة وقد افزعها ان تراه متحفظا بعد ارتبأكه القصير على اثر رؤيته عريها : لا تنظر الى هكذا ، أرجوك تكلم ... قل لى رايك .

وكان النور قد بدا يخفت شيئا فشيئا وهو يتكلم ، وأخذ الظلام يلف الغرفة بما فيها لحظة بعد أخرى ولم يلبث ان انطفأ النور نهائيا فصاحت ليزا : ما هذا ؟

— لا شيء .. لقد انقطع التيار ، وما علينا الا الانتظار .

صمت وظلام وصوت هطول المطر وفجأة ، أحس ميشيل بيد توضع فوق يده فقال لنفسه : « ها هى ذى اللحظة المناسبة لكى انسى وأصفح واستسلم للعاطفة فى الظلمات المواتية .

ورأى بعينى الخيال فخذها العارى الذى اثار فيه كوامن الشهوة ، ولم يشعر الا وهو ينحنى الى الامام ويقبل أصابعها . وفكر متقززا ومفتبطا فى نفس الوقت : « الآن انتهى كل شيء ، وما على الا أن اطوقها بذراعى وأقبل فمها » وهم بأن يفعل ذلك عندما تناهت اليهما اصوات وضحكات مرحة فتح باب الصالون على اثرها وانقشع الظلام على ضوء مرتجف منبعث من شمعة رسم فى السقف ظلالة كبيرة ، ودخلت ماري جريس ومن خلفها ليو وكارلا .

كانوا يتقدمون فى خطوات حذرة محاولين التعرف على الشخصين الجالسين ، وعرفت ماري جريس ليزا فصاحت : آه ... أهذه أنت .

وقالت كارلا بدورها : هل اتيت ثانية ؟ هل انقطع التيار منذ وقت طويل ؟ .. اننا رقصنا ولهونا ... تصورى ان ليو حمل أمى على ان ترقص الشارلستون .

قال ليو : وكانت بارعة فى هذه الرقصة .
تنهدت الأم قائلة : آه . لا تحدثنى عن الشارلستون بعد اليوم
يا ميروميس .

وارتمت فوق مقعد بادية التعب واستطردت : تصورى يا ليزا انه
ابتعد عنى ونحن نرقص وراح يحرك ساقيه وهو يقول : « افعلنى
مثلنى . » ولم أطعه فى بادئ الأمر ، ولكننى بعد خمس دقائق
كنت أرقص خيرا من الآخرين . ان رقصة الشارلستون سهلة جدا .
قالت كارلا : ولكن لا يمكن القول بأنك تعرفين هذه الرقصة حقا .
— لا يمكن القول ... أوه ، انظرى ، سأرقصها الآن وسترين كم
هى سهلة حقا .

ونهدت الأم وقد ارتسمت امارات الغضب على وجهها وخلعت
معطفها والقتته فوق احد المقاعد ، وقالت تخاطب ليزا .
— هل لك ان تعزفى مقطوعة لاحدى رقصات الشارلستون يا ليزا .
جلست ليزا أمام البيان ، واخذت تبحث بين الاسطوانات ثم
قالت تسأل : ماذا تريدن ؟ .. فوق الباخرة او ليلة فى نيويورك ؟
— ليلة فى نيويورك .

بدأت ليزا العزف فى حين وقف ليو بجوارها ممسكا بالشمعة ،
وبقيت كارلا مكانها ، هى وميشيل فى الظلام ، لا يتحركان .
وارتفعت انغام الشارلستون الحارة ، وراحت مارى جريس تتلوى
وتتشنى والشمعة تلقى ضوءها على وجهها المتعب المتفرض ، وثوبها
الضيقة يعرقل حركاتها . ووراحت تطوح بقدميها يمينا ويسارا
محاولة تتبع انغام الموسيقى ، ولكن يبدو أنها نسيت الدرس الذى
لقنها ليو اياها لانها توقفت بعد دقيقة ونظرت الى عشيقها بخيبة أمل
وقالت :

— لا أدرى . انها ليست نفس الرقصة التى رقصناها فى الريتز .
وقالت كارلا : أرايت يا امه ؟ .. اننى كنت على صواب .
قالت الأم محنقة : ابدا . ولكنها ليست نفس الرقصة .
تقدم ليو وفى يده الشمعة ووقف بين المراتين وقال : هذا لا يهم
... سوف تتقنينها فيما بعد .

لزم الجميع الصمت . وكان المطر قد اشتد فى الخارج ، وراح
يهطل مدرارا ، وقالت كارلا

— هلموا بنا لكى نستبدل ثيابنا لتناول طعام العشاء .

وقالت الام وقد عقدت العزم على ان تنتزع من عشيقتها موعدا فى اليوم التالى :

ستتناول العشاء معنا ياميروميس ... اليس كذلك ؟
اجاب ليو : كلا ... بل أعنى نعم .

ومضوا نحو الباب ، الواحد خلف الآخر . وكانت مارى جريس هى التى تحمل الشمعة عندئذ وقالت : من يحبنى يتبعنى . وضحكت كارلا . واقترب ليو من ميشيل ، وكان لا يزال جالسا وقال له : حسنا . هل عملت بنصيحتى . لا تنس ما قلت لك . ان ليزا امرأة لا يستهان بها . سمينة بعض الشيء ، ولكنها ذات خبرة .

وصعدوا السلم جميعا وهم يتكلمون ويتزاحمون ، وفى الطابق العلوى وجدت كارلا شمعتين أخريين أخذتهما أمها ، وجرت ليزا معها لكى تريها ثوبا جديدا .

وبقى ليو وكارلا وحدهما فى الصالة . أحدهما امام الآخر . ووضع ليو الشمعة على المنضدة وقد بدت فى عينيه امارات الرغبة الشديدة وراح يضغط على يد كارلا وأمسها من خصرها ، وكانت لا تتوقع ذلك فتمتمت تقول : كلا يا ليو .. كلا .. حذار .

وراحت تلقى حولها نظرات فزعة ثم استسلمت أخيرا . وظهرت ليزا فى هذه اللحظة ، وراتهما متعانقين فى وسط الصالة ، فارتدت خطوة الى الوراء واختبأت خلف ستارة كبيرة ثم أزاحتها قليلا وألقت نظرة متلصصة فراتهما ما زالا متعانقين ويتمايلان يمنا ويسرة وقد التصقت شفاههما فى قبلة طويلة . وراح قلبها يدق فى عنف ، وكفت عن مراقبتهما وقد استولى عليها الرعب والارتباك . وعندما نظرت اليهما من جديد ، وفى حذر شديد كانا قد انفصلا وراحا يتكلمان .

قال ليو : يبدو لى ان هذه الستارة قد تحركت .
وأردف يقول ضاحكا : أيتها الروح ، اذا كنت هناك فدقى دقة واحدة ، وأذا لم تكونى هناك فدقى دقتين .

كان يقلد هواة محضرى الأرواح . وراحت كارلا تضحك على مضض وقو توترت ملامحها شيئا ما . وودت ليزا وهى خلف الستارة أن تدق دقة ليعرفا بوجودها ... ما أشد ما يكون هلهما عندئذ .

وقال الرجل : اجلس هنا على ركبتى .

— ولكن ... ربما يأتى احد با ليو .

— لا تخافى .

حفيف ثوب . واتسعت عينا ليزا . كلا . انها تحلم . كانت كارلا جالسة فوق ركبتى ليو وقد توتر جسدها بعض الشيء .
— هيا يا صغيرتى . اذا كنت هنا فاعطنى قبلة ، واذا لم تكونى هنا فاعطنى قبلتين .

وصمت . أحتت كارلا رأسها فى وهن . وفجأة ألقت نفسها فى أحضان الرجل فصاحت تقول « كلا يا ليو ، لا تفعل هذا » . وانتهرت ليزا الفرصة ففادرت مكانها وعادت الى غرفة الأم فى صمت ومن غير أن يصدر منها أى صوت .

أعقب دهشتها الأولى فرح انتقامى ، وحدثت نفسها تقول :
سأتى الآن بمارى جريس وأريها ماذا يفعل حبيبها ليو . ولكنها ما كادت تدخل الغرفة وتقع عيناها على صديققتها حتى هدأت ، وزال شعورها الانتقامى ، فقد ألقتها تدرع الغرفة جيئة وذهابا وهى لا تنفك ترنو فى زهو وخيلاء لكى ترمى تأثير فستانها الجديد ، وقالت تخاطب ليزا بمجرد أن وقعت عيناها عليها .

— اليس جميلا ؟ .. ولكن به عيبا يكاد لا يلحظ ، وهو هذه الثنية فوق الخصر مباشرة . ما رايك لو وضعت شريطا فوقها ؟ أو حزاما ذهبى اللون ؟ انها ثنية لعينة .

واعتراها شعور من الاشمئزاز لم تكن تعرفه من قبل ... شعور بالاشمئزاز يدور حول شباب كارلا والدمار الذى سستمخض عنه هذه المفامرة . لم تشعر باى سخط أو اية دهشة وانما أحست برثاء كبير نحو ماري جريس وليو وكارلا جميعا ، ونحوها هى بالذات .
واخانتها المشاعر الجديدة التى تحس بها . كانت متعبة جدا .
واخيرا أحست بالرغبة فى الانصراف والتفكير وحدها فى أحداث اليوم فقالت : سأعود الى البيت :

وفتحت الباب وخرجت ثم صفقته فى عنف لكى تنبه العاشقين ، ومضت الى الصالة ، ووقفت كارلا على الفور وأسرعت للقائها وقالت :

— سأشيعك حتى الباب . أما أنت يا ليو فعليك بالبقاء خمس دقائق فى الظلام .

— وأضاءت الشمعة وجهها ، واستطاعت ليزا ان ترى عينيها المتعبين والمضطربتين وصدغيها الشاحبين . واحسست اخيرا برغبتها

فى أن تتكلم وتنطق بما رات ، ولكن كارلا كانت قد سبقتها الى السلم .

ولبست قبعتها ونظرت الى المرأة لكى ترى صورتها دون أن تكف عن النظر الى كارلا من ركن عينيها . وسألتها تقول فجأة :
- ماذا بك ؟ .. أرى أنك لست كعادتك كل يوم .

قالت كارلا مشدوهة : أنا ؟ ليس بى شىء .
استطردت ليزا تقول : هل تعرفين أنك شاحبة اللون ؟ .. يبدو لى أنك ترهقين نفسك .

لم تنطق كارلا . وتساءلت ليزا هل تتكلم أم لا . ولبست معطفها وعندما همت بأن تخرج أخذت يد كارلا وتبادلت المراتان النظر ، ولم تحتمل كارلا نظرة صديقتها الفاحصة ، وأطرقت براسها .
وقالت ليزا فجأة فى انفعال : كارلا ؟ .. ماذا يحدث ؟
- ولكن ... لا شىء .

واستولت الحيرة على ليزا ، وترددت فى الخروج ثم قالت فجأة : قبلينى اذن .

وتعانقت المراتان ، ولكن ليزا أحست بالحزن وهى تضع قبلة على الوجنتين الباردتين وقالت لنفسها فى شىء من الأسى : كلا . ما هكذا يجب أن أتكلم . واردفعت تقول فى ارتباك :

- ولا تنس أن تأتى لزيارتى اذا واجهتك أية مشاكل ، وإن تخبرينى بكل شىء . لا تخفى عنى شيئاً .

قالت كارلا فى خجل : طبعاً ... طبعاً .

وخرجت ليزا على اثر ذلك واغلقت الباب .

وصعدت كارلا السلم وهى تفكر . افزعته كلمات ليزا شيئاً ما . أتراها اشتبهت فى شىء ؟ ولكنها لم تلبث أن اقصت عنها هذا الظن . فقد بدا لها بعيد الاحتمال لأن مفامرتها مع ليو لم تبدأ الا منذ يوم واحد ، ولم تقض ليزا فى البيت أكثر من بضع ساعات ... الا اذا كان اختفاؤها العجيب بالأمس قد أثار ظنونها ، وقالت : مهما يكن سواء ضمنت أم لا فأننى سأذهب الليلة الى بيت ليو .

وصعدت السلم فى بطء وهى تقول : « اذن فأنا استقبل حياتى الجديدة » . كانت تود أن تشعر بالهدوء ، ولكنها لم تستطع ذلك ، فان قلبها راح يدق فى عنف ، وعصف بها احساس من الضيق

والتردد وتنهدت وهى تتمنى أن تمر الساعات الباقية بأسرع ما يمكن .

وعلى ضوء الشمعة الباهت رأت ليو جالسا فى مقعده بالصالة ، فألقت بالشمعة على المنضدة وقالت : عجبا لهذا النور الكهربى الذى يابى أن يعود .

ولكن الرجل بدا كأنه لم يسمعها ، وأخذ يدها قائلا : الليلة ، فى بيتى اذن ؟

ولم تجد كارلا الوقت لكى ترد فقد انفتح أحد الأبواب وظهرت مارى جريس وفى يدها شمعة وقد التفت فى شال أسود كبير وعلى وجهها تعبير خبيث ، وقالت تخاطب عشيقها دون أن تجلس .

— ان ايزا انصرفت . ولعلك ياميروميس كنت تؤثر ان ادعوها للعشاء . ولكن ماذا تريد ؟ .. ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، ثم ان صديقتك العزيزة ستجد الوقت الكافى لكى تستعد لزيارتك ... الليلة .

وضحكت ضحكة متهورة وهى تنطق بالكلمة الاخيرة ومضت الى السلم من غير ان تنتظر الرد .

— اين تذهبين يا امى ؟

اجابت مارى جريس من غير ان تلتفت : اظن ان ساعة العشاء قد حانت .

وهبطت درجات السلم فى ببطء وهى تمسك بالشمعة بيد وتتعتمد بالآخري على الدرابزين الخشبى ، واستأنفت تقول :

— ولكن اذا اردت ان تلحق بليزا فلا تتردد .. سيان عندى بقيت ام رحلت .

وضاعت الكلمات الاخيرة فى السلم الذى لفه الظلام ، فان مارى جريس كانت قد بلغت أسفل الدرج ، وتحول ليو الى كارلا عندئذ وقال :

— ان امك لن تتغير ابدا ... اذا ما تسلطت عليها فكرة فلا يمكن حتى للشيطان ان ينتزعها منها .

واتى باشارة من يده تدل على السخط والفضب ، ولكن كارلا نظرت اليه فى قلق وفى شىء من الذعر وقالت :

— هل تدري ماذا اظن ؟ .. اظن ان ليزا ضمنت شيئا .

— ماذا ؟

— لا أدري .. ولكن يخيّل لى من اللهجة التى كلمتنى بها .
— فلتخمن ما يحلو لها ... فأنا كما تعرفين ...
وحاول ، فجأة ، ان يجذب الفتاة اليه ولكنها قاومتها دون ما سبب
وصدته قائلة : كلا ... حسبك ما فعلت الآن .
وحاول مرة أخرى ان يمسكها من خصرها وقد توتر وجهه لفرط
الانفعال ولكنها قالت : كلا .

وقاومته فى عنف غريب وقد امتلأت عيناها غضبا ، واصطدمت
فى مقاومتها بالمنضدة فوقعت الشمعة التى فوقها على الارض
وانطفأت .

وساد ظلام تام ، وهبطت كارلا السلم مسرعة ثم خيم الصمت .
وقال ليو وقد بقى وحده فى الظلام : « ما أغرب هذه الفتاة !
تتركنى اداعبها وبعد خمس دقائق تأبى أن اقبلها على جبينها » .
لم يكن مفيظا وانما كان مذهولا بعض الشيء .. تبخرت شهوته
وهدأت نفسه ، وراح يردد البصر حوله فى الظلام وهو يبحث عن
علبة الثقاب فى جيبه ، ثم أضواء عودا وانحنى فالتقط الشمعة
وقال : « فلأذهب الآن لتناول الطعام ... ومشى بضع خطوات
ثم تذكر انه نسى أن يقول لكارلا متى وكيف يلتقيان فى بيته ، فعاد
الى المنضدة ووضع الشمعة فوقها ثم كتب على احدى بطاقاته بحروف
كبيرة : « سأنتظرك بعد ساعة عند باب الحديقة » وقال يحدث
نفسه « سأعطيها هذه البطاقة عند انصرافى » . ثم أخذ الشمعة
وهبط .

كانت هناك شمعة واحدة فوق المائدة ، وكان نورها لا يكاد يبدر
ظلام الغرفة ، ولم يتبين من الأربعة الجالسين غير وجوههم ، وجلس
ليو بدوره وراح يأكل فى صمت . ولم ينطق أحد من الآخرين ،
فقد كان كل منهم فريسة لأفكار ملحة . ولكن مارى جريس كانت
أكثرهم اضطرابا وانشغالا دون أى شك . فقد دفنت ذقنها فى
راحتيها المجتمعتين وراحت تنظر الى شعلة الدبالة المتراقصة وقد
ظهرت الفضون بين ثنيتي شفتيها فى وضوح مرير .

ونظرت الى عشيقها أخيرا وقالت فى سخرية لازعة : اود ان
أعرف لماذا يكذب الناس ، ولماذا يأتون أفعالا لا يحرصون على
اخفائها ، فأنت مثلا يا ميروميس ، لك مطلق الحرية فى أن تتواعد
هذه الليلة بعد العشاء ، مع أية امرأة ، وما من أحد يمنعك من ذلك

على الرغم مما فيه من مجافاة للذوق والآداب . ولكن لماذا لا تقول الحقيقة ولماذا تخلق موعدا هاما مع مدام سميتسون فى حين أن هذه الأخيرة موجودة الآن فى ميلانو . اصدقنى القول ... من الذى يجبرك على الكذب هكذا ؟ .. ثم ان هذه ليست كذبة فحسب وإنما هى اهانة لى . هل تظن اننى غير جديرة بأن أفهم ثمة أمور ؟ ألم يكن من الأسهل لك أن تقول « بهذه المناسبة ، يجب أن أفارقك فى الساعة كذا .. فأرد أنا عليك » ولكن اذهب أينما يحلو لك أيها السيد ... لك أن تذهب الى الشيطان اذا أردت » وتنفض المسألة عند هذا الحد .

وسكتت وهى تغلى من الغضب ، واقصت عنها الطبق الذى قدمته لها الخادمة ، ولما رأت ان ليو لا يريد أن يتكلم صاحت محنقة :
- ولكن قل شيئا ... قل الحقيقة ولو مرة واحدة .

نظر الرجل الى عشيقته شذرا ، وقد بدأ شعر بالضيق ازاء اصرارها هذا وقال يحدث نفسه « انها تستحق أن أصفعها على وجهها ساعتين على الأقل » ولكنه ازدرد ما فى وقال : ليس عندى ما أقول . استشاطت ماري جريس غضبا ازاء عدم اكترائه وصاحت : كيف هذا ؟ .. اننى اتهمك بالكذب على عمد فلا تكتفى بعدم ذكر الاسباب التى تدفعك الى هذا التصرف وإنما تقسو على فى الرد كما لو كنت انا المخطئة . هل تعرف حقيقتك ... انت وقع .

لم يكن ليو يرد عادة على لوم عشيقته وعتابها ، ولكنه فى ذلك اليوم بالذات كان رد الفعل عنده عنيفا ، وذلك اما بسبب رغبته لمكبوتة أو لأن الاهانة قد مسته حقا ، فصاح فى حدة وهو يتحول فة واحدة عن الطبق الذى تمده اليه الخادمة .

- اسمعى . لنفرغ من هذا الأمر نهائيا والا فساؤطر الى أن نصرف تصرفا غير حميد . اننى احتملتك بما فيه الكفاية ، ولم بد فى مقدورى أن احتمل المزيد .

ورمى عشيقته بنظرة خشنة جافة فيها من الاهانة ما فيها بحيث ، المسكينة صعقت وكادت تختنق ، واستعصى عليه امارات القسوة لصرامة وراحت تكرر فى رأسها الفارغة هذه الكلمات « اننى أحبه كنه يقسو فى معاملته لى » .

ورأت ليو يتحول عنها الى طبقه ويتناول شريحتين من اللحم مض الخضر دون أية مبالاة فأغرورقت عيناها بالدموع ، والقت

منشفتها فوق المائدة ونهضت فى شىء من الجهد وقالت : لست جائعة . استمروا انتم ولا تحفلوا بى .

ومضت الى الباب بسرعة ، وكادت قدماها تتعثران فى السجادة . واعقب هذا الخروج المفاجىء صمت ثقيل ، وكان ليو قد امسك السكين والشوكة بيديه فبقى ممسكا بهما ونظر فى ذهول الى الباب المظلم الذى اختفت ماري جريس خلفه . ونظرت كارلا بعينين مذهولتين ، هى الأخرى ، الى هذه الناحية ، وكان ميشيل يبدو اقل الثلاثة ذهولا ودهشة فتحول الى الرجل وقال له فى هدوء يشوبه بعض الضيق .

— ما كان يجب أن ترد عليها بهذه اللهجة ، فانت تعرف انها عصبية .. وسنواجه الآن مشاكل لا آخر لها .

— لكننى لم اقل لها شيئا . اذا كانت تشكو من أعصابها فما عليها الا أن تعالج نفسها ... أما يحق لى أن أتكلم ؟

قال ميشيل وهو يحدق فى عينيه : ولكنكما تكثران من الكلام .. انت وهى .. أكثر من اللازم .

زمجر الآخر قائلا : هذا سخف . ان امك هى التى تكثر من الكلام وليس أنا .

وسكت . وراح ينقل بصره بين طبقه حيث بدأ اللحم يبرد وبين الباب الذى اختفت ماري جريس خلفه ، ثم قال :

— ولكن ماذا تفعل الآن ؟ ليس من المعقول أن تحمى نفسها من الطعام .

القت كارلا بمنشفتها على المنضدة وقالت : ان ميشيل على حق . ما كان يجب أن تعامل امى هكذا . ان لها عيوبها ، ولكن مهما يكن من أمر فهى امرأة ... وقد تصرفت تصرفا غير لائق .

ونهضت . وترددت لحظة وقد بدأ عليها القلق . كانت كارهة لما سوف تقدم عليه ، ولكنها دفعت مقعدها أخيرا وهى تقول : اننى ذاهبة اليها .

وكان الظلام التام ضاربا اطنابه فى البهو فتقدمت وهى تتحسس طريقها وتقول « كان يجب أن آتى بالشمعة ، وتذكرت فجأة ان امها لجات ذات يوم ، بعد مشاحنة من هذا النوع الى غرفة الصالون فمضت اليها وهى تقول لنفسها « يجب أن ينتهى كل هذا . اننى ذاهبة الليلة الى بيت ليو وسينتهى كل شىء عندئذ » . وكان الظلام

يملا عينيها ، وخيل لها انه تداخل فى روحها وعادت تقول :
فلأذهب الى هذه الام الحمقاء » . ولم تشعر نحوها باية شفقة .
وحز فى نفسها فى نفس الوقت ان تقسو عليها هكذا .
ووجدت امها فى الصالون كما توقعت ، وكانت جالسة تبكى فقالت
لها وهى تهزها شيئاً ما : ماذا تفعلين هنا ؟
اجابتها ماري جريس خلال دموعها : كلوا انتم .. اننى اوثر
انبقاء هنا .

تنهدت كارلا فى حزن وفروغ صبر فى نفس الوقت ، ودارت
بالأريكة ، وجلست بجوار امها وقالت وهى تلقى بيديها على ذراعيها :
- اؤكد لك يا امى ان ليو لم يكن يقصد ... وانه اول من ساءه
ما حدث .

أطلقت ماري جريس تنهيدة طويلة وقالت : يا الهى ! .. اننى
تعيسة جدا .

سرت فى بدن كارلا قشعريرة وتمتمت : لا تبالغى يا اماه .
احاطت الأم عنق ابنتها بذراعيها وقالت ودموعها تنهمر وتبلل
صدغ كارلا : قولى لى يا كارلا .. هل تظنين حقا انه عاد الى حب
هذه المرأة ؟

سألتها كارلا فى ارتباك : اية امرأة ؟

واحست بصدر امها الرخو اللاهث يثقل على ذراعها ، ولم تدر
ماذا تفعل . كرهت ان تواسى امها لانه عمل لا تقره الطبيعة . وقالت
الأم وهى تنتحب .

- ليزا طبعاً .. انهما انصرفا معا بالامس ، وانا واثقة انهما
بدأ يتحابان من جديد .. آه . ما أشد شقائى وتعاسنى .
ودت كارلا ان ترد على امها وتقول : « ولكنه يحبنى انا » وعادت
الأم تقول :

- ماذا فعلت لكى استحق كل هذا ؟ .. اننى ضحيت بحياتى
من اجله .. وها انت ترين الآن كيف يعاملنى .

لم تدر كارلا ماذا تقول وهمت بأن تتحرر من ذراعى امها عندما عاد
النور الكهربى فجأة ، فافترقت الأم عن ابنتها بدافع الغريزة وجففت
دموعها وقالت :

- هل تشعث شعرى ؟ .. وهل وجهى مضطرم ؟

- ابدا ... انت على ما يرام .

وعادا الى غرفة الطعام ، وكان ليو وميشيل يتحدثان فى هدوء .
وما دخلت المراتان حتى قطع ليو الحديث وهب واقفا وقال يستقبل
مارى جريس .

– نحن صديقان الآن ، اليس كذلك ؟
اجابته الام فى برود مصطنع : الى حد ما .
وعادت الى مكانها امام المائدة .

وفرغوا من الطعام فى صمت ، تدور فى راس كل منهم افكار
مختلفة عن الآخر ، فكان ليو يقول : فلتذهب الى الشيطان !
اما الام فكانت من ناحيتها تبحث عن وسيلة للانتقام ، فقد تلاشى
المها وحل محله حقد جارف ، وكانت تقول لنفسها « انه يريد ان
اتنازل له عن الفيلا مباشرة ، ولكننى لن افعل . سوف ابيعها فى
المزاد » . وكانت كارلا تفكر فى الليلة التى ستقضيها مع ليو . واستولى
عليها اضطراب شديد واخذت تسائل نفسها : « هل وعدته حقا ؟
هل يجب ان امضى الى بيته الليلة حقا ؟ . . » اما ميشيل فقد احس
بالانزعاج . وخيل له وهو يسمع المشاحنة التى وقعت بين امه وليو
انه بلغ آخر درجات اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وقال محدثا نفسه :
ها هى ذى فرصة اخرى قد ضاعت . فرصة ما كان أجملها فى ان
اتخاصم معه وأفرغ منه .

الفصل الثامن

غادروا غرفة الطعام اخيرا واجتازوا البهو فى ببطء وهم يشعلو السجائر وينظرون الى المرايا خلسة . ومضوا الى الصالون . وقال ليو وهو يجلس على الارىكة بجوار مارى جريس :
- اننى اشعر هذا المساء بأننى على استعداد لسماع بعض الموسيقى الكلاسيكية ، فما راىك يا كارلا ؟ .. هلا عزفت لنا بعض مقطوعات شوبان ؟

اسرعت الأم تقول وقد سرها ان الموسيقى ستتيح لها الفرصة فى تبادل الحديث مع ليو فى حرية تامة :
- نعم ياكارلا .. اعزفى لنا بعضا منها .

جلست كارلا امام البيان وراحت تجرى بأناملها الرقيقة على ملامسه ، وانتهزت الأم الفرصة فقالت تخاطب عشيقها وهى ترميه بنظرة قاتلة وقد امضتها فكرة تجديده لعلاقته بليزا .

- يمكنك ان تمضى فورا الى موعدك هذا يا ميروميس ، فلا داعى لكى تضايق نفسك هنا بسماع الموسيقى ... لا احد يحتجزك ... فاذهب .. اذهب حيث ينتظرونك .

نظر ليو اليها فى شرود . لم تكن به اية رغبة فى المشاحنة او الخصام . وأشار الى البيان اشارة معناها « ليس الآن ، لنستمع الى الموسيقى » ولكن الأم أصرت قائلة :

- بل اذهب . انت تشعر بالضجر . لا تحاول الانكار فقد رايتك تتشاءب ... اذهب حيث يستقبلونك بأذرع مفتوحة .. ماذا تنتظر ؟ ... ثم انه ليكون أمرا مجافيا الأدب اذا انت اخلفت وعدك لدام سيامتسون .. وسيكون هناك مدعوون كثيرون ، ولا ريب أنها قد طلبت قطارا خاصا لينقل مدعوياها الى ميلانو .

كان ليو على استعداد لآى شىء لكى يسكنتها . فنفض رماذ مسجارتها فى هدوء ثم تحول الى مارى جريس وقال :

- اذا كنت قد كذبت عليك فذلك مراعاة لك ولكى لا أجعلك تعتقدين
لننى تضايق فى بيتك .. ولكن الحقيقة اننى لست ذاهبا الى اية

حفلة ، وانما - داهب لكى انام ، فمنذ ايام كثيرة وأنا لا انام الا مع الفجر ، وانا الآن متعب جدا واريد ان انام مبكرا الليلة .

صاحت الام بلهجة العارف بالكثير من الامور : آه ، حقا ؟ .. تريد ان تنام مبكرا لا .. لانك تنام فى وقت متأخر جدا كل يوم منذ ايام كثيرة لا .. يبدو عليك حفا انك لا تستطيع انوقوف على قدميك .. لو تعرف الى اى حد ارثى لك .

اجاب ليو والفضب يعصف به على الرغم منه : لست بحاجة الى رثاء احد .

قالت مارى جريس فجأة : ولكن الا تدرى انك تروى سلسلة من الاكاذيب ؟ .. أولا ، مدام سميتسون ، والآن تريد ان تنام ... الا تخجل من نفسك ؟

- ابدا ، فلست ارى ما يستوجب الخجل .

وهز كتفيه ، وكان ميشيل جالسا مكانه يراقبهما متقززا ويقول لنفسه : « لعنة الله عليهما . حتى الموسيقى لا أستطيع سماعها فى هدوء !

واستطردت مارى جريس تقول : تنام ! وهل تريد ان اقول لك ؟ .. اننى اعرف كل شيء .. كل شيء عن الامس وعن اليوم . قال ليو دون ان يلتفت اليها : بل على العكس ، لا تعرفين شيئا .

ونظر الى كارلا ورأى كتفها السمينتين المكتنزتين وقال : يا لها من ليلة ! ساعة اخرى من الانتظار او ساعتان .. انها مدة طويلة .. وتجاهلت عيناه الثابتتان الجامدتان مارى جريس وميشيل وكل ما حوله ..

وقالت كارلا :

- هل راق لكم عزفى ؟

اجاب ليو : نعم ، كثيرا ، وارجو ان تعزفى قطعة اخرى .

تدخلت الام فقالت : كلا يا كارلا . لا تعزفى شيئا فان ميروميس لا يتضايق فحسب وانما يتلف على الانصراف . انه يغالب النوم ويكاد يقع فلا تجتزيه و ...

واردفت تقول وهى تشد ليو من كمه : هيا يا صديقى ... ان فراشك ينتظرك .

خلص ليو ذراعه وابتسم رغما عنه . ولو انه طاول نفسه لصفعها

في عنف : ولظل يصفعها حتى ينفثى غضبه . وتأملت هما كارلا لحظة وهي تقول : أحقا أنا ذاهبة الى بيته الليلة ؟ ما اغرب هذا ! انهى جالسة الآن امام البيان ، وبعد ساعتين ستكون في بيت عشيقها ، وحدثت لهفة الرجل الشديدة ، وفي شيء من الدلال المعروف عن المرأة رأت أن تؤخر لحظة الهزيمة الأخيرة ففتحت نوتة موسيقية أخرى وبدأت العزف من جديد .

نظر ليو اليها مفكرا : آه . يا للساحرة الصغيرة ! تريد أن تراني أموت في لهفة . . . تريد أن تراني أحتضر . . . بدا له كل شيء . . . الموسيقى والحديث والصمت غير محتمل ، ونهشته الرغبة ، ولم يعد يفكر الا في شيء واحد هو أن يصطحب كارلا الى بيته لتشاركه فراشه . . . متى تنتهي من العزف . . . بعد عشر دقائق . . . أو ربع ساعة . . . وأنا الذي قلت لها أن تعزف ثانية . . . يا لى من مغفل !

ولكن الأم لم تقر بالهزيمة ، فلمست كتف ليو وقالت وهي تتكلف الابتسام :

— وغدا صباحا سأذهب الى المحامى ، وسأزوده بتعليماتى لكى يعرض الفيللا للبيع بالمزاد .

ولو أن طوبة انفصلت من السقف ووقعت على نافوخ ليو لما كان لها من الوقع مثلما حدث له عندئذ ، فقد اضطرم وجهه ثم احتقن وتشنج وراح يفكر : « لم يكن ينقصنى غير هذا . . . وهذه الليلة بالذات . . . عليها اللعنة » . ولكنه حاول أن يخفى ما به ، وقال وهو يضغط على معصميه .

— انك لن تقدمى على هذا العمل السخيف .

وقال ميشيل محدثا نفسه : انهما سيتعاركان ويتضاربان بالابدى .

وعادت الأم تقول وهي تتصنع الهدوء : بل سأفعل كما قلت ، وغدا صباحا بالذات .

أمسكها ليو من يدها في عنف وقال : هذا جنون ! . . اتريدين أن تبيعي الفيللا بالمزاد لكى تخسرى ٥ ٪ من قيمتها ؟ . . وتقولين لى هذا الليلة بالذات ! (ونظر الى كارلا خلسة وهو يقول العبارة الأخيرة) الآن ، بعد أن أعددت العقد ولم يبق الا التوقيع عليه . . هذا جنون . . جنون مطبق .

— قالت مارى جريس وقد سرها ان تقوم بدور الشهيدة : سمع

ما شئت ، ولكننى سأذهب الى المحامى غدا صباحا قبل اى شىء آخر .

— لا شك انك تهزلين . لابد من التروى والتفكير قبل الاقدام على اى شىء .. هل تريدان ان تأتى الى مكتبى بعد غد لكى نتشاور فى الأمر .

اجابت مارى جريس فى شىء من اللين : لا فائدة من ذلك ، فاننى اظن ان من الأوفق ان اذهب الى المحامى .

ضم ليو يديه وهو يلعبها فى سره وقال : ان المزداد مغامرة يا مارى جريس ، وقد يكون محاميك نصابا ، فالدنيا مملوءة بالنصابين . وانت امرأة لا تفهمين شيئا فى هذه الامور .. اسمعى نصيحتى .. سأنتظرك غدا فى الساعة الرابعة .

نظرت الى اليمين والى اليسار فى دلال ، وخفق قلبها الناضج ، وودت لو أن تسأله « هل تحببى ؟ » ولكنها قالت : لا أستطيع غدا . — بعد غدا اذن .

قالت وهى ترفع عينيها الى السقف كما لو كانت تحاول ان تجمع ذكرياتها : انتظر .. نعم ، ان لدى موعدا ، ولكننى أستطيع ان اتحرر .. سأتى .. فليكن .

وأردفت تقول بابتسامة متألقة فاتنة : ولكن لا اظن انك ستستطيع اقناعى بسهولة .

وسكنت . وترددت لحظة ثم اخذت يد ليو وفتحت فمها لكى تسأله : هل تحببى قليلا ؟ عندما سكنت الموسيقى فجأة ، والتفتت كارلا اليهما قائلة :

— لا فائدة من الاستمرار فانكم لا تكفون عن الحديث ، ومن الاوفق ان نذهب للنوم .

ساد صمت قصير ثم قال ليو : كنا نعلق على الموسيقى . انك تجيدان العزف يا كارلا ، فاستمرى لحظة اخرى .

كانت هذه الاكذوبة الجديدة اشارة تمرد شيئا ما فقد بدا كما لو ان الجميع قد افاقوا من غفلة طويلة ، وأولهم ميشيل ، وكان قد احتمل حتى هذه اللحظة دون اى احتجاج ثرثرة امه ولىو ... ولكنه أقدم عندئذ على شىء لعله أقدم عليه بدافع الحنق أو ربما بدافع غريزى لكى يفعل شيئا ، فقد أمسك بالجريدة التى على ركبتيه

والقى بها الى الارض فى عصف وصاح وهو ينظر الى امه : ليس فيما تقول اى ذرة من الحقيقة .. هذه كذبة وقحة .

صاحت كارلا وهى تصفق بيديها : مرحى ! .. هذه هى الحقيقة .. اننا نتنفس اخيرا .

وكما لو ان شخصا فتح الشباب واندفع منه الهواء البارد ودخل الصالون فقد تبادل الجميع النظر مذهولين ، وكان ليو اول من تمالك نفسه اذ قال يخاطب ميشيل :

— انك مخطيء ، وانت لم تصغ جيدا .

اثارت هذه الكذبة الفتى ، فاضطجع فى مقعده الى الخلف وقهقه ثم قال : آه .. آه .. يا لك من كاذب .

امتقع وجه مارى جريس ، وكتمت كارلا نفسها فى حين صاح ليو وهو يهوى بقبضته على المائدة : هذا كثير .

ولكنه لم يقف ، واكتفى بان حدج ميشيل بنظرة فاحصة واردف يقول :

— لم اكن اعرف انك مشاكس هكذا ... واذا استمرت فساؤطر الى ان اعرك اذنك .

كان لهذه العبارة الاخيرة التى نطق ليو بها اشد الوقع على ميشيل . كانت حدته قد هدأت وانفثا غضبه ، ولكنه حين سمع تهديد ليو تملكه الخوف وخشى على اذنيه فاطبق بيديه على منفضة من الرخام وقذفها فى شئ من اللين . وراى امه تضم يديها وسمعتها تصرخ « ايها المجنون » واضطربت كارلا ، وادرك الشاب ان قذيفته اخطأت هدفها ، فبدلا من ان تصيب ليو اصابت امه فى كتفها .

ونفض فى حركة خرقاء واقترب من الاريكة التى تمددت ضحيته فوقها . كانت مارى جريس قد اطبقت عينيها صدفة واتفاقا غير واثقة من الموقف الذى يجب ان تتخذه ، وراحت تتأوه من لحظة لآخرى ، ولكن كان واضحا تماما انها لا تحس بأى ألم وان الاغماء كان خياليا تماما .

انحنى ميشيل فوق الاريكة فى نفس الوقت مع الآخرين . كان من الممكن ان بشير هذا المنظر المله وحزنه ولكنه لم يشعر بأى ندم ، وانما خامره احساس لم يستطع ان يقصيه عنه وهو سخافة هذا الموقف ، وراح يقول عبثا « انها امى ، وقد ضربتها .. واصبتها ، وكان يمكن ان تموت » . وعبثا حاول ان يبحث فى نفسه عن قليل من الحب

رقليل من الرثاء لهذه المرأة الجامدة الضالعة فى الخطأ . فقد بقى ذهنه خاملا . وانحنى ونظر الى أمه . كانت قد رفعت ذراعا وهنا دون أن تغير من وضعها ودون أن تفتح عينيها . وفكت بعض أزرار ثوبها لكي تكشف المنطقة المصابة . وظهر الكتف : عاريا وسمينا ولكن دون أى أثر للكدمات ودون أية حمرة أو ازرقاق . ومع ذلك فإن الأصابع غير الراضية ظلت تجذب القماش معريه الذراع وكاشفة عن الإبط الذى ظهر بأكمله حتى بداية الصدر . وبدا كأن هذه الأصابع المفاجرة تجرى وراء غرض آخر ، بعيد كل البعد عن اظهار جرح ما . . . كانت تقوم بالحرى بعملية تعرية .

والواقع انها كانت تقوم بهذا العمل استدرارا لعطف عشيقها ولالانة قلبه . كانت تفكر « سيرانى جريحة ، فاقدة الرشء ، نصف عارية ، وسيتذكر اننى ارتميت أمامه وتلقيت القذيفة بدلا منه ، ولن يسعه عندئذ إلا أن يشعر نحوى بامتنان كبير » . ورأت ليو بعين الخيال ، يأخذها بين ذراعيه ويهزها ويهددها ويدعوها باسمها ويستبد به القلق وهو يراها لا تعود الى رشدنا . . . وستفتح عينيها عندئذ بهدوء ، وستكون نظرتها الأولى لعشييقها ، وكذلك ابتسامتها الأولى . ولكن الأمر جاء على عكس ما تتمنى ، فلم يأخذها ليو بين ذراعيه ولم يهددها أو يدعوها باسمها وانما على العكس من ذلك قال :

— لعل من الأوفق أن أخرج وانتظر فى البهو .

تلقت مارى جريس هذا القول كما لو كان ولو أن الماء انسكب فوق ذراعها العارى ففتحت عينيها واعتدلت فى جلستها ورددت البصر حولها . رأت ميشيل ينظر اليها بعين عابسة وبدا كأن احساسه بالندم امتزج باحساس آخر . وكانت كارلا تحاول اخفاء الكتف العارى . ولم يكن ليو واقفا بجوارها ، وانما كان قد التقط المنفضة وراح يزنها بين يديه . وفجأة تحول الى ميشيل وقال له :

— لك كل تهانى يا صديقى . . . انك أقدمت على عمل . وقاطعته الأم عندئذ فقالت فى صوت حاد مألوف : أرجوك يا ميروميس . . اتوسل اليك . لا تلمسه ولا تعنفه . لا تقل له أى شئ . . انه صبى ، لا يدرى ما يفعل .

نظر ليو اليها طويلا ثم قال : انه لم يفعل بى شيئا ، ولكن يؤسفنى انه أصابك بالمنفضة فى كتفك .

وضحك ضحكة باردة زائفة ورقيقة . وألقى الى كارلا نظرة كما

لو كان يطلب موافقتها . واخيرا تناول معطفه ، وساعدته الام على ارتدائه وهى تقول فى لهجة متواضعة آمرة : وقد خشيت أن يتذرع بهذا العمل الطائش ويقطع علاقته بها .

— انه صبى ، وثق ان مثل هذا العمل لن يحدث ثانية . سأتدبر الامر مع ميشيل ، واذا كان ولا بد فسوف اتصرف .
قال ليو : لا بأس . هناك امور أهم من هذا بكثير .

وطبع قبله على يد مارى جريس ثم اردف يقول وهو يحدق فى عينى كارلا مليا : الى الملتقى ... قريبا .

وامتقع لون الفتاة ، وبحركة بطيئة مستسلمة أدارت اكرة الباب .
وانفتح الباب فى عنف وانصفق بالجدار كما لو ان احدا من الخارج كان ينتظر هذه الفرصة لكى يندفع الى الداخل . وصاحت الام تقول :
— اوه ... ما هذا البرد ؟ .. اغلقى الباب .

ولكن لم يتحرك احد ، وراح الجميع ينظرون فى غباء الى الرياح العاصفة الهوجاء ، التى تلفح وجوههم . وانفتح الباب الآخر بالبهو ، وامتلا المكان عندئذ باعصار شديد اندفع نحو السلم ، وراحت الابواب ، من اعلا البيت الى اسفله ، تصطفق ، واهتزت الفيلا كلها ، وخيل للجميع انها ستنفصل عن الأرض وتدور كنجلة مجنونة وترتفع الى قمة السحب المتألقة .

وقال ليو يسأل مارى جريس : وكانت تحاول اغلاق الباب : ماذا نفعل الآن ؟
— فلننتظر .

ولزم الثلاثة الصمت . وراحت مارى جريس ترمى عشيقها بنظرات عادية مريرة ، فما هى الا لحظات ويختفى ليو فى جوف الليل الممطر تاركا اياها فى البيت البارد وفى فراشها المقفر ... اين يذهب ؟ ..
انه لن يذهب الى بيته طبعاً ، وانما سيذهب الى بيت ليزا بدون شك .. ان ليزا تنتظره منذ وقت طويل . سوف يستمتعان الليلة معا بكل تأكيد .. ومن يدري لعلهما يهزآن بها .

وتمتت فى محاولة اخيرة وهى تقف بين عشيقها والباب :
— الا تسمع صوت المطر ؟ .. اليس من الاوفق أن تنتظر لحظة أخرى ؟

اجاب ليو وهو يزرر معطفه : هو مطر عادى ولن يعوقنى عن العودة الى البيت .

وللمرة الثانية ، طبع قبلة على يد ماري جريس المقهورة ثم فتش
عن قفازيه فى أحد جيوبه ، وتقدم خطوة نحو الباب وهو يقول : الى
اللقاء يا كارلا .

وضغط على اليد التى بسطتها له الفتاة وابتسم ثم خرج .
وبقيت المراتان فى البهو وحدهما ، وكانت الأم لا تفتأ تقول :
« يا الهى ! .. ما هذا البرد القارس ! » وتراخت عضلات وجهها ،
وبدا كأنها ستنهار على الأرض ، وشردت عيناها وارتسم على وجهها
المصبوغ حزن عميق وارتجفت شفتاها وهى تقول اخيرا : اننى ذاهبة
الى الفراش .

واذا الفت كارلا نفسها مضت ووقفت تحت المصباح ، وتركت
شيئا فى يدها . . رسالة صغيرة كان ليو قد دسها بين أصابعها
وهو يشد على يدها . وكان هذا نصها « سأنتظرك بالسيارة بعد
ساعة ، عند باب الحديقة » وتحت هذه العبارة توقيع ليو .

ومضت نحو السلم ، حائرة مترددة وهى تقول : بعد ساعة . . .
سأخرج بعد ساعة . ووقفت لحظة ونظرت حولها فى البهو . كان
يخيم عليه صمت تام . بعد ساعة ستكون أمها وميشيل قد راحا
فى سبات عميق . وصعدت اخيرا ، ومضت الى غرفتها وادهشها
على الفور هدوء الغرفة ودفئها . كان كل شيء فى مكانه . وكان
مصباح الأباحورة مضاء وقميصها الرقيق ينتظرها فوق الفراش
بأغطيته الدافئة . كان كل شيء يدعوها الى النوم والاستجمام وما عليها
الا أن تنضو عنها ثيابها وتندس تحت الأغطية .

أوحى اليها منظر الفراش وصوت المطر برغبة كبيرة فى الأمان
والراحة ، أو لعل ذلك كان راجعا الى الإرهاق الذى لقيته اثناء
النهار . مهما يكن فقد أحست بالجبن يسرى فى كيانها . وتقزز
كبير امام المفامرة التى ستقدم عليها بحيث تملكها الخوف من نفسها
وقالت : لا بأس من النوم والراحة . . . ولكن بعد ذلك ؟ .. سأجد
نفسى صباح الغد فى نفس النقطة ، والحياة الجديدة اذن ؟ ..
لا . . . لن يكون هذا .

ومشت الى دولابها ذى المرايا ونظرت الى نفسها وهى تبعد
وتقترب بالتناوب من صورتها . ولاحظت بين وجنتيها الحمرابين
وحدقتيها البراقتين هالة سوداء عميقة ارققتها ، وأولت ظهرها للمرأة ،

ومشت بضع خطوات وجلست فوق الفراش وعقدت ساقيها وراحت تفكر .

ولم تكن ترى فى وضعها هذا غير السقف . وكانت الاصوات الوحيدة التى تتناهى الى اذنيها هى اصوات الليلة العاصفة . ولم تلبث ان اغمضت عينيها وهى تكرر لنفسها انه لابد لها من ان تنهض وأن تخرج ، واستسلمت لنوع من الخدر المشحون بالخوف والريبة . وازداد هذا الخدر شيئاً فشيئاً ولم تلبث ان فقدت الوعى وغلبها النوم .

ولكنه كان ثوباً غريباً خالياً من الأحلام ، خدع الفتاة فى مدته ، ففجأة ، وبدون أى سبب استيقظت وقد تجمدت أطرافها من البرد وهى لا تستطيع أن تأخذ نفسها . وفكرت فى فزع « اننى نمت » وهبت من فراشها وراحت تنظر حولها فى الغرفة المضاءة . من يدرى كم الساعة الآن ؟ أهى الثانية أم الثالثة ؟ لا ريب ان ليو قد انصرف ... ولا ريب انه ظل ينتظرها ثم عاد اخيراً الى بيته .

واسرعت الى المنبه الموضوع فوق طاولة الزينة فاذا بها لم تنم غير ثلاثة أرباع الساعة ... فقد كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية عشر الا الربع . ولم تصدق ذلك . لا ريب ان المنبه قد توقف . ورفعته الى اذنها فاذا به يمشى على ما يرام .. لا يزال هناك متسع من الوقت لكى تذهب الى ليو .. ودون أن تدرى السبب احست تقريباً بخيبة أمل ، واعادت المنبه الى مكانه .

ولكن خامرها شك آخر . متى واين تلتقى بليو ؟ وتذكرت هذه الكلمات « بعد ساعة » ولم تنس انه سيكون موجوداً فى سيارته امام باب الحديقة . ولكنها لم تكن واثقة تماماً . وتذكرت الرسالة عندئذ فنظرت فى الغرفة حولها تبحث عنها . ولكنها لم تجدها فى أى مكان ، وراحت تجرى فى أنحاء الغرفة وهى ترى كل شئ كيفما اتفق وتفتش الأدراج . ولكنها لم تجد شيئاً .. وفيما هى كذلك دقت الساعة معلنة انتصاف الليل فانتفضت وتذكرت انه كتب انه سينتظرها عند باب الحديقة فأخذت معطفها الوافى من المطر واسرعت بالخروج .

وفتحت باب الحديقة ، ويقع خلف البيت ، وتقدمت خطوة الى الامام ، وما كادت تفعل حتى رأت سيارة ليو تقترب منها . وانطلقت بهما السيارة تقطع الشوارع تحت سيل الأمطار .

وتوقفت بعد نحو عشر دقائق ، وهبط ليو وهو يقول « انتظريني هنا » . ورائه من خلال زجاج النافذة المقبل يفتح شيئاً اسود اشبه بالباب ويختفى فى ظلام الحديقة . ولم تلبث ان سمعت صوت باب حديدى يفتح ثم ظهر الرجل وساق السيارة دون ان يحفل بها هى ، ودخل الجاراج . وهبطا منها معا ثم خرجا واغلق الرجل الباب الحديدى خلفه .

وكان هناك مصباح شديد مستدير يضيء ، على اليمين ، باب بدرجاته الرخامية الأربع . وفتح ليو الباب ودفع كارلا الى الداخل . وعلى النقيض من الحديقة المظلمة كان بهو البيت يسطح بالنور . وكان المصعد امامهما ولكنهما اثرا الصعود على اقدامهما .

وعندما بلغا الطابق الأول تناهى اليهما صوت عزف مكتوم مع دبيب اقدام يتخلله صوت حديث مرح . وقالت كارلا وهى تتكلف الابتسام وتعتمد على الدرابزين .

— انهم يرقصون خلف الباب . من الذى يسكن هنا !

اجاب ليو وهو ينحنى لكى يفحص اللوحة النحاسية المثبتة بالباب : فلنر من .. آه .. انه الدكتور اينامورتى . واستطرد يقول لكى يطرب كارلا ويسرى عن نفسه : ان الدكتور وزوجته وأولاده يستقبلون نخبة من الأصدقاء ينتمون الى خيرة المجتمع .

ودخل المسكن بالدور الثانى حيث تخلص ليو من قبعته ومعطفه ثم ساعد كارلا فى خلع معطفها . وكانت الردهة واسعة بيضاء اللون فى آخرها نافذة تطل على المنور ، والى اليمين والى اليسار ثلاثة أبواب . وانتقلا الى الصالون . وقال ليو وهو يشير الى اريكة تغطيها الوسائد والفراء : فلنجلس هنا .

وجلسا . كانت هناك اباجورة حمراء فوق طاولة صغيرة عكست نورها عليها حتى الصدر ، أما راساهما فقد بقيتا فى العتمة مع اعلا الغرفة . ومرت بهما لحظة لم ينطقا فيها بكلمة ، وكانت كارلا تنظر حولها فى غير فضول . وكانت عيناها تحط تارة على زجاجة الشراب الموضوعة فوق المائدة واخرى على الجدران ، ولكنها كانت قلقة فى الواقع ، تنتظر كلمة او اشارة من ليو . وكان ليو يتأملها . واخيرا قال :

— حسنا يا عزيزتى . لم لا تقولين شيئاً . بل انك لا تنظرين الى .

هيا ، قليلا من الشجاعة . فيم تفكرين . اذا كنت ترغبين فى شيء
فاخبرينى بلا كلفة فأنت فى بيتك .
ومد يده وداعب وجهها بأنامله وهو يقول مستطردا : لا اظنك
قادمة على مجيئك ؟
اجابت : كلا . كلا . اننى جد مسرورة . ولكن ... يجب ان
أعود .

قال ليو وهو واثق جدا من نفسه : تعودى ... تعودى .
وازداد اقترابا منها ، وطوقها بذراعيه ، وجذب رأسها اليه .
وتبادلا قبلة ثم افترقا .
وقال لها وهو يشير الى ركبتيه : تعالى واجلس هنا .
واطاعته دون أى اعتراض . واثت وهى تجلس بحركة كشفت
عن ساقها فلم تشد جونلتها ، واقتنع ليو عندئذ انه انتصر انتصارا
كليا .

وقالت وهى تشير الى الباب الآخر بالصالون : الى أين يودى هذا
الباب ؟

اجاب وهو يتأملها فى اهتمام : الى غرفة النوم .
وعاد فقبلها من جديد ثم قال ، ولكن دعك من كل هذا واصفى
الى .. قولى لى ، هل تحبيننى ؟
سألته بطرف شفيتها وهى تحقق فيه بعينيها الجادتين : وانت ؟
- انا ؟ .. وهل انت بحاجة الى جواب ؟ اننى احبك طبعاً والا
ما أقدمت على ما فعلت .

واحتواها بين ذراعيه واستطرد يقول : اننى احبك بكل تأكيد .
احبك كثيرا وويل لمن يلمسك ، واننى اشتهاك ايضا وأريدك لى
كلية .. أريد هاتين الشفتين وهذين الذراعين وهاتين الكتفين الجميلين
وكل هذا الجسد الذى يتدفق انوثة ... هذا الجسد الحلو الفاتن
الذى سيصيبنى بالجنون .

وتفجر بالرغبة وارتمى فوق كارلا وطوقها بكل قوته، غارقة فى افكارها
لحظ الرجل شيئا غريبا ، فقد رأى بين نهدىها قطعة من الورق مطوية
أربع طيات فمد يده مبتسما ، وقال فى فضول ، دون أى غرض :
ما هذا ؟

تظاهرت كارلا بالدعر وقالت : ماذا ؟
هذه الدرفة التى تخفينها فى صدرك بهذه العناية الكبيرة .

خففت رأسها ورفعت يدها الى صدرها . نعم ، ان ليو على حق ، فهناك رسالة مطوية ومخبوءة فى صدرها ، ولكنها لم تذكر انها وضعتها فى ذلك المكان ، ولم تستطع ان تعرف كنهها . ورفعت عينيها حائرة ، ونظرت الى عشيقها فقال :

- هذا هو المكان الذى تضع فيه كل الفتيات أسرارهن . ولكن لئلا ما هو هذا السر الذى تخفيه يا كارلا .

صاحت فجأة وهى تدفعه عنها بيديها دون ان تدري لماذا تفعل ذلك : كلا . اننى لا اسمح لك بذلك .

اختفت ابتسامة الرجل وبدا الاهتمام فى عينيه وقال : حسنا .. خذها انت نفسك واقريئها بصوت عال .

ساد الصمت . ونظرت كارلا اليه حائرة مربكة . احسنت بأن قصة الورقة بدأت تثير غضبه ، ورات عينيه تقسوان ، واحسنت بالعذاب يكويها لانها لم تستطع ان تذكر مضمون الرسالة التى تلمسها بأصابعها ، ولكنها تركتها مكانها باحساس من الخوف من ناحية لانها خشيت ان تتضمن سرا لا يجب اطلاق احد عليه ، ولانها ارادت ، من ناحية اخرى ، ان ترى كيف يتصرف ليو تحت سلطان الفيرة . وقالت اخيرا فى تحد ، وهى تضع يديها على ركبتيها :

- وماذا انت صانع اذا رفضت ان اريك هذه الرسالة ؟

صاح ليو فى اهتمام وقلق : آه . هى رسالة اذن ؟ ..

وممن تكون ؟ لاريب انها من شخص عزيز عليك ما دمت تخفيها بكل هذه العناية .

- هذا ما لن اقله لك ابدا .

نظر اليها بعينين فاحصتين آمرتين ، وقال وهو يجز على أسنانه : اصفى الى يا كارلا . اريد ان اعرف من الذى أرسل لك هذه الرسالة . هل هى من رجل ؟

اجابت فى صوت ساخر : ربما .

وحرصت على ان تضع يدها فوق صدرها لكى تمنع أية حركة مفاجئة من ليو ، ورفعت جبينها الى السقف وقد احسنت بالاعياء ، وكانت تود لو ان تنبذ عنها هذا السر الذى لا وجود له وان تنام . وقال ليو وهو يفتصب ضحكة .

- اننى فهمت .. فهمت .. هى رسالة من احد العشاق .. عاشق

صغير .

اجابت دون ان تخفض راسها : عاشق صغير ؟ .. بل هى من رجل .
واستطردت فى صوت اكثر خفوتا وهى تنقر بأطراف أصابعها على
صدرها وقد أثملها حزن لا نهاية له : رجل ... لو تدرى كم
احبه !

وأطبقت عينيها نصف اطباقه وقد تندتا بالدموع ، وخفق قلبها ،
وفكرت فى برود : والمصيبة هى ان هذا الرجل لا وجود له .

وعصف الغضب بليو .. هذا النقاء وهذا الطهر انما هما مظهر
خادع ، وهذا الظفر قد سبقه غيره اليه .. وتغيرت كارلا الضعيفة
الطاهرة الى فتاة اخرى خبيرة بالحب لا تتردد فى الذهاب الى الرجال
فى بيوتهم . وقال وقد جرح فى كرامته :

— أنا المخطيء ... كان يجب أن أعرف انها ليست المرة الأولى .
تحولت اليه على الفور وسألته : ليست المرة الأولى ؟ ماذا تعنى ؟
— أنت تعرفين جيدا ما أعنيه ... ليست المرة الأولى التى تمضين
فيها الى بيت رجل .

اوضطربت وجنتا كارلا ونظرت الى ليو وهى نهمة بين الرغبة فى
الاحتجاج والكشف عن الحقيقة ، وبين اطالة الخيال . واختارت
الطريقة الثانية اخيرا وقالت :

— وماذا لو صح ذلك .

— اذن فالأمر صحيح .

اجابت وقد اصطبغ لونها من جديد : نعم .

احتقن وجهه لفرط الغضب ، وأمسك كارلا ذراعها وقال : هل
تعرفين ماذا تكونين ؟ .. عاهرة .. واثبت الى بيتى على الرغم من
ذلك .

قالت كارلا فى هدوء : هذه مسألة اخرى .

فكر : قدرة .. سافلة .. ولم تزد عن الرابعة والعشرين من
عمرها .

وسألها : هل تستطيع ان اعرف على الأقل من هو هذا السيد ؟

اجابت وهى تبذل جهدا لكى تصف تلك الصورة الخيالية التى
تميل روحها اليها : انه رجل طويل القامة .. له شعر احمر وجبينى
هادىء جميل ووجه بيضاوى ، وهو يحبني كثيرا ، وأنا ايضا احبه
كثيرا . وقد التقينا هنا منذ سنتين ، ومنذ ذلك الوقت ونحن نلتقى
دائما .. وهو ليس مثلك .. انه قبل كل شيء رجل كريم .. اعنى

انه يفهمنى قبل أن اتكلم ، وهو يختلف عن غيره من الرجال . ثم انه الوحيد الذى احبنى حقا .

وامسكت عن الكلام وقد ازداد تأثرها واحست بشيء من الحماسة امام الكذبة التى اقدمت عليها . وقال ليو : اعطنى هذه الرسالة . وامسكها من خصرها وحاول ان يأخذ الرسالة من صدرها ، ولكنها قاومتها وتخلصت منه ، وأسرعت الى آخر الغرفة وهى تقول :

— لا شيء يؤخذ بالقوة .. الا تعرف بداخلها .

وفتحت باب غرفة النوم واختفت بداخلها .

استولى على ليو غضب لا حد له . واندفع نحو الباب المغلق . وكانت كارلا ادارت المفتاح من الناحية الأخرى فلم يستطع الدخول . وصاح وقد اشتد غضبه وهياجه ، وراح يضرب الباب بقبضتيه : افتحى .. افتحى .. أنك غبية .

ولكنها لم ترد عليه . وخطر له انه يستطيع دخول غرفته عن طريق غرفة الحمام فأسرع اليها . ووجد الباب الزجاجى مواربا . وبحث عن كارلا فى نصف العتمة التى تخيم على الغرفة ولكنه لم يرها وادار النور ولكن الغرفة كانت شاغرة ، وتساءل : « اين ذهبت بحق الشيطان » . وهم بأن يخرج لكى يبحث عن الهاربة فى الغرف الأخرى عندما اكتشفها فجأة وقد تكومت خلف باب غرفة الحمام .

ومشى اليها قدما وأخذها من يدها وجذبها من مخبئها فى عنف وقال : اعطنى الرسالة .

ووقفا ، كل منهما امام الآخر . افزعتهما مجرد فكرة ان ليو سيتحقق من كذبتها ، واحست بالمهانة . كانت تعرف ان هذه الورقة لا يمكن أن تكون ذات أهمية ، وانها قد تكون بطاقة زيارة أو أى شيء آخر . وآلها ان يكتشف ليو غرور احلامها وأوهامها ، وقالت فى محاولة أخيرة فى صوت نائح .

— ولكن ليس هذا عدلا .

صاح بها الرجل للمرة الثانية : اعطنى الرسالة .

أدركت انه لا فائدة من المقاومة ، ولم يسعها الا أن ترفع يدها الى صدرها فتأخذ الورقة وتناولها ليو قائلة : ها هو .

أخذها ليو ، ولكنه قبل أن يفتحها ، نظر الى المذنبه الشابة ، وعندئذ ودون أن تدري لماذا ، أحست بخجل كبير وتوترت عضلات وجهها

فجأة ، فارتمت فوق الفراش دافئة رأسها بين يديها . ولم تدر لماذا فعلت ذلك . وفجأة سمعت ضحكة عالية فرفعت رأسها وإذا بليو يقترب منها وهو يقول :

- ولكنها رسالتى ... الرسالة كانت سخيقة ، فما كان فى مقدور أى أحد أن يرسل إليها أية كلمة . ولم يكن هناك من يحبها . ومع ذلك فقد بدا لها أن من الظلم أن يكون الأمر كذلك ، وأن لا تقع معجزة تحول هذه الرسالة الحمقاء الى رسالة حب . وامتقع لونها وقالت فى خيبة أمل مرير .

- هى رسالتك طبعاً . وماذا كنت تريد أن تكون ؟
قال الرجل وهو يجلس بجوارها فوق الفراش : ذلك الرجل الطويل القامة ذو الشعر الأسمر والجبين الهادئ الجميل هو أنا اذن ؟ ..
أنا ذلك الرجل الذى تحببته اذن ؟

نظرت إليه ملياً كما لو كانت تريد أن ترى فى ذلك الوجه الأحمر الذى يشع بالسرور والرضا الصورة التى تخيلتها وقالت فى تردد :
- ألم تكن قد فهمت ذلك يالىو ؟

صاح : الحق اننى لم أفكر فى نفسى . واخذها من خصرها وأردف يقول (لا تأبى بما قلت ... كَأَننى لم أنطق بشيء منه .
وانحنى فوقها وراح يلثم كتفها وجيدها ووجنتيها وصدرها .
أثاره جسدها من جديد . ورد له وهمه شهوته مرة أخرى وتمتم يقول :

- أيتها الكاذبة الصغيرة .. أيتها الحبيبة الصغيرة الكاذبة .
ثم أردف يقول بلهجة الجد : والآن .. الا تظنين أن الوقت قد حان للنوم ؟ .. اننى أشعر بحاجة شديدة الى النوم .
ضحكت كارلا وأومات ، فى خجل ، بالإيجاب ، فقال : قليل من الشجاعة اذن ... أن بيجامتك هنا ، فوق الوسادة ، وستجدين كل ما تحتاجين إليه من أدوات الزينة فوق الطاولة ..
ورماها بابتسامة وكله ثقة ، وربت بيده على كتفها ومضى الى غرفة الحمام .

الفصل التاسع

كان الفراش العريض يشغل ركنا من الغرفة فاستلقت كارلا فوقه ورددت البصر حولها . رأت على ضوء الأباحورة الباهت دولابين ، أحدهما على اليمين بجوار باب الصالون والآخر على اليسار ، ولم تكن هناك مفروشات أخرى ، فكل الجدار الأمامى كانت تشغله نافذة منخفضة مستطيلة ذات ستائر بيضاء ، وكانت مغلقة ، وكان باب الصالون مغلقا هو الآخر ، وكذلك باب غرفة الحمام . وخفضت عينيها فرأت أمام الفراش جلد دب أبيض كث الشعر له عينان من السلولويد الأصفر وفم مفتوح مملوء بالأسنان الحادة . وكانت قوائمه وذيله قد استحالت الى لا شىء تقريبا وتعطى الإيحاء بأن الدب قد هرسه مرداس لم يترك منه شيئا صحيحا غير رأسه الضارية . ونهضت كارلا فى حركة آلية ومشت بضع خطوات فى الغرفة ، ورات من خلال زجاج باب غرفة الحمام ليو يروح ويجىء ، وسمعت صوت انسياب الماء من الدش ، وعندئذ عادت الى الفراش وبدأت تنضو عنها ثيابها .

واطبقت عينيها المتعبتين . لم تقض فى هذا الفراش أكثر من دقيقة ، ومع ذلك خيل لها انه مضت عليها ساعة ، وراحت تقول لماذا لا يأتى ليو ؟ لن استدير الا بعد أن يطفىء النور ، فلا أريد أن أراه .

وفتح باب غرفة الحمام فى هذه اللحظة ، ورات صورة ليو على الجدار فتحولت اليه ، وراته منحنيا فوقها . ورفع الفطاء وتمدد بجوارها ، ولكنها كانت قد استطاعت ان تتحقق من انه لم يكن مرتدبا البيجاما وانما جلبابا خفيفا ، وانه حلق ذقنه وتضوع .

وعندما استيقظت كان النهار يوشك ان يطلع ، وجلست فى الفراش ، وعرفت على الفور المكان الموجودة فيه ، ولم تشعر بأية دهشة وهى ترتدى انها قد ارتدت البيجامة التى رفضت ان ترتديها

فى الليلة الماضية ، وان كانت لم تتذكر متى ارتدتها بالضبط ،
وخيل لها أنها اعتادت الصحو منذ سنوات بهذه الطريقة فى فراش
عشيقها ، وبقيت بضع لحظات جامدة لا تتحرك ثم انحنت فوق الرجل
وهزته من كتفه قائلة فى رفق عجيب :
- ليو ...

وكان الرجل قد سحب الفطاء حتى اذنيه ، وبدا غارقا فى سبات
عميق . ولم يسمعها فى بادئ الامر ، او لعله نظرها بأنه لم
يسمعها فى بادئ الامر ، او لعله تظاهر بأنه لم يسمعها . وهزته
كارلا مرة اخرى ، وعندئذ قال فى صوت ناعس : لماذا ايقظتنى ؟
قالت فى نفس اللهجة الرقيقة : الوقت متأخر ، ويجب ان اعود .
ومن غير ان ينطق بكلمة ، وبدون ان يأتى بحركة اخرى من جسده
مد ليو ذراعه خارج الفراش ، وادار مفتاح الاباجورة ثم قال محنقا
من غير ان يلتفت : الساعة الخامسة والنصف ... اريد ان اعرف
لماذا ايقظتنى .

عادت تقول : الوقت متأخر .

وتخطت جسد عشيقها فى حذر وجلست على حافة الفراش ،
ولم يبد عاينه انه لاحظ ذلك . ولم يجيبها بكلمة ما واطبق عينيه ،
وحسبته عاود النوم ، وبدأت ترتدى ثيابها دون ان تهتم به .
ولكنها ما كادت تنضو عنها البيجامة ، وتهتم بأن تلبس قميصها
حتى امسكها من خصرها وحاول ان يجذبها اليه قائلا وقد بدت الرغبة
فى عينيه : كارلا ، لماذا ترحلين هكذا سريعا ؟ .. تعالى هنا ، عودى
بجوار ليو .

قالت وهى تحاول التخلص من قبضته : دعنى .. ان الوقت
متأخر ... يجب ان انصرف .

ضحك وغمز بعينه وقال : مازال امامنا كل ما نريد من الوقت .
استولى عليها الغضب على الفور وبدون سبب لانه كان يجب ان
تدرك طبعا ان عشيقها لابد ان تمتلكه مثل هذه الرغبات ، وعادت
تقول فى حدة : قلت لك دعنى .

وكان رد ليو الوحيد ان مد ذراعه الآخر وحاول ان يلقيها فى الفراش ،
ولكنها دفعته عنها فى قوة ، وتخلصت منه وجلست فوق المقعد
وراحت ترتدى جوربها . وبعد ان فرغت منه ألقت نظرة الى ليو
فراحت انه استدار الى الجدار وعاد النوم ففكرت : حسنا . نم

كما تشاء .. اهذه هي حياتي الجديدة ؟ .. هل هذا ممكن ؟
وفرغت من ارتداء ثيابها وهي تقلب هذه الافكار في راسها ،
ثم انحنت فوق ليو وهزته قائلة : قم . حان الوقت لكى انصرف .
اجاب : حسنا .

ومضت كارلا الى غرفة الحمام وهي واثقة انها ستجده مرتديا
ثيابه عند عودتها . ووقفت امام المراة ومشطت شعرها وتجملت ،
وعندما عادت كان ليو لا يزال راقدا فراحت تهزه من جديد وهي
تقول : الوقت متأخر يا ليو .. يجب ان انصرف .
جلس الرجل وهو يغالب النوم وقال : ماذا ؟ .. هل فرغت من
ارتداء ثيابك هكذا سريعا ؟

- ولكن الوقت متأخر يا ليو .. ويجب ان ترافقنى الى البيت .
تشاءب وراح يشد شعره ويقول : آه . ولكننى اريد ان انام ...
انك لم تتركينى انام فى هدوء وسلام طوال الليل ورحت تنادينى
وتحدثينى وتركينى .. اننى اكاد اموت لحاجتى الى النوم .
كان يتكلم فى هدوء وهو يتحاشى النظر اليها . اما كارلا فراحت
تنظر اليه فى اهتمام وهي تفكر فى غضب : « انه لا يريد ان ينهض
لا لحاجته الى النوم طبعاً ولكنه يتظاهر بذلك لاننى لم اطاعه منذ
لحظة » . وقالت فى رفق « اذا كنت تريد ان تنام فلا داعى لكل
هذا الكلام » اننى استطيع ان اعود وحدى .

نظر ليو اليها عندئذ مترددا وقال فى لهجة لينة : وحدك ... هذا
لن يكون .. انك تقولين هذا الآن ، ولكنك لن تكفى عن توجيه اللوم
لى ... فانا اعرفك بما فيه الكفاية .. سارافقك الى البيت .
ولزم الصمت وهز راسه ولكنه لم يتحرك . وتبادلا النظر . وقالت
كارلا فجأة : واذا امرتك ان لا ترافقنى ؟

اذا امرتنى ؟ كنت تريدنى منذ لحظة ان ارافقك ، والان لا تريدنى ،
ما هذه النزوات .

جلست على حافة الفراش بجوار عشيقتها وقالت : ليس هناك
اية نزوات ... ولكن خطر لى انك اذا رافقتنى فقد تعرضنى للشبهة ،
اذ ربما يرانا البعض معا .. ولهذا فمن الاوفق ان انصرف وحدى .
اننى اعرف الطريق ، وسأكون فى البيت بعد عشر دقائق ...
وبممكنك انت ان تعاود النوم .

ولزم كل منهما الصمت ... احس ليو بعد تلك الرغبة الملحة

التي تملكته فجأة بحاجته الى النوم . وامعنته مجرد فكرة مفادته
الفراش والخروج ، ربما تحت المطر ، ثم انه كان يتعين عليه اخراج
السيارة من الجراج ، وابتسم ومد يده وداعب وجنة كارلا وقال :
- الواقع انك فتاة باسلة ... تستطيع حقا ان اتركك تنصرفين
وحدك ؟

نهضت واقفة وقالت وقد احنقتها لهجته : طبعاً ، تستطيع . بل
اننى اتوسل اليك ان تفعل . هل لك ان تعطينى اجرة سيارة
الاجره ، اذ ليس معى نقود .

- انك ترين على الأقل اننى اصررت على موافقتك وانه يستحيل
على ان ازداد اصرارا . واذا كنت لا ارافقك الآن فليس ذلك لاننى
اريد ان انام ، وانما لكى لا اعرضك للشبهة ، كما قلت منذ لحظة ،
فلا تأتى بعد ذلك وتلوميننى .

وانحنى ليو ومد يده الى سترته ، وكان قد وضعها فوق احد
المقاعد واخرج من جيبها حفنة من النقود وضعتها كارلا فى جيبها وهى
تحدث نفسها قائلة : « اننى بدأت اكتسب قوت يومى » . ثم اقترب
من الفراش وانحنى قائلة : الى الملتقى يا حبيبى .

وتعانقا ، وصاح ليو : اغلقى الباب خلفك .

ورآها تخرج من حذر وارهدف اذنيه لحظة لكى يسمع الباب وهو
يفلق ، ولكنه لم يسمع اى صوت فاطفاً الاباجورة واستدار نحو
الجدار ونام .

الفصل العاشر

بينما كانت اشعة الشمس تتسلل فى الفرفة المشوشة والنور ينساب اليها من كل مكان كان ليو يرى فى منامه كارلا ومارى جريس وميشيل . وكانت صورهم قد بدأت تبهت وتتباعد كما لو ان نور النهار بدا يزيل ألوانها ، ومع ذلك ، فقد راح الراقد يبذل جهده للبقاء عليها ويقول دون وعى : « لا اريد ان استيقظ .. لا اريد ان استيقظ » . ولكن صوتا شاعريا كان يأتيه من بعيد ويقول فى عتاب خفيف : « ليو .. ليو .. استيقظ » . وخامره احساس بأن ذلك ليس حلما ، فأطبق عينيه فى اصرار وتكوم تحت الفطاء وهو يأمل ان يكون ذلك الاحساس الدخيل مؤقتا ، وان يستطيع الاستغراق فى شبكة النوم الهادىء اللذيذ . ولكن النداءات تكررت وازدادت وضوحا ، ولم تلبث ان حطت يد على كتفه وراحت تهزه فلم يسعه الا ان يفتح عينيه واذا به امام مارى جريس .

نظر اليها مشدوها وقال : انت هنا ؟ ... ولكن كيف دخلت ؟
- جئت لكى ابلغك رسالة . وقد وجدت الباب مفتوحا فدخلت .
وعاد ينظر اليها فى ذهول وفكر : « الباب مفتوح ؟ .. آه ..
هى كارلا دون شك .. وتشاءب ثم تمطى دون اية مراعاة وقال :
- وما هى تلك الرسالة ؟

جلست مارى جريس فوق الفراش وقالت : اردت ان اتصل بك تليفونيا ، ولكن مصلحة التليفونات قطعت الحرارة لاننا لم ندفع الاشتراك منذ شهرين . وقد وعدتنى انت أمس ان نلتقى غدا ولكننى تذكرت اننى مرتبطة بموعد فلم لا نلتقى بعد ظهر اليوم ؟
أخذ ليو ركبتيه بين ذراعه وقال : اليوم .. بعد الظهر ؟

راق له هذا الاقتراح ، وراى انه اذا تخلص من مارى جريس ومن مضايقاتها اليوم فانه يستطيع ان يستمتع بحريته مع كارلا طوال الاسبوع ، ولكنه ، منعا لكل مفاجأة لم يشأ ان يعدها بشيء فقال :

– اصغى الى ... ساذهب لزيارتك بعد الغداء ... وسارى عندئذ .

وساد صمت طويل . وبدا الشك وعدم الارتياح على ماري جريس ، وراحت تنظر اليه وتفحص فى اهتمام تلك الغرفة التى تعرفها جيدا ووجه عشيقها . خيل لها ان ليو شاحب اللون ، مرهق . وفكرت : انه قضى الليلة مع ليزا ، وليس هناك اى شك فى هذا ، ولعل ليزا كانت هنا منذ لحظات « واستولى عليها حقد طاغ ورمت عشيقها بنظرة قاتلة حافلة باللوم وقالت :

– لو كنت مكانك لما تصرفت كما لو كنت فى العشرين من عمرى .

سألها ليو مشدوها : ماذا تعنين ؟

– اعنى انك تتقدم فى السن ، وانك لا تدرى الحماقات التى لا ريب انك اقدمت عليها الليلة .. لم يعد له الحق فى الاقدام عليها . واردفت تقول وهى ترفع صوتها : ولكن انظر الى نفسك فى المرآه .. انظر الى هاتين العينين وهذا القناع لا شىء الا بدافع الفضول .

قال ليو وقد احنقته تلك الاشارة المباشرة الى سنه : انا اتقدم فى السن ؟ .. واقدم على حماقات ؟ .. وما هى تلك الحماقات ؟ قالت الام وهى تأتى باشارة من يدها .. اننى أعرف ما أقول .. بعد سنة أو سنتين على الاكثر سيدفعون بك فى عربة صغيرة ... نعم .. بل انك لن تستطيع المشى .

هز ليو كتفيه فى غضب وقال : اذا كنت قد أتيت للنطق بهذا الهذر فمن الأفضل ان تنصرفى (والقى نظرة الى المنبه الذى فوق الطاولة وأردف) الظهر ... ان لدى موعدا فى منتصف الواحدة .. انصرفى .. انصرفى حالا .

ووثب من الفراش وانتقل خفية ثم مضى الى النافذة ففتحها ، وامتلات الغرفة بالنور ، وسألته ماري جريس من غير ان تنهض :

– ولكنك لا ترتدى المنامة التى اهديتك اياها فأين هى ؟ .. لعلك هديتها الى احدى صديقاتك .

مضى ليو الى غرفة الحمام دون ان يرد ، ونهضت ماري جريس وراحت تدور فى الغرفة فى شىء من الفضول والكسل وقالت :

– هدية أخرى اهديتها اليك ولا اراها .. واعنى بها تلك الفازة الثمينة .. لعلك اهديتها الى صديقة اخرى .

ولا مجيب . ومن خلف الباب الزجاجى جاءها صوت انسياب الماء .. كان ليو يفتسل .

لم تعترف مارى جريس بالهزيمة ، وتابعت فحصها للغرفة وقد وهنت هزيمتها . كان كل شيء فى هذه الغرفة يعيد الى ذهنها ذكريات سعيدة ، وراحت تتنهد وهى تقارن بين تعاستها الحاضرة والأيام السعيدة الماضية . ورات صورتها فوق الطاولة فاستردت شيئاً من الثقة وفكرت : « الواقع انه لا يحب غرى . عندما لا تسير أموره على ما يرام ويتعرض لمشكلة ما فانه يعود الى دائما . وسيعود الى حتما ... انه يمر بفترة من الفتور المؤقت » وكانت قد اشترت قبل قدومها باقة من زهور البنفسج وشبكته فى صدرها ، وبدافع من الامتنان ، وبنية مبهمة فى أن تقوم بعمل رقيق ، وضعت هذه الزهور فى اناء صغير بجوار صورتها ثم مضت الى غرفة الحمام .

وكان ليو واقفا مرتديا منامته ويحلق ذقنه فخطابته قائلة : سأنصرف الآن ، وبهذه المناسبة . اذا ما أتيت اليوم فتصرف كما لو انك لم ترنى ، وكما لو ان رسالتى قد وصلتك فحسب ... مفهوم ؟ وخرجت راضية من نفسها ، وهبطت السلم بسرعة واستقلت الترام الى وسط المدينة ، حيث تنتظرها ليزا منذ نحو عشرين دقيقة ، فى محل لبيع القبعات . وكانت ليزا تنتظرها فعلا ، فى مؤخرة المحل ، وهو مكان مزدان بالهدايا وبالقبعات الجديدة وكانت هناك امرأة شابة تتأمل نفسها فى اعجاب امام احدى المرايا ، وأصوات تتحدث فى غرفة مجاورة . وما أن رأت ليزا مارى جريس حتى نهضت وأسرعت اليها قائلة :

— اننى آسفة .. آسفة حقاً .. ولكننى لا أستطيع البقاء معك ، فقد تأخرت ولا بد لى من الانصراف .

رمتها الأم بنظرة متشككة وفكرت « يا لانانية هذه المرأة ! انها الآن ، وقد فرغت من اختيار قبعاتها تحاول أن تمنعنى من أن أختار بدورى » . وسألته مترددة : وهل أبقى انا ؟

— افعلنى ما يحلو لك .

وبسطة يدها لتودعها ، ولكن مارى جريس غيرت رأيها فجأة فقالت : كلا . اننى ذاهبة معك . سأهتم باختيار القبعة فيما بعد ، وسأرافقك الآن الى الحدائق حيث نستطيع تبادل الحديث . لم تنطق ليزا بشيء . وخرجت المرأتان الى الشارع ، ومشيتا

جنباً الى جنب . وكانت تتوفغان من وقت لآخر امام فترينات المحلات تتأملان المعروضات . وكانت ماري جريس تشعر بالحزن والاسى امام فترينات المجوهرات ، وقالت وهى تشير متنهدة الى عقد اللؤلؤ « كان عندى عقد شبيه بهذا » ونظرت ليزا الى العقد ولم تقل شيئاً ، فقد ضاعت مجوهراتها هى الاخرى ، وفكرت « ولكن زوجى هو الذى اخذها معه ولم اضطر الى بيعها على الاقل لكى أعيش » .

وكانت ماري جريس قد تبعت صديقتها لكى تطلق العنان لشكوكها من ناحية ليو ، ونظرت الى ليزا وهى تحدث نفسها « انها كانت معه ليلة أمس بالذات » وبدا لها ان هذا الافتراض صحيح لا يقبل الجدل . كان من الواضح لكل ذى عينين ان هناك شيئاً بينهما . ونظرت اليها فاحصة ، ووجدت فيها فتنة جديدة ، ونوعاً من الهناء الطبيعى لا يمكن تحديده . كان ذلك علامة على الحب ما فى ذلك شك . ان ليزا تحب ، وهناك من يبادلها هذا الحب . ولكن من ؟ لا شك انه ليو . انها كانت معه بالأمس بالذات . ووجدت فى عينى صديقتها الرطبتين ومنخريها المختلجين توكيدا لتقززها . كيف يمكن لاي رجل أن يحب مثل هذه المرأة ؟ اننى لا أستطيع ان المسها بأى حال من الأحوال فهى ليست امرأة ، وانما بهيمة . وتوترت أصابعها بفضا وكرها وهى تفكر فى أن ليو قد لمس هذا الجسد وهذه الرأس وكل هذا الجسد وهذه الرأس وكل هذا الشئ المتأجج المغطى .

وانتقل بهما الحديث الى الحفلة الراقصة التى ستقام الليلة ، وقالت ماري جريس :

— ان ثوبى الأسباني يتمشى تماماً مع بشرتى ، وسأضع فى شعرى مشطاً كبيراً ، من تلك الأمشاط الاندلسية . . فنحن مدعوون الليلة الى مائدة آل بيراردى . هل تأتين ؟

قالت ليزا وهى تخفض عينيها : انا ؟ . . ليس هناك من يرافقنى .

وامسكت وهى تنتظر رد صديقتها فى قلق . خطر لها ان ماري جريس تستطيع ان تدعوها . كانت ليزا تعرف آل بيراردى ، وكانت تمنى نفسها بالذهاب الى الحفلة حيث تلهو وتشرب ثم تطلب من الأم ، عند العودة ، ان تترك لها ميشيل (فقد كانت تحب ان تعامله كما لو كان غلاماً صغيراً) فيرافقها الى بيتها فى منتصف الليل ،

وتداعبه وتثيره . وسيستقلان عربية مقفلة طبعاً ، مظفاة الانوار .
والمسافة طويلة . والشوارع مظلمة . وسيجدان متسعا من الوقت
للحديث والخلود الى الصمت . صفوة القول ، سيتفقان . وعندما
تقف بهما العربية امام البيت استدعوه للدخول لتناول كأس صغيرة
من الشراب او فنجان من القهوة ثم ...

وراق لها هذا البرنامج الذى لابد من وقوعه طبقاً لسير الاحداث ،
فان من المستحيل ان يرفض ميشيل مرافقتها ، ومن المستحيل ان
لا يقبل الصعود معها الى مسكنها .
وتكلمت الام فقالت : انك لا تفتقرين الى الاصدقاء ... ولن
تجدى وسيلة لكى يصطحبك أحد .
قالت ليزا فى اصرارها على ان تدعوها مارى جريس : ليس لى
اصدقاء غيرك .

— شكرا لك . هذه مكرمة منك .
— تقولين ان آل بيراردى اصحاب الدعوة ؟ .. ولكننى أعرفهم ،
فقد كنت اصطاف معهم .
— آه ، حقا !

سألها ليزا بسذاجة : ومن سيرا فكمما .
اجابت مارى جريس فى حدة : ليو ... ولكنه سيجلس الى
مائدة أخرى .

فكرت ليزا : لست اهتم بليو .
ثم اردفت تقول بعد صمت قصير : اود لو ان احضر هذه الحفلة ،
لا لشيء الا لكى ارى آل بيراردى .. فقد مضت مدة طويلة على
لقائنا الأخير .. نحو سنتين على الاقل .

قالت مارى جريس فى عصبية ظاهرة وهى تدور بطرف مظلتها
على حافة الرصيف : آه . لكى ترى آل بيراردى ؟ .. هل تظنين اننى
لم أفهم ... انك انما تريدان ان ترى شخصا آخر اهتم انا به .
— وفيم يهتمك هذا ؟

قالت مارى جريس وهى تهز رأسها فى حزن : طبعاً . لا يجب
ان احفل بهذا .. الواقع انك على حق ، فلا يجب ان احفل اذا أنت
سرقتنى او قتلتنى . وكل هذا لا يقع الا لى انا لاننى طيبة ورقيقة
القلب .. لو اننى وطأتك بقدمى منذ اول لحظة لما حدث كل هذا .
— ما هذا القول يا مارى جريس ؟ .. ماذا دهاك ؟ .. هل جننت ؟

كانتا تتمشيان وتتجادلان على الرصيف المقفر ، واستطردت ماري جريس تقول : نعم . اننى طيبة جدا وحين يخطر لى اننى احسنت معاملتك ، وقدمت لك من الخير كل ما استطعت . . وهذا هو عرفانك بالجميل ! . . ورفعت عينيها الى السماء وتنهدت وهى تستطرد : آه ! . . ولكن صبرا . . ان فى هذا درسا لى .

ضحكت ليزا فى ازدراء وقالت : انت طيبة معى ؟ . . انت !
وساد صمت ، ثم عادت الام تقول وهى تبتعد عن صديقتها ، وتنظر امامها كما لو كانت تخاطب شخصا ثالثا : ومهما يكن فاننى لا افهم كيف يستطيع المرء ان يحب بعض النساء .
- هذا ما لا افهمه انا ايضا .

امتقع وجه ليزا ، وارتجفت شفتاها . لماذا تبدى صديقتها كل هذه القسوة ؟ انها لم تسىء اليها ابدا ، واذا كانت تقلق على ابنها بهذه الصورة فانها تسىء بذلك الى منافستها القديمة ، ففيم يهم ماري جريس اذا كانت تريد ان تذهب الى الحفلة الراقصة لكى تلتقى بميشيل ؟ ولما كانت هذه اول مرة يتجنى عليها فيها احد تقريبا فقد كان غضبها شديدا لانها تحب ميشيل وميشيل يحبها . . كيف يستطيع المرء ان يجد فى مثل هذه القصة النقية الطاهرة مادة للاستياء والفضيحة ؟

واستطردت الام تقول : وماذا حدث ليلة الامس ؟ . . حسنا . . اننى اظن . . اننا لم نستطع احتجازه فى البيت ، فقد كان يغالب النوم ، وانصرف . ولكنك كنت تنتظرينه طبعاً . هل تفهمين ما اقول ؟ . . يجب ان تخجلى من نفسك (ونظرت الى صديقتها من اعلا راسها الى اخمص قدميها وشفتاها المصبوغتان تتقلصان لفرط اشمئزازها) انك تجاوزت سن الشباب .

قالت ليزا : اننا فى نفس السن تقريبا . . بل انت تكبريننى سنا .

اجابت الام فى قوة : كلا يا سيدتى العزيزة . ان حالتينا مختلفتان ، فانا ارملة . . . اما انت فما زلت متزوجة . . وزوجك حتى يرزق . . يجب ان تموتى من الخجل .

نظرت ليزا الى ماري جريس فى ذهول . . هل يمكن لهذا الوجه آفاضب الفيور ان يعبر عن . . الحب الاموى . . انه لحب اموى غريب ذلك الذى يولد مثل هذا الغضب عند امرأة لم تشعر ابدا

بالحنان نحو ولديها . الا يمكن ان تكون غيرتها غير شهوانية لا .. غير
عاشقة ؟ .. وفجأة ادركت .. واحست بالارتياح فى بادىء الامر
ثم نظرت الى الام ، وعاد الشك يجتاحها فسألتها :
- مارى جريس ، قولى لى .. انك تتكلمين عن ليو ، اليس
كذلك ؟

رات صديقتها تومىء بالايجاب فى ضيق والم وكأنها تقول : لماذا
تسأليننى ؟ .. انت تعرفين ذلك جيدا ، فليس لى غيره .
نمت عينا ليزا عن رثاء مشوب بالنصر وقالت : يا لك من مسكينة
يا عزيزتى مارى جريس .

ورات الآن بعين الخيال مشهد الامس . ليو وكارلا متعانقين على
ضوء الشمعة ، وقالت تحدث نفسها : انما يجب ان تغار من
ابنتها . واحست بشيء من الشفقة نحو هذه المرأة المسكينة ، ولكنها
احست فى نفس الوقت بفرح طاغ لأنها غير مذنبه بما اتهمت به
بحيث لم تدر هل ترد عليها مشفقة او مزدرية . وقالت اخيرا :
- يمكنك ان تتأكدى اننى لم ار ليو لا امس ولا .. اى يوم آخر .
وانى أقسم لك على ذلك بكل ما هو مقدس .

راحت الام تنظر اليها فاحصة ، بعين متشككة ثم اطرقت براسها
وقالت بلهجة حاولت ان تبدو فاترة وفورة : من الاوفق ان نفترق ،
فالوقت متأخر .

وعادت ليزا تقول مترددة : صدقينى ... ان فى الامر سوء
تفاهم .

ونظرت حولها كما لو لتبحث عن حجة او قرينة دامغة . ووقفت
تنظر الى اليمين والى اليسار وهى لا تدري ما تفعل . اما مارى
جريس فقد راحت تبتعد فى بطء ، وهى مطرقة الى الارض فى
شروء وتفكير ، وودت ليزا ان تصيح بها : « انه انما يخونك مع
كارلا وليس معهم ... مع ابنتك يا عزيزتى المسكينة مارى
جريس .. » . ولكن الام أخذت تبتعد ، ونم تقوس ظهرها عن
اصرارها على عدم الالتفات نحو الحقيقة ، ولم تلبث ان اختفت .

الفصل الحادى عشر

بلغت مارى جريس البيت وهى فى حالة من التعب والارهاق ، ووجدت ميشيل جالسا فى غرفة الانتظار ، يدخن ، فقالت وهى تخلع معطفها : اننى ميتة .. اين كارلا ؟ اجاب : فى الخارج .

وخرجت مارى جريس من غير ان تنطق بكلمة اخرى . كان ميشيل سىء المزاج ، فان احداث مساء الامس تركته فريسة لسخط كئيب . كان يدرك انه لابد من ان يتغلب على ضعفه وعدم مبالاته ، وان يتصرف . ولا ريب ان العمل كان يمليه عليه منطق غريب من الصدق والوفاء ، فان الحب البنوى وكراهيته لعشيق امه والعواطف العائلية كانت احساسات ومشاعر لا يعرفها ، ولكن ما الاهمية ؟ .. عندما لا يكون الانسان صادقا ومخلصا فلا بد له من ان يتظاهر بذلك ، ولفرط تظاهره ينتهى به الامر الى ان يصدق ذلك . وهذا هو مبدا كل الايمان .

صفوة القول : هل لابد له ان يتحمس وان يحتد . لننظر الى ليزا مثلا . اننى لا احبها . بل اننى لا اشتهيها ، ومع ذلك فاننى قبلت يدها بالامس .. وسامضى اليها اليوم ، ساكون فاترا جدا فى البداية ثم اضطرم وتأجج .. وهذا سخف ولكننى اعتقد ان الامر سينتهى بى الى ان اصبح عشيقها .

لم تكن هناك اية مأساة حقيقية بالنسبة له ، وذلك لافتقاره الى الصدق والايمان . كان ضجره يجعله يرى كل شىء سخيفا كاذبا يستحق الرثاء ، ولكنه كان يدرك صعوبة واطار الموقف . كان لابد له من ان يتحمس وان يتصرف ويتألم وينتصر على هذا الضعف .

وفكر يقول فى اسف ساخر : لقد كانت الحياة جميلة حقا عندما كان الزوج المخدوع يصرخ فى وجه زوجته قائلا : ايتها الزوجة الفاجرة ، موتى جزاء جرائمك . وانه لشىء جميل ان يفعل المرء

ما يقول حقا ويهجم على الاثمين ويقتل الزوجات والعشاق جميعا ويبقى وحيدا غير مجازى . لا يبكته ضميره . فى تلك الاوقات السعيدة كان التنفيذ يلى الفكرة ، ولم تك الحياة سخيفة كما هى الان . كانت عبارة عن مأساة يموت فيها المرء حقا ويقدم على القتل وعلى الحب وعلى الكراهية . وكان يذرف الدموع الحقيقية على المصائب الحقيقية . كان جميع الرجال مخلوقين من لحم ودم ، ومرتبطين بالواقع ارتباط الاشجار بالارض . وشيئا فشيئا تتلاشى السخرية ويبقى الندم . وود ميشيل لو انه كان يعيش فى تلك العصور المفجعة وان يحس بذلك الحقد الجارف وان يسمو على هذه المشاعر التى لا حدود لها .. ولكنه كان مكبلا فى عصره وفى حياته وفى مستوى الارض .

صعدت كارلا السلم فى ببطء . كانت عائدة من لعب التنس . وكانت ترتدى بلوفر متعدد الالوان وجونلة بيضاء وتضع معطفها على ذراعها وتحمل فى يدها مضرب التنس وشبكة صغيرة مملوءة بالكرات ، وكانت تبتسم . وقالت قبل ان تبلغ الدرجات الاخيرة :
اين امى .

وصعدت آخر درجة ووقفت امام ميشيل وقالت : اننى التقيت بيبو رينالدى ، وقد دعانا للعشاء انا وامى .. وسيصحبونا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة ، ويمكنك ان تنضم الينا اذا اردت .

وسكتت ، ولم يجب ميشيل وراح يدخن . وجاءت الام فى هذه اللحظة فعادت كارلا تقول : اتعلمين يا امى ؟ .. لقد دعانا آل بيراردى للعشاء . وسيصحبونا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة .

قالت الام بدون حماس : هذا حسن . يجب ان نفرغ من ارتداء ثيابنا مبكرين اذن .

كان أنفها مضطربا ومثلجا . وكان وجهها الخالى من المساحيق يلمع قليلا ، وبدت فى عينيها نظرة باردة وهى تقول : اما انت يا ميشيل ، فاننى اريد ان اتحدث اليك .

خرجت كارلا ، وتظاهر ميشيل بدهشة كبيرة وقال : تريدان ان نتحدثى الى ؟ .. وفى اى شىء ؟

هزت الام رأسها وقالت : انك تعرف ذلك خيرا منى .. انك

رميت بتلك المنفضة امس ، ولكنك اصبتنى انا ... وما زلت احمل اثرها .

وهمت بأن تكشف عن ذراعها ولكن ابنها اوقفها قائلا فى تقزز : كلا ، ارجوك . لا داعى للعرض ... فانا لست ليو .

ساد صمت ، وتقلص وجه الأم وتجهمت نظرتها وقالت فى صوت متغير : اننى لا اريد الا خيك ، فماذا دهاك يا ميشيل ؟ قل لى ماذا بك .

— ليس بى شىء .

وتملكه الحنق وازداد ضيقه وفكر : انها لتعرف ما بى تماما . واذا هى استمرت على هذه الخطة فستفدو سخيقة ومضحكة . يجب ان ارقف هذه الموجة من الرومانسية بكل ثمن ، فلا اريد ان أراها تبكى ولا ان تصرخ او تتوسل ...

واستطردت الأم تقول : ميشيل . قدم خدمة لأمك وكن لطيفا مع ليو .. او على الأقل حاول ان تشعر من نحوه الود فان ذلك بسرئى .

صمت قصير ثم سألها ميشيل : وهو ؟ .. هل يشعر بشىء من الود نحوى ؟

قالت الأم وهى تضحك ضحكة فتية مؤثرة لفرط ما فيها من سداجة وتوهم : هو ... انه يحبك كما لو كنت ابنه . — آه ... حقا ؟

نظر ميشيل اليها فى غباء وقد ثبطت همته ازاء حسن نيتها وعدم ادراكها وفكر : ليست هناك أية جدوى ، فان هذه الحكاية هى مجالها .. انه يعيش فى عالم أمه ، وهو عالم مشوه وزائف ومضحك لا مكان فيه له ولا لذكائه . واستطردت الأم تقول وهى تضحك ضحكتها الواضحة الظافرة : انه خير الرجال على الارض .

ولم يسعه أن يول شيئا عندئذ ، فان الارض نفسها قد اهينت ، وستكف عن الدوران . واستسلم للأمر الواقع ولزم الصمت . وعقبت الأم تقول :

— وهو غالبا ما يحدثنى عنك . وقد قال لى امس بالذات « اننى أعرف ان ميشيل لا يحبنى كثيرا ولكننى لا أعبأ بذلك ، ولا يهمنى الا اسعاده . لن تلبث كارلا أن تتزوج ، ولا بد لك من أن يستقر هو الآخر وأن نجد له عملا . سأوصى به بعض اصدقائى من ذوى

النفوذ .. ان له عيوبه طبعاً ، ولكن من منا خال من العيوب .
ابتسم ميشيل وقال فى ازدراء : أحقا انه قال انه يريد مساعدتى ؟
اجابته الأم : نعم . على شرط ان تكون لطيفاً معه ... والا انتهى
به الأمر الى الغضب منك . أرايت الى كارلا . فلتكن مثالا لها .
انها لاتنطق بكلمة زائدة أبداً ، ولا تأتى بإشارة فى غير موضعها ..
وقد تعلق بها كثيراً .

قاطعها ميشيل وقد ازداد اهتمامه : آه .. هل تعلق بها ؟
- نعم . الى حد انه أصبح يفكر فيها كما لو كانت ابنته ، فهو مثلاً
قد أدرك انه لابد من تزويجها .. ان عاجلاً وان آجلاً ... فاهتم
بذلك . وقد تحدث معى فى هذا الأمر أمس ونحن فى فندق الريتز ،
وقال لى ان بيبو بيراردى سيكون خير زوج لها .
صاح ميشيل : ولكنه دميم جداً .

- غير ان دمايته مقبولة ، وانت ترى انه لابد لنا من الحفاظ على
عزيزنا ليو لكى لا يفلت من أيدينا .
همس ميشيل وهو يرتجف فرحاً : عزيزنا ليو .

واذا اطمأنت الأم اخذت يد ميشيل وقالت : هل تعدنى ان تكون
لطيفاً معه ؟

واحتلج صوتها من انفعال مفاجئ صادق ، وتفتح قلبها كصندوق
مشحون بالحب تريد ان تفرغه على العالم أجمع ... على ليو وكارلا
وميشيل وبيبو بيراردى ، وعادت تقول : هل تعدنى يا ميشيل ؟
اجاب ميشيل وهو يحس بالضيق امام عينيها اللتين تلمعان من
الانفعال : نعم .. اننى أعدك .

ودخلت كارلا فى هذه اللحظة وقالت : ماذا تفعلان ؟ .. حسبتكما
فى غرفة الطعام .

قالت الأم : كنا نتحدث ، وكنت أقول له ان يكون لطيفاً مع
ليو .. الست على حق يا كارلا ؟ .. انه كثير المجاملة لنا ، وهو
صديق قديم للبيت ، وراكمما تكبران ، ولا يجب معاملته كشخص
غريب .

وتوقفت كارلا جامدة الحركة فى منتصف الغرفة ونظرت الى
امها . وعندئذ ولأول مرة تراها عمياء الى هذا الحد ومسألة ،
أدركت انها خانتها ، وقالت فى سرها « ماذا تفعلن لو عرفت ؟ » .
وقالت فى صوت مسموع وهى تغمض عينيها نصف اغماضة :

اظن ان المرء يجب ان يكون لطيفا مع الجميع .
- هل تسمع ؟ .. ان كارلا تشاطرنى الراى . تعالى هنا يا كارلا
.. تعالى حتى اراك (وجذبته فى حنان مفاجىء ، واجلستها فوق
مسند مقعدها ، ورتبت بيدها على خدها وأردفت) يخيل لى انك
شاحبة قليلا يا ابنتى ... هل نمت جيدا ؟
- نعم .

- ولكنك شاحبة جدا يا كارلا . لعلك ارهقت نفسك اكثر من اللازم
فى لعب التنس .
- ابدا يا امى .

وهبطوا ثلاثتهم الى غرفة الطعام . وقالت الام وهى تجلس :
فلنتحدث الآن فى شىء آخر .. من الذى وجه اليك الدعوة
يا كارلا ؟ .. اهو بيبو ام الآخرون .
- بل هو بيبو .

- آه . كان فى ملعب التنس اذن ؟ .. هل بقيتما معا مدة
طويلة ؟
- نصف ساعة .

- نصف ساعة فقط ؟ .. وفيما تحدثتما .
اجابت كارلا : لا شىء على وجه الخصوص . كنا نشاهد اللاعبين .
- وما راىك فيه ؟

قالت كارلا فى غموض : هكذا .
- وانت يا ميشيل ؟ .. ما راىك فيه ؟
- انه دميم ولكن دمايته مقبولة .

وكانت هذه العبارة الاخيرة هى نفس العبارة التى استخدمتها
مارى جريس ، فراحت تلمس البصر حولها غير راضية كما لو كانت
تلمس آراء أخرى ، وقالت :

- انه شاب ذكى ومثقف . وقد سافر كثيرا ، ويعرف أناسا
كثيرين ، ويميل اليك يا كارلا .
- حقا ؟

- ولا ريب انه ثرى ، فان لدى أبويه خمس سيارات وابوه رجل
اعمال ناجح ... رجل عصامى بدأ من لا شىء .

ولزمت الصمت لحظة ثم عادت تقول : كنت اراقبك فى ذلك
اليوم ، وانت ترقصين مع بيبو .. وبدأ لى انك باردة ، متصلبة ...

وكنت ترقصين كما لو كنت دمية آلية .. ومهما يكن فانه لم يدعوك
انى الرقص بعد ذلك .

اجابت كارلا فى حدة : لم اكن باردة . اما هو فكان ملتها . وكان
يلقى على سمعى كلمات بذئمة ، فرجوته ان يسكت وختمنا
الرقصة صامتين .

هزت الام راسها غير مصدقة ، وقالت وهى تبتسم ابتسامة كبيرة :
كلمات بذئمة ؟ .. انما هى نفس الحماقات التى اعتاد الشباب
القاءها على آذان الفتيات ، وأولى بك ان تعترفى يا كارلا بأنك
لا تميلين اليه .

— انه امتدح جمالك انت فى بادىء الامر .

قاطعتها الام وقد ملأها الغرور : صحيح ؟

— نعم . ثم طلب منى بعد ذلك ان ارافقه لزيارة مرسمه ..
وسألته عندئذ عما يفعل فيه فأجابنى بأنه يهتم بالنساء العرايا .
قالت الام : حسنا .. وما الضير فى ذلك ؟ .. اليس فنانا ؟

— انتظرى ... سألتها عندئذ ، وبكل سداجة ، هل يرسم بالقلم
او بالفرشاة فضحك واجابنى بصوته المتكلف : « بل اننى لا أعرف
كيف أمسك بالقلم يا آنسة ولا كيف استخدم الفرشاة ، فسألته ماذا
يفعل اذن فاستغرق فى الضحك وقال : « ما عليك الا ان تأتى معى
وسوف تعرفين » وقرن عبارته هذه بغمزة من عينه لها معناها ،
ولما قلت له « لا » بلهجة جافة صاح مشدوها : « لا أخالك تقولين
ان هذه أول مرة ؟ هل تفهمين ؟ .. كان يظن اننى اعتدت الاختلاف
الى استوديوهات الفنانين ، ولم أرد عليه بشيء طبعاً . وانتهى
الامر بيننا عند هذا الحد .

صعقت مارى جريس ، وتقلص فمها لفرط الاشمئزاز وقالت فى
حد : يا له من وغد !

قالت : كارلا من غير ان ترفع راسها : الواقع يا أمى انهم يتكلمون
عنى بكل سوء .

كانت هادئة تماما . كانت واثقة ان السنة السوء لن تلبث ان
تنتصر وانه اما ان تهرب مع ليو واما ان أمرها سوف ينكشف .
واستسلمت لمصيرها . وبدأ ان إيمانها بحياتها الجديدة قد ضاع
الى الابد ، وأردفت تقول فى حزن : والا فلماذا يتكلمون عنى هكذا .
نظر ميشيل الى اخته مليا . بدت له حزينة وسالة ، ولكنه

لم يدر كيف يواجه الامر وراح يقول لنفسه : « هل يجب أن اغضب ؟ » أحس بأنه بارد وبأنه يميل الى التفكير . وراح يفحص كارلا . رآها فاتنة ، وتخيل شهوة بيبو ، وقال يحدث نفسه « انها فتاة جميلة ، وبيبو يتمتع بذوق سليم ، وهى قد راقت له ، ولد الحق على كل حال فى أن يتصور انها ليست المرة الاولى « وصور له خياله اخته بين ذراعى رجل وقد ألقت بنفسها فوق صدره .. هذا ممكن تماما فهى امرأة هى الاخرى .. ولها غرائزها .. وميولها . ثم انها ناضجة تماما . وتذكر انه رآها عرضا ذات يوم وهى خارجة من الحمام ، وما زال يحتفظ حتى اليوم بذكرى صدرها العارى .

وأدرك ان من واجبه ان يقول كلمته وان هذه الظروف الشاقة تقتضيه ان يعبر عن سخطه التام أمام هذه الإهانة والا وقع مرة أخرى فى استخفافه القاتل الذى يمنعه من التصرف ومن العيش كغيره من الرجال .. انه لعب مع أشباحه بما فيه الكفاية ، وعليه الآن ان يدخل بقدم ثابتة فى المأساة ، الآن والا ضاعت الفرصة ، فصاح يقول مرددا عبارة أمه : يا له من وغد ! .. اننى ما زلت جديرا بأن اذهب اليه واصفعه صفتين .

ورفع عينيه ورأى صورته فى المرأة .. هل هذه صورته هو ام صورة رجل آخر ، تلك التى تنظر اليه بهاتين العينين الخبيثتين وكأنها تقول له : انك لست جديرا بأن تفعل ذلك .

تحوّلت كارلا اليه وقالت : اشكرك كثيرا . ولكنني أوقفته عند حده ، ومن الأوفق أن تدعني أتصرف .

صاح وهو یری فی ارتیاح انه بدأ ینفعل ویحتد : اترکک
تصرفین ؟ . . الا تظنین اننی اذا قلت له کلمتین فقد یدری مدی
الخطأ الذی اقدم علیه .

عادت تقول وهى تنظر اليه فى اهتمام : أرجوك . دعنى أنا
أتصرف .

كانت هذه أول مرة ترى فيها ميشيل فى هذه الهيئة ، وفى دور الاخ المنتقم . على انها وجدت لعبته ثقيلة ومغالى فيها ، كما لو كان ممثلا لا يتقن دوره ، وفكرت فى انزعاج : « ماذا يفعل لو عرف اننى بذلت نفسى لليو ؟ .. » وكانوا قد فرغوا من الطعام فسألت فى انزعاج : « وماذا تنوين أن تفعلى اليوم يا أمى ؟ » .

وانتظرت الرد فى قلق كبير وهى تقول لنفسها : « عسى ان لا تطلب منى مرافقتها » فقد كانت تريد قضاء الاسبوع مع عشيقها . وادركت انها لن تستطيع الاستغناء عنه ، فقد بدأت العادة تحل محل الرغبة فى حياة جديدة ، واحست بلهفة كبيرة ومؤلمة تدفعها الى العودة الى تلك الغرفة والى احضان ذلك الرجل .

وقالت الام فى غير اكتراث ظاهر : انا ؟ .. لا ادرى .. اظن اننى سأذهب لشراء بعض الاشياء . وانت ؟

وراح قلبها الناضج والمملوء بالاوهام يدق بشدة ، فان هذا اليوم هو يومها هى ، سيعود فيه عشيقها اليها ... الى حبيبته القديمة بعد اخطاء عابرة . واجابتها كارلا وهى تتظاهر بعدم الاكتراث هى الأخرى .

— انا ؟ .. ان كليريت دعتنى لتناول الشاى معها .

وسكتت الام والابنة ، واطرقت كل منهما بعينيها الى الارض وهى تشعر بالانتصار والرضا . وارتسمت على وجه كل منهما دلائل الارتياح ، وحملت كل منهما فى قلبها صورة عشيقها المشترك ، وانحنت كل منهما فى هذه اللحظة كما لو لكى تقول له : انظر ايها الحبيب .. لقد نجحت اللعبة .. ولن يزعجنا احد .

ونفضت المرأتان وغادرتا غرفة الطعام . وكانت ماري جريس اول من دخل غرفة الصالون وهى ترتعش وتفرك يديها . وما كادت تفعل حتى صاحت مشدوهة : أهذا انت يا ميروميس ؟

واسرعت للقاءه وشدت على يديه قائلة : هل تنتظرنا منذ وقت طويل ؟

ودخلت كارلا بدورها ، وصاحت هى الأخرى فى مرح : ليو ! .. وكان ميشيل آخر من دخل فحيا ليو باشارة من يده ووقف بالباب لكى يشعل سيجارة ثم خرج .

وقالت الام وهى تجلس وتفرك يديها فى قوة تدل على سرورها : حسنا .. واى ربح انت بك ؟

اجاب ليو متندرا : لم تأت بى الريح وانما انت بى سيادى جاءتنى رسالتك وقد اردت ان اتحدث معك فى التليفون ولكننى عرفت المشكلة ...

— فاتيت بنفسك .. هذه مكربة منك . اسمعى يا كارلا . اذهرى وقولى للخادمة ان تعد القهوة لاربعة .

نهضت كارلا وخرجت مطرقة الرأس ، وقالت الام وهى تبسم
ابتسامة فاتنة : والآن . قل لى .. هل فكرت فى الرد الذى طلبته
منك ؟

اجاب ليو وهو يتأمل رماد سيجارته فى اهتمام : نعم .
سألته الام عندئذ فى تلميح وقلق : حسنا يا لولو .
ونهضت فجأة ، فى رفق ورقة ، كما لو كانت تريد ان تنتزع سرا
وتقدمت نحوه وقد بدا الاعزاز والحب فى عينيها ، ومرت خلفه
والقت بذراعيها حول عنقه ومالت براسها حتى لامست بخدها خد
عشيقتها وقالت : وما هو ردك اذن .

ابعد ليو راسه واجاب وهو يحدق فى سيجارته : لا شيء .
اخذت المرأة يده الأخرى ومرت على وجهها ودعكت بها انفها
البارد كالكلب الوفى وقالت : هل تحبني ؟
ثم اردفت تقول كما لو كانت قد ادركت خطر هذه الفورة من
العواطف .. سوف آتى .. ولكنك ستكون عاقلا طبعاً .. عاقلاً
جداً .

واعادت بذلك ، دون وعى منها ، نفس الكلمة التى سبق ان
نطقت بها فى اول لقاء مع ليو عندما دعاها الى بيته ، فقد دخلت
مساكنه منذ خمسة عشر عاماً وهى تطلب منه ان يكون عاقلاً جداً .
واردفت تقول وهى تطبع قبلة كبيرة على يده الباردة وتستمتع
مسبقاً بما تحويه كلماتها من تلميح وإشارة :

— سوف تكون ظريفاً معي ، وسنكون طفلين صغيرين رقيقين .
وكانت تنطق بهذه الكلمات وهى ترتجف لفرط سرورها ، وتصاحبها
بحركة صغيرة متوعدة من اصبعها . وبطريقة خبيثة ، ثم تستلقى
على الفراش وتدعو عشيقها بجوارها وتقول له فى مرح وهى تأتى
بنفس الحركة المخدرة : وسنكون طفلين صغيرين رقيقين « ثم يبدأ
بعد ذلك حبهما المعقد الفاجر .

ولكن ليو هز راسه هذه المرة وقال دون اى ضيق : اننى مضطر
ان اخبرك يا مارى جريس بأن من المستحيل ان نلتقى اليوم .. فاننى
مرتبطة بموعد هام يتعلق بالعمل .

قالت مترددة : أتعنى اننى لن أراك اليوم ؟ ولكنك سترى ليزا ..
نعم ، ستراها ، فلا مستحيل مع امرأة مثلاً ... اهلاً هو الموعد
الهام الذى تتعلل به . حسناً .. على رسلك يا لولو .

وانحنى فوقه ، وبطرف أصابعها قرصته فى ذراعه بكل قوتها ، وهى تجز على أسنانها . وهز ليو كتفيه فى غضب ، ودعك الجزء الذى يؤله من ذراعه ولكنه لم ينطق بشيء . وعادت المرأة تقول وهى تحديق فيه بعينها :

— ولكن ، هل تفهم ما أقول ؟ انك على حق . انك على حق مائة ألف مرة . وأنا الغبية الحمقاء التى لا تصلح لشيء ولكنك سوف ترى غدا .

وارتدت خطوة الى الوراء لكى ترى تأثير تهديدها . ولكنها الفتة غير حافل بها . ودخلت كارلا فى هذه اللحظة ومعها فناجين القهوة ، وقالت :

— ان ميشيل خارج ، وسيشرب ليو فنجانها . وقالت الام وهى تضع فنجانها الفارغ : ان لدى خبرا سارا لك يا ليو ، فقد التقيت صباح اليوم بحبيبك ليزا . قال ليو ضاحكا : حبيبتي ليزا ! ولماذا هى حبيبتي ؟ .. ومنذ متى ؟

قالت الام فى رقة وغباء : ان اللبيب بالاشارة يفهم .. وقد كلفتني ان انقل اليك ارق تحياتها . اجاب ليو من غير ان يضحك هذه المرة : اننى اشكرها جيدا ، ولكننى لا افهم معنى هذا يا سيدتى العزيزة . — بل انك تفهمنى تماما . وبحق السماء لا تنس موعدك معها .. والا فانت الخاسر حقا .

وارتجفت شفتاها وهى تتكلم ، وهز ليو كتفيه ولم ينطق ، فقالت كارلا وهى تنحنى الى الامام : ما الخبر ؟ وراح قلبها يدق بشدة لفرط القلق ، وكادت تختنق . وودت لو أن تنهض وتفر من امام هذين الشخصين ، وتهرب من هذا الجو الخانق .

وقالت الام وهى تحاول ان تتظاهر بالهدوء وعدم الاكتراث : الخبر ان صديقنا ليو كفيه من رجال الاعمال .. فهو رجل كثير المشاغل .. رجل اعمال .. قليل امثاله .

وانفجرت فى ضحكة عصبية ، وفجأة قطعت عقدها وانفرطت حباته فوق ركبتيه وانحدرت من عينيها دمتعان نجستان . ثم ، وكما لو أن شيئا انقطع فيها هى الاخرى ، راحت تكي ، وانساب

الدموع فوق وجنتيها في حين تدحرجت حبات العقد من فوق
ركبتيها الى الارض دون أن تحاول منعها . وقال ليو في سره :
« اللعنة على هذه المرأة ! .. فلتذهب هي ودموعها الى الشيطان »
وراح يحرق في طرف حذائه ، في حين نهضت كارلا وقالت : ولكن
.. ما الخبر ؟

كان صوتها باردا ، وارتسمت في عينيها امارات الضيق . وفتح
ميشيل الباب في هذه اللحظة ، وكان قد فرغ من استبدال ثيابه
تأهبا للخروج وقال :

— بالباب امرأة تسأل عنك ومعها صندوق .
ولكنه ما ان رأى امه تبكى حتى امسك عن الكلام على الفور
وقال : ما الخبر .

واجابت الام : لا شيء .. لا شيء .
ونهضت على عجل ، غير آبهة بحبات العقد التي تدحرجت فوق
الارض ، رتمخطت ثم قالت : اننى ذاهبة .

وخرجت وهى تنحنى قليلا . كما لو اكنى تخفى شيئا ، وعاد
ميشيل يقول وهو ينظر الى ليو في فضول : ماذا حدث ثانية ؟
هز ليو كتفيه واجاب : لا شيء .. انها قطعت عقدها ثم راحت
تبكى .

وساد صمت . ونظر ليو الى الارض وهو واقف في منتصف الغرفة
لا يتحرك . ونظر ميشيل اليه في تردد وضيق . لم يشعر بأية شفقة
نحو امه ولا بأى حقد نحو ليو ، وانما احس بأنه لا لزوم له ولا فائدة
منه . واحس لمدة لحظة برغبة شديدة فى أن يتصرف وان يحتج
وان يلقى الاسئلة ويبدأ العراك . ولكنه لم يلبث أن قال لنفسه فى
شيء من المهانة والضجر ان هذه الأمور لا تعنيه فى شيء فى
النهاية فقال فجأة : افعلوا ما تشاءون . اما انا فاننى خارج .

وخرج . وقال ليو يخاطب كارلا قبل ان ينقفل الباب تماما :
تعالى هنا ، بجوارى .

كانت وقاحتها المتصنعة تخفى خلفها رغبة جعلته يبدو مضحكا .
وسأله كارلا وهى تقترب منه : هل نمت جيدا ؟
— نعم .

ومد ذراعه وامسكها من خصرها ، وجذبها اليه وقال : سيوف
أتين معى . تذرعى بأى شيء .. صديقة .. أو زينة .. ساتين ؟

وضمها اليه فى قوة وقال : وهذا الصباح ؟ .. هل سار كل شيء على ما يرام ؟

— تماما .. لم يلحظ احد شيئا .

قال : لقد كان الوقت مبكرا جدا .

ثم هز راسه ورفع عينيه . واجلس كارلا على ركبتيه وقال وهو ينظر اليها فى غباء : الا تخشين الآن ان يأتى احد ويراك ؟

هزت كارلا كتفيها واجابت فى صوت واضح : سيان عندى هذا . اطرب هذا الرد ليو ، ولكنه عاد يقول فى اصرار : ولكن ماذا تفعلين لو دخلت امك فى هذه اللحظة ؟

— سأقول لها كل شيء ثم امضى واعيش معك . ولكن لماذا بكت امى ؟

— لاننى قلت لها اننى لن استطيع استقبالها اليوم .

سألته فى رفق : وهل ستقول لى نفس الشيء ذات يوم ؟
— لماذا ؟

كان الشيء الذى اثار ليو فى هذه اللحظة وطرب له هو التباين فى استجابة كارلا للامساته ومداعباته بدليل ارتعاش اطرافها واختلاجاتها وعدم الاكتراث والهدوء البادين على وجهها حتى انه فكر « لكان جسدها ليس ملكا لها » .

وبعد لحظة صمت رفع عينيه اليها وقال : فيم تفكرين ؟

— فى اليوم الذى ستقول لى فيه انك لن تستطيع استقبالى .

اجاب ليو : ما هذا الهذر .. ليس هناك اية علاقة .

— انك تقول هذا الآن .. ولكن فيما بعد ؟

قال ليو يحدث نفسه : « انها تفار من مارى جريس .. تفار من امها » وملاه الفسور وقال فى صوت مسموع : لا تخافى . لا تفكرى فى هذا الامر . لقد انتهى ما بينى وبين امك ... انتهى .

— لم اقصد هذا .

وكانت تحاول ان تعبر عن احساسها الفامض وان تسأله اذا كان يحبها عندما انفتح الباب فتمتعت وهى تتخلص منه : دعنى .. ها هى امى .

وبحركة سريعة افلتت منه وانزلت الى الارض . ودخلت مارى

جريس وقد استردت هدوءها ، وفى يدها صندوق صغير من الورق
المقوى وقالت :

— ماذا تفعلين .

— اننى اجمع حبات العقد .

ورفعت الام غطاء الصندوق وقالت : لم تكن الخياطة كما ظننت ،
وانما امرأة اخرى تبيع بعض القماش والوسائد ، وقد اشتريت
منها وسادة .. اليست جميلة .

قالت كارلا : نعم . ولكننى لا ارى لها اية فائدة ، فالبيت مملوء
بالوسائد .

ونهضت ، وافرغت حبات العقد التى جمعتها فى اناء فوق المنضدة
ثم قالت تخاطب ليو : سأذهب لاستبدال ثيابى فانتظرنى .

صاحت الام وهى تنظر الى الساعة : ولكن ما زال الوقت مبكرا .
— ولو !

— ولكن يا ابنتى ...

وخرجت المرأتان وهما تتكلمان وتتجادلان ، وبقي ليو وحده فالتقى
بسيجارة فى المنفضة ، وأخرج من جيبه مبردا صغيرا وبدأ يقلم به
أظافره . وأخذت منه هذه المهمة عشر دقائق ظهرت كارلا بعدها
وقالت وهى ترتدى قفازيها :

— حسنا يا ليو .. هل ننصرف ؟

نهض وتبعها الى الخارج . وفى الردهة اتى ببعض الاعمال
الجنونية المضحكة اذ قال وهو ينحنى : هل اطمع فى أن يكون لى
شرف مرافقتك يا آنسة .

اجابت كارلا وقد اصطبغ وجهها وابشمت رغما عنها : اننى
أسمع لك بذلك .

وخرجا وهما يضحكان ويتدافعان .

الفصل الثانى عشر

خرج ميشيل لكى يزور ليزا . وكان الوقت لا يزال مبكرا فلم يشأ أن ينتظر الترام وآثر أن يمضى اليها سيرا على الأقدام . وكانت هذه الزيارة بالنسبة له على جانب كبير من الأهمية ... كانت تجربة اخيرة لصدقه وسلامة طويته . وراح يتساءل وهو يمشى ان كانت هذه التجربة ستفلح . كان يواجه احتمالين . وكان كل شيء واضحا فى الاحتمال الاول ، فما عليه الا أن يعتزل مع نفسه وافكاره واحاسيسه ومع الاشخاص الذين يحبهم ، ان امكن ، وان يبدأ على هذا الاساس ، حياة قوية ، مطابقة لمبادئه فى الصدق والاخلاص . اما الاحتمال الثانى فمعناه هزيمة روحية ، ولكن فيما عدا هذا فلن يتغير شيء ، وعليه أن يكيف نفسه ، بقدر ما يستطيع على حياته الجديدة ، وبمعنى اصح ، أن يعيش فى بيت خرب تمتد ابيه يد الترميم والاصلاح بين وقت وآخر ما دام لا يستطيع أن يبنى بيتا جديدا ، وان يدع أسرته تسير الى الدمار . أو ان يرضى بأن ينفق ليو عليهم ، وفى هذه الحالة لابد له من تقبل وضعه المهين فيودع حياة الطهارة والنقاء ، ويفدو عشيقا ليزا .

والفيللا ؟ .. والرهنية ؟ .. سوف يتدبر هذه النقطة مع ليو . فيقول له « ستقدم لى المال يا ليو ، وسأعطيك نظير ذلك ؟ .. » ولكن ما الذى تبقى له لكى يعطيه اياه ؟ .. آه .. هناك ليزا .. « ستقدم لى المال وسأقنع ليزا بأن تعود اليك فى نظير ذلك » . ولكن ما العمل اذا لم يشأ أن يعرف شيئا عن ليزا ؟ .. او اذا رفضت ليزا العودة الى ليو ؟ .. اذن .. لم يبق هناك غير كارلا لكى تنقل الموقف .. نعم ، ان كارلا هى ملجأه الاخير .. وما دام لابد له من أن يأكل من هذا الخبز ، فأولى به أن يفرغ من هذا العمل على خير وجه ، وعليه ان يعرض على ليو الزواج بكارلا .. سيكون زواج مصلحة ، كما يقال ، وسيأتى الحب فيما بعد ... وحتى اذا لم يأت فلن يكون هناك شر كبير .. فسوف تجد كارلا

وسائل كثيرة لكى ترفه عن نفسها .. فهناك رجال كثيرون غير ليو .. ولكن ماذا يفعل لو ان ليو اراد ان يتخذها عشيقه ؟ وان لا يقدم له المال الا بهذا الثمن ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يسير قدما فى طريقه الى بيت ليزا : « انه جدير بأن يفعل هذا ... جدير جدا . وارهقه التعب والتعبز وهو يقول : الى الامام .. حتى النهاية .. اذا لم يقبل ليو الزواج بكارلا .. وهذا احتمال متوقع فمن الممكن عقد اتفاق بين الطرفين .. فيقدم ليو المال ، وسيقدم طبعا مبلغا اكبر نظير شباب كارلا الذى لم يلمسه أحد ونظير جمالها ... سيطلب منه ضعف المبلغ الذى كان ينوى ان يطلبه من أجل ليزا ... بل ثلاثة اضعافه ... فان ليزا امرأة ناضجة ولها تجارب كثيرة ، اما كارلا فلا ... ولكل شئ ثمنه . اما هو فان دوره مرسوم .. ما عليه الا اقناع كارلا ، وامامه طريقتان لمعالجة ذلك الأمر .. الاولى : ان يعترف لها بكل شئ على الفور وأن يتذرع بمختلف الحجج ، بشرف العائلة ، وفقرهم وما ينتظرهم من بؤس أو الإيحاء اليها بما يريد بتهيئة الجو شيئا فشيئا ، واغرائها . وكارلا ضعيفة الإرادة ، وسينتهى بها الأمر الى الرضوخ والاستسلام .. ثم ان هذا الأمر يقع لكثيرات غيرها ، فلماذا لا يقع لها هى بالذات .

فتحت ليزا له الباب وبين شفتيها سيجارة . وكان واضحا انها فرغت من تناول الطعام لتوها . وكان يبدو عليها الانفعال والشرود ، كما لو كانت قد افترطت فى الشراب .

وجلسا فوق الأريكة ، جنبا الى جنب ، وقالت وهى تناوله غنية السجائر : حسنا . كيف حالك ؟

واخذ سيجارة من غير أن يرفع عينيه ، وهو بادى الانشغال . وحدث نفسه يقول ان من الخير أن يبدأ على الفور . ونظر الى ليزا من طرف عينيه . كانت قد صبغت وجهها بالمساحيق ، وترتدى قميصا ابيض وجونلة رمادية ، وتتدلى من عنقها ربطة عنق فاقعة اللون . ولكن كان هناك تناقض غريب بين هذا الزى الرجالى الذى ترتديه وبين صدرها العريض المكتنز الذى يكاد يشق القميص . وقال اخيرا : الاحوال سيئة .

صاحت : سيئة ؟ .. ولماذا ؟

ونظرت اليه وهى ترجو ان يتذكر تلك القبلة التى طبعها على
يدها بالأمس فى ظلام الصالون ، واجاب :

- لا أدري . وقد فكرت فى أشياء كثيرة . فهل اذكرها لك ؟
ورأى المرأة تأتى بإشارة معناها « طبعاً ، تكلم » وتتأهب
للاستماع ففكر : ما عساها تظن اننى سأقول لها .. لعلها تحسب
اننى سأقول لها اننى احبها ، فهى لا تنتظر الا هذا . وقال فى
صوت مسموع :

- حسناً . اليك الأمر ... اننى أجد نفسى فى موقف غريب
أزاءكم جميعاً ... انت وليو وأمى واختى .

نظرت اليه ملياً وسألته وهى تمسك يده فى حركة طبيعية :
أزائى أنا أيضاً ؟

- نعم . أزاءك انت أيضاً (وضفط على اصابع المرأة فى حركة
آلية واستطرد) كان يجب أن أشعر بشعور خاص .. أقول كان يجب
لأننى أدركت أن الظروف تحتم وجود شعور خاص دائماً ... فعندما
يشيع المرء جنازة أو يشترك فى حفل زواج ، فلا بد من مظاهر
معينة من الفرح أو الحزن ، فلا يمكنه أن يضحك وهو يسير خلف
الميت ، ولا أن يبكى عندما يتبادل العروسان خاتمي الزواج ، فان
هذا سيكون سلوكاً فاضحاً وغير انساني . وإذا لم يحس المرء بشيء
فعليه أن يتظاهر ، وهذا ما أفعله معكم فأننى أظهار بأننى أكره ليو
وأحب أمى .

سألته ليزا فى لهفة وهى تراه يتردد ثم يتوقف عن الكلام :
وبعد ؟

أجاب وهو يحس بالضجر والأسى : الواقع اننى لا أحسن
التظاهر ، فمن فرط الاحساسات الكاذبة والتصرفات والكلمات
والافكار الكاذبة غدت حياتى مهزلة فاشلة . لم أعد أستطيع
التفاخر ؟ » . وسكت لحظة فى حين راحت ليزا تتأمله فى خيبة
أمل ، ثم استطردت : « ولكن هذا لا يهمك طبعاً ، فأنت لا تفهمين
فيه شيئاً .. أستطيع أن أتحدث اليك يوماً كاملاً من غير أن
أتحدث اليك يوماً كاملاً من غير أن تفهمنى .

واطرق برأسه ، وعندئذ سمعها تهمس فى أذنه قائلة : بل اننى
أفهم أيها الحبيب المسكين ميشيل .

والقت بيدها على شعره وراحت تداعبه . واجتاحه شعور

بشفقة يشوبها شيء من التقزز وقال فى نفسه « يا لك من مسكينة ! .. اتريدى ان تعلمينى انا كيف يكون التظاهر ؟ .. ولكنه عندما رفع عينيه ورأى وجه المرأة وما ارتسم عليه من احساس صادق وحب عميق تملكه الرعب وقال لنفسه « هل جاءت اللحظة هكذا حالا ؟ .. ونظر الى وجه المرأة والى شفتيها المفتوحتين المتوسلتين وعينيها المضطربتين ووجنتيها المشتعلتين ، وخضع لهذا الرجاء الصامت وادرك الموقف المصطنع الذى تفرضه عليه الحياة مرة اخرى ، وأحس بأصابع المرأة تضغط على أصابعه فى رفق كما لو لكى تحته على التصرف فانحنى وقبلها فى فمها .

وكانت قبلة طويلة راح كل منهما ينهل من الآخر فى شراهة متجددة ، وافترقا اخيرا وتبادلا النظر . وقال ميشيل يحدث نفسه من غير ان يفارق بعينه وجه المرأة المضطرب المضطرب : « والآن ؟ » . ورأى وجنتى ليزا الملتهبتين تزدادان احمرارا من الامتنان والشكران وتفتحت شفتاها الرطبتان فى اعجاب وتوسل . وامتلات عيناها هياما وشففا ، ومدت ذراعها ومرت بيدها على شعره وهى تنطق بكلمة « حبيبى » فى صوت متهدج كاذب .

وخفض عينيه . كانت ليزا جالسة على ساقبيها الملتويتين ، فى توازن صعب وراحت تقترب منه وهى تداعبه فى رأسه . وكان زحفا شاقا ، ولكن كان من اثره ان الجونلة اخذت تنحسر فوق ركبتها شيئا فشيئا كاشفة عما فوق ركبتها . وأحس ميشيل بضيق وسخط كبيرين لم يدر ان كان مصدرهما لانه انقاد لهذا العناق او للتناقض الخادع بين هذه المداعبات وبين كلمة الحب والعري الفاجر الذى تكشفه هذه الحركة الماكرة . وفكر متقززا « من تظنين ؟ » وتلاشت الرغبة الشهوانية البسيطة التى ولدتها فيه تلك القبلة ، وارتد الى الوراء فى حركة خرقاء وهب واقفا على قدميه وقال وهو يهز رأسه : كلا .. كلا .. هذا لا يمكن ان يكون .

وفى غباء وغضب تقريبا نظرت ليزا اليه ، من غير ان تغطى ساقها العارية ، وقالت : ماذا تعنى ؟

- أعنى اننى أشعر من نحوك كما أشعر تماما نحو الآخرين ، وحيث اننى لا أستطيع ان اكره ليو ...

- حتى بعد الذى اخبرتك به عنه ؟

اجاب ميشيل فى شيء من الضيق : يجب أن اعترف لك بأن

كنت اعرف تماما ...

— كنت تعرف ماذا ؟

— منذ عشر سنوات على الأقل .

وانحنى لكى يلتقط قاطعة ورق كانت قد وضعت من فوق الطاولة ،
وأعادها مكانها . وفيما هو يفعل اجتاحته رغبة جنونية من الحقيقة
فقال :

— وكما اننى لا أستطيع أن اكره ليو على الرغم من اننى اعرف
قصته مع أمى من اولها الى آخرها فاننى لا أستطيع أن احبك ..
انه عدم الاكتراث ... عدم الاكتراث دائما .

وختم حديثه فى غضب : وحيث اننى لا أستطيع أن ارتمى بين
ذراعيك ، وان ابوح لك بحبك وأتظاهر بأننى أموت حبا وهياما ..
وحيث اننى لا أستطيع القيام بهذه المهزلة .. فاننى افضل أن الزم
الهدوء .

تمتت ليزا فى اصرار وفى شيء من الوقاحة أثارت دهشة
ميشيل : ولكن الحب يأتى دائما فيما بعد ... عندما يزداد كل منا
معرفة بالآخر .

— ولكننا نعرف بعضنا كل المعرفة .

امتقع لون ليزا ، فلم يحدث أبدا أن صدها رجل بمثل هذه
القسوة ، واشفقت أن يهرب منها حبيبها المراهق للأبد ، وخطر
لها أن ترتدى عند قدميه ، وأن تستعطفه ، ولكنها عادت تقول فى
اصرار : يقينا انك لست جادا فى هذا القول . دعك من هذه
الغلظة . ألا تشعر بشيء نحو حبيبك ليزا ؟

وأردفت تقول وهى تطوق عنقه بذراعيها : قل انك ستمنحنى
هذه الغرفة . اليس كذلك يا ميشيل ؟ .. الا تحبنى قليلا ؟

واضطرم وجهها وتغيرت سحنتها وغدا صوتها عاطفيا .. ملمحا ..
وتوتر جسدها كله ومست ساقه بركبتها . وساءته هذه الرغبة
العنيدة وقال : أفهمنى جيدا . هذا الحب الذى تشعرين به ، أين
ينتهى اذا أنا تصرفت معك كما أتصرف مع امرأة ضائعة دون أن
اهتمام بمشاعرى ؟ .. اذا أنا أخذتك الآن ، واذا القيتك فوق
الأريكة بلا تكليف ؟ .. انت تفهمين ما اعنيه طبعاً .

ضحكت فى غباء وغرور وقالت : تلقينى فوق الأريكة ؟ ..

ولكننا لم نصل الى هذه النقطة بعد .
وترددت لحظة ثم القت بذراعيها حول عنقه فى حركة لينة
مضحكة وهى ترتدى الى الخلف . ونجحت فى هذه الحركة الاولى
فقد برغت ميشيل ووقع هو الآخر ، ولكن الى الامام . بيد انه
عندما رأى وجه ليزا المضطرب والمنفعل وحاجبها المعقودين بصورة
آمرة ، وعينيها المشبوبيتين ، وعندما احس بثقلها عليه ، اجتاحه
اشمئزاز لا حدود له . ورفع رأسه غاضبا ، وبكف يده على وجهها
دفعها عنه ونهض ، وقال وهو يعدل ربطة عنقه :

— اذا كنت تشتهين ذلك الى هذا الحد فلم لا تعودين الى ليو ؟
بقيت ليزا مكانها فوق الارىكة ، ورأسها بين يديها ، وصدرها
يعلو وينخفض ، وتظاهرت بألم وخزى لا وجود لهما حقا ، ولكنها
ما ان سمعت اسم عشيقها القديم حتى هبت واقفة وقد ارتسم
الجنون فى عينيها ، ورفعت اصبعها فى حركة متوعدة وقالت :
— ليو ؟ .. هل قلت ليو ؟ .. اتعنى ان اعود الى ليو ؟ ..
انك قلت انك لا تستطيع ان تكره ليو ، حتى بعد ان عرفت
ما عرفت . ولكن اصغ الى الآن جيدا . ان لدى سببا وجيها لكى
لا اعود اليه .

قال ليو وقد تملكه الانزعاج امام هذا الاصبع المتوعد : اتعنين
امى ؟

ولكنها قاطعته بضحكة حافلة بالازدراء وقالت : امك ؟ .. ولكن
امك اصبحت خارج المعركة منذ وقت طويل ايها الحبيب المسكين
ميشيل .. ان هناك امرأة اخرى .. ولكن كلا .. من الخير ان
لا انطق بشيء ، فانا لا احب ابدا ان اتسبب فى وقوع امور خطيرة .
واشعلت سيجارة كما لو انها عزمت على ان لا تزيد ، واطرقت
برأسها الى الارض . ولكنه اقترب منها وقال : اسمعى يا ليزا .
اذكرى لى ما تريدان ما دمت تتحرقين شوقا لذكره .

— هل تريد ان تعرف كل شيء حقا ؟

— نعم ... وعجلى بالحديث .

بدات تقول فى تردد : انك قلت انك تريد ان تكره ليو ولكنك
لا تستطيع .

— نعم . وقلت ايضا اننى اود لو ان احبك ولكنى لا استطيع .

قالت فى برود وهى تأتى بإشارة من يدها : لا تحفل بى .

وسكنت لحظة كما لو لكى تجمع شتات افكارها قبل ان تتكلم ،
وتكلمت اخيرا فقالت فى صوت خافت وهى تنظر الى اصابعها :
- ان قصتى قصيرة ... هل تتذكر اسمى ؟ .. عندما عادت
امك واختك وليو من المرقص تعطل النور الكهربى فذهبنا لنبحث
عن بعض الشموع ، ثم اصطحبتنى أمك الى غرفتها لكى ترينى
فستانها الجديد .. و اردت ان اخرج بعد ذلك ففتحت الباب
وتقدمت خطوة فى غرفة الانتظار ... فمن رايت فى الغرفة
عندئذ ؟

نظر ميشيل اليها . كانت قد سردت كل هذه القصة بصوتها
البارد دون ان تكف لحظة واحدة عن تأمل يديها . وقد اصفى اليها
فى سرود ، كما لو كانت قصة عادية ، ولكنه تذكر فجأة ان كل هذه
المقدمة الطويلة لابد ان تتعلق بليو وتنتهى بليو ، وتحصر هذا الاسم
فى حلقات متراكزة ، وتملكه قلق غريب بحيث كادت انفاسه
تختنق ، وقال فى صوت واه : ليو !

اجابت ليزا وهى تهز رماد سيجارتها فى هدوء مصطنع : نعم ،
ليو .. ليو وكارلا .. وكانا متعانقين .

وتبادلا النظر . وقف ميشيل جامدا دون ان تعتريه اية دهشة ،
ولكن نظرتة كانت ثابتة بلهاء ، تجعله يرى الاشياء مزدوجة . اما
نظرة ليزا فكان يشوبها الفضول والخوف المقرون بنوع من الكبرياء
المضحك ... كبرياء المرأة الواثقة انها وجهت ضربة أصابت فى
الصميم .

وساد الصمت ولم يتحرك ميشيل ، وأطرق براسه الى الارض ..
كانا متعانقين ! .. هذا غريب . ود لو ان يصرخ ويعبر عن
استهجانه . ولكن الامر اطربه وأثار فضوله . لم يشعر بأى سخط
ولا بأى اشمئزاز . لم تثر قبلة ليو وكارلا أى شىء فى نفسه ،
فلم تكن كارلا وليو غير رجل وامرأة بين غيرهما من الرجال والنساء
المعروفين والمجهولين ، لم تمسه شخصيتهما فى شىء ، وحاول ان
يفضب وان يقول « ولكن الامر يتعلق بكارلا .. أختى ... رات
ليزا عشيق أمى وهو يعانقها . اليس هذا فظيحا .. منفرا .. اليس
هذا نوعا من الزنا وارتكاب المحارم ؟ .. غير ان كارلا وليو وعناقهما
وفجورهما لم يكن مهم عليه أى تأثير . وسألته المرأة قائلة :

- ماذا تنوى ان تفعل ؟

نظر اليها وهو يحاول ان يتغلب على هدوئه وان يبدو منفعلا
واجاب : ماذا انوى ان افعل ؟ .. ان الامر بسيط . سأذهب الى
هذا الوغد وامسك بتلابيبه .
- متى ؟

- متى ؟ .. غدا طبعاً .. او بالاحرى ، كلا . سأمضى اليه
اليوم ... والان توا .
واخذ سيجارة واشعلها . ونظرت ليزا اليه من اعلا راسه الى
اخمص قدميه نظرة فاحصة حائرة ثم قالت :
- اعتقد انك تهزل ، وانك لن تذهب اليه .
- واذا قدم لك الدليل ؟
- اى دليل ؟

ترد وقال فى نفسه « هذا صحيح ... اى دليل .. » . ونظر
الى ليزا وقد غمره شئ من الخوف وهو يبحث عن نوع الدليل
الذى يثبت به لليزا صدق عواطفه . وفجأة اهتدى اليه ، فقد
راى ان خير دليل هو ان يقتل ليو . وراقت له الفكرة لأن اثرها
سيكون له فاعليته عند ليزا ، وقال :

- هل تصدقيني اذا انا قتلت ليو مثلاً ؟
اجتاح ليزا شعور بالرعب فى بادئ الامر ، وابتسم ميشيل
عندئذ وقد استراح لما أحدثه من تأثير عليها ، ولكنها لم تلبث ان
اطمأنت حين رأت جبينه الهادئ وعينه الخاليتين من اى غضب ،
وقالت وهى تبتسم فى سخرية : نعم . سوف اصدقك عندئذ ، ولكن
من يراك وانت تتكلم هكذا لا يصدق ابدا أنك ستفعل ما تقول .

- اذن فانت تعتقدين اننى غير جدير بأن اقتل ليو ؟
انفجرت المرأة ضاحكة وقالت : نعم يا حبيبى المسكين ميشيل .
هذه اشيء تقال ، ولكن شتان بين القول والفعل .. ثم يكفى ان يراك
المرء لكى يفهم انه ليس لديك اية نية .

واردفت تقول لكى تتغلب على شكوكها الاخيرة : ومهما يكن من
امر فانى ما كنت لأدعك تنصرف لو انك كنت جادا فيما تقول .
وفتحت الباب وبسطة له يدها قائلة : اذهب الآن وقل له ما تشاء .
توقف ميشيل فى البسطة وقال وهو يبتسم ابتسامة مريبة :
واذا انا قتلته ؟

اجابت وهى تضحك : سأصدقك عندئذ .
وأغلقت الباب .

الفصل الثالث عشر

خرج ميشيل وراح يمشى تتناوبه الأفكار ، ويفكر فى خير طريقه يقتل بها ليو . وهدهاه فكره الى ان خير طريقة هى المسدس . وكان يعرف محلا لبيع الاسلحة طالما مر به وهو فى طريقه الى البيت فمضى اليه واشترى مسدسا صغيرا ومعه بعض الطلقات ، ثم قطع الطريق الى بيت ليو وهو يتخيل فى ذهنه ما سوف يحدث . سوف يطلق رصاصة من مسدسه على ليو فيرده قتيلا ثم يمضى فيسلم نفسه للبوليس . وسوف تكون محاكمته حديث الناس جميعا فيقولون انه انتقم لشرفه وقتل رجلا اباح لنفسه انتهاك عرض امه واخته ، ولا ريب ان القضاء لن يدينه عندئذ .

وبلغ الشارع الذى يقيم ليو فيه ، واحس عندئذ بضيق بارد قاتل يجمد الدم فى عروقه وقال : « ها نحن قد وصلنا . سأقتل الآن رجلا ودس يده فى جيبه ولمس المسدس . ان قتل ليو معناه ان يقتله حقا وان يشطبه من عداد الاحياء ، وان يسفك دمه . » لا بد من قتله ... هكذا ... من غير جلبه او ضوضاء ... نعم ... سأصوب نحو الصدر ، فيقع ، ثم انحنى فوقه واجهز عليه .

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والشارع مقفر تقريبا . وتوقف لحظة لكى يرى رقم البيت . كان رقم ٨٧ لا يزال بعيدا فاستأنف سيره وهو يقول « فلأراجع الآن الاسباب التى تجعلنى اكره ليو . . أمى واختى التى كانت لا تزال طاهرة حتى ايام قلائل . . وهى الآن كما لو كانت فتاة من فتيات الشوارع . . نعم ، عارية بين ذراعيه . . هذا الشيء فظيع ، يكاد قلبى يتوقف عن الحركة حين افكر فيه . . اختى تبذل نفسها لفجور هذا الرجل . . واحس بالجفاف فى حلقه وعاد يقول : فلتذهب اختى الى الجحيم ، وليذهب الجميع الى الجحيم . . اسباب ؟ ولكن ليس لدى أى سبب . اننى قررت ان اقتله وسأقتله ، وهذا كل شيء » . وراح ينظر الى ارقام البيوت : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، وفجأة اخذ بجري والمسدس يرتطم بفخذه .

وصعد السلم الى الطابق الثانى حيث يقيم ليو وهو يقول « انه ليكون امرا جميلا اذا لم اجده فى البيت » .

ولم يقرع الجرس ، وانما وقف ينتظر لحظة ريثما يسترد انفاسه . وعندما رأى انه تغلب على انفعاله وأصبح هادئا دق الجرس . ومضت مدة طويلة والصمت يخيم حوله ، وفكر فى سرور وارتياح كبيرين : « انه ليس بالبيت . سأقرع الجرس مرة اخرى تبرئة لضميرى » ورفع يده لكى يقرن القول بالعمل عندما انفتح الباب وظهر ليو . كان يرتدى ثوب النوم ، وكان شعره شعثا . ونظر الى الشاب من قمة رأسه الى اخمص قدميه وقال فى صوت ناعس ومن غير أن يدعوه للدخول : انت هنا ؟ .. ماذا تريد ؟

وتبادلا النظر . وميشيل يقول فى نفسه « انك تعرف ما اريد ايها الوغد » ولكنه اكتفى بأن رد عليه قائلا : لا شيء ... اريد أن اتحدث اليك فحسب .

رفع ليو عينيه ونظر الى الشاب فى وقاحة وغباء وقال وهو يتصنع الدهشة : آه ! ما أجمل هذا ؟ .. تريد أن تتحدث الى ؟ .. وفى مثل هذه الساعة ؟ .. وماذا تريد أن تقول ؟

وأردف وهو يحاول اغلاق الباب : اسمع يا عزيزى ... من الأوفق ان تأتى فى يوم آخر ، فانى كنت نائما . ولست فى حالة تسمح لى بالاصغاء اليك . تعال غدا .

دفع ميشيل الباب فى عنف ودخل وهو يقول : كلا .. يجب ان اتحدث اليك اليوم بالذات ... والآن . وقال يحدث نفسه فى انفعال غريب : ان كارلا هنا .

وعاد يقول وهو يلقي يده على كتف ليو : قل الحقيقة . اننى قطعت عليك خلوتك ... ان معك هنا شخصا ... اليس كذلك ؟ آه .. آه .. فتاة جميلة ؟

تحول الرجل اليه وقال فى غير اقناع : كلا . لا يوجد أحد اطلاقا . أدرك ميشيل انه أصاب الهدف ، فوضع يده وأمسك المسدس . وعاد ليو يقول وهو يتقدمه الى غرفة الانتظار : كنت نائما ... نوما عميقا .. وكنت أحلم أحلاما جميلة وقد أيقظتنى انت . وقال ميشيل يحدث نفسه : هل أطلق عليه النار فى ظهره ؟ .. كلا .. كلا .

وأخرج المسدس من جيبه ، وصوبه نحو ليو وهو يقول : سوف

اطلق عليه النار بمجرد ان يلتفت الى .
وتقدمه ليو داخل الغرفة ، واقترب من المنضدة واشعل سيجارة
واستدار اليه اخيرا ، وعندئذ رفع ميشيل يده واطلق عليه النار
وهو يغلى حقدا وغضبا .

ولكن لم يصدر اى دوى ولا اى دخان . اما ليو فقد تملكه الذعر
عندما رأى المسدس وارتمى خلف مقعد . وضغط ميشيل على الزناد
وللمرة الثانية ، ولكن لم يصدر المسدس غير صوت تكة جافة فقال
فى سره « انه تعطل » ورأى ليو يصرخ قائلا : « انت مجنون ! »
ثم يمسك بمقعد ويرفعه فى الهواء كاشفا بذلك عن كل جسده ،
فمد يده الى الام وضغط على الزناد مرة اخرى . ولكن لم يصدر
منه اى صوت آخر غير تلك التكة الجافة ، وفكر ميشيل مرعوبا :
ان المسدس غير محشو ، والرصاصات فى جيبى « ووثب جانبا
لكى يتحاشى المقعد الذى يهدده به ليو ، واسرع الى الركن المقابل
وراسه تدور ، ولكن ليو قذفه بالمقعد فأصابه فى يده وفى ركبته
فى عنف بحيث افلت المسدس منه . وكان الألم شديدا فاطبق عينيه
ثم ارتمى على ليو فى ثورة من الغضب العنيف وحاول ان يخنقه .
غير ان ليو أمسك به وراح يهزه ذات اليمين وذات اليسار بقوة
بحيث وقع على الارىكة . وهجم عليه الآخر على الفور وأمسكه من
معصميه .

وتبادلا النظر فى صمت . وبذل ميشيل جهده لى يحرر نفسه
وهو يلهث وقد اضطرم وجهه . ولكن ليو رد على محاولته بأن لوى
معصميه . وخضع ميشيل اخيرا للألم والفضب وأحس فى غموض
بأن الحياة لم تقس فى حياته كما قست عليه فى هذه اللحظة ،
وأغرورقت عيناه بالدموع . وتأمله الرجل لحظة ثم قال وهو يهز
راسه : انت مجنون !

واخلى سبيله ، ونهض ميشيل وهو يدعك معصميه لفرط ألمه .
ورأى ليو واقفا فى وسط الغرفة ، جامدا لا يتحرك ، والمقعد
مقلوبا ، ومسدسه فى ركن منها .. انتهى كل شىء ، ولكنه لم
يستطع ان يفهم ... لم يدر هل يجب ان يتظاهر بالسخط أم
بالخوف ، وراح ينظر الى ليو وهو لا يكف عن دعك يديه فى حركة
الآلة .

وقال الرجل اخيرا وهو يتحول الى الباب : هل لك ان تنصرف

الآن ؟ .. اما عن هذا الحادث الاخير فسوف اتناقش فيه مع امك .
ولكن ميشيل لم يتحرك ، وراح يفكر ... لا عتاب ولا غضب .
يبدو انه يتعجل انصرافى . انه يخشى ان اكتشف وجود كارلا ...
ان كارلا هنا .. فى الفرفة المجاورة . وقال فى صوت واضح :
اين كارلا ؟

كشف الرجل عن ذهوله بتغير بسيط جدا ووقع بدا على وجهه .
ولكنه لم يلبث ان تغلب على نفسه وقال فى لهجة طبيعية :

— كارلا ؟ .. وانى لى ان اعلم ؟ .. لا ريب انها فى بيتها او فى
الشارع (ودنا منه وامسكه من ذراعه واردف) : هل ستنصرف
نعم ام لا ؟

اصفر وجه الشاب ولم يبذل اى جهد لكى يتخلص ، وقال :
لا تظن انك تخيفنى . ساتصرف عندما يحلو لى ذلك .
عاد ليو يقول فى صوت قوى : هل تنصرف الان ؟ .. نعم
ام لا ؟

واتى بحركة لكى يجذب ميشيل نحو الباب ، ولكن الآخر قاومه
واسرع يقول : اظن ان كارلا موجودة هنا .. فى بيتك .. فى
غرفتك ... دعنى .

ولكن ليو لم يخل سبيله ، وعاد يقول فى شىء من الفرح : بل
ستنصرف . اننى هنا فى بيتى ، وانا حر افعل فيه ما يحلو لى .
ودفعه من كتفيه نحو الباب دفعا . وفجأة احس ميشيل بأنه
يرتفع عن الارض فصاح : ايها الوغد .. ايها الوغد .

— لا بأس .. انا وغد .. ولكنك ستنصرف على كل حال .

وفى هذه اللحظة فتح الباب وظهرت كارلا .

كانت ترتدى جونلة قصيرة وبلوزة من الصوف البنى اللون .
ولا ريب انها ارتدت ثيابها على عجل لأن شعرها كان منكوشا ووجهها
شاحبا ، مما يدل على انها لم تحاول ان تتجمل او تتزين . واغلقت
الباب خلفها ، وتقدمت الى منتصف الفرفة ، معتدلة القامة ، ثابتة
النظرات وقالت :

— سمعت جلية فأتيت .

اما ليو فقد تخلص عن ميشيل بعد ان مرت أول لحظة من الدهشة

واسرع اليها واخذ يهزها من ذراعها وهو يقول : كيف هذا ؟ ..
قلت لك ؟ .. قلت لك أن لا تتحركى ، وأتيت على الرغم من ذلك ؟ ..
فهل تسخرين منى ؟ .. آه .. أنكما لمجنونين أنتيما الاثنان ! ..
حسنًا . ما دمت قد أتيت فها هو أخوك .. أخوك الذى يطلق النار
على الناس .. تحدثنى وافعلنى ما تشائين فأننى أغسل يدى من كل
شئ .

وأولاهما ظهره كالرجل الذى لا يريد أن يزعجه شئ ، ومضى فجلس
أمام النافذة . ونظر ميشيل الى كارلا .. ماذا بقى من سخطه
الشديد الذى تصور انه لابد أن يشعر به فى مثل هذه الظروف ؟ ..
وأين نسيه ؟ .. ان مجرد أخطاء ليو ومساوئه ما كانت لتواتيه
لو لم يمسك الرجل بذراع أخته بتلك القسوة ولو لم تظهر كارلا
بهذا المظهر الذى يدل على أنها ارتدت ثيابها على عجل وفكر : « ان
الله وحده يعلم كيف كانت عندما أتيت » . وراح يبحث فى أسمى
شديد عن آثار الخطيئة .. هذا الوجه الشاحب وهاتان العينان
الذابلتان وتلك الهيئة التى تدل على الارتباك والشبع .. كل هذا
كان يؤكد شكوكه . وقال أخيرا وهو يبذل جهدا كبيرا .
— لك كل تهانئى يا كارلا . كان فى مقدورك أن تأتى كما فعل
ليو .. فى ثوب النوم .

وأشار الى الرجل ، وغطى هذا الأخير صدره محنقا . وساد
صمت ثم قالت كارلا فى توسل قلق : ميشيل .. لا تتكلم هكذا ..
دعنى أفسر لك .

اقترب ميشيل من المنضدة واعتمد عليها وقال : ليس هناك
ما تفسريه . لا أعرف هل تحبينه ، ولكن مهما يكن فقد أخطأت
خطأ كبيرا ، فأنت تعرفين مكانته عند أمك ، كما تعرفين أى نوع من
الرجال هو ... وعلى الرغم من ذلك بذلت نفسك له . ثم واثق
أنك لا تحبينه فوق ذلك .

اعترفت دون أن ترفع عينيها : اننى لا أحبه . ولكن هناك
سببا آخر .

أرادت أن تقول له انها انما فعلت ذلك لكى تبدأ حياة جديدة
ولكن الشجاعة لم تواتها ، فقد رأت أن هذا السبب البعيد لم يغير

شيئاً فيما عدا ضياع بكارتها ، وانه أصبح سبباً مضحكاً وسخيفاً
سكنت ولم تتكلم ، وعندئذ صاح ميشيل فى انتصار وان كان قد
احنقه الدور الذى يجب أن يقوم به .

— حسنا . سأقول لك أنا ذلك . لقد مرت بك فترة ضعف
وملل ، ولم تحاول البحث أبعد عن ليو وقبلته على الفور ، تماماً
كما يقبل المرء أول شخص يلتقى به . استسلمت له من غير أن
تعرفى لماذا .. لا شيء ألا لكى تفعل شيئاً ما .

أجاب : نعم . لكى أفعل شيئاً ما .

— ثم تحققت أنك لم تفعل أى شيء وانك خرجت من موقف
مستحيل لكى تقى فى موقف آخر مستحيل .

وسكت ، ونظر الى أخته ، وعندما رآها واقفة أمامه ، معتدلة
القامة ، صامته ، لا كما تقف المرأة المذنبه وانما كشخص يستمع
الى ملاحظة فى احترام وفى خضوع وفى غير اكتراث ، أحس بقلق
أسود وبمهانة كبيرة ، وأردف يقول فى لهجة خطيرة تفتقر الى
الاقناع :

— علينا الآن أن نبدأ من جديد . ان الملل والضجر هما اللذان
دفعانا الى أخطائنا . أنك لا تحبين هذا الرجل ، وأنا لا أكرهه ..
ومع ذلك فقد جعلنا منه محور أفعالنا المتعارضة .

وشعر بالضيق لعجزه وعدم قدرته على شيء بحيث ود لو أن
نبدأ من جديد .

قالت أخته فى صوت واضح من غير أن تلتفت اليه : كلا .
لا أظن ان حياة جديدة ممكنة الوقوع ، واذا كنت قد ذهبت
معه (وأشارت الى ليو) واذا كنت قد فعلت هذا ، فقد فعلته
على أمل حياة جديدة ... ومن الخير اذن ان لا نقوم بمحاولات
أخرى . ولنقف عند هذا الحد .

أجاب ميشيل فى غير اكتراث : أبدا .. أبدا .. اذا لم يكن قد
تغير شيء فذلك لأنك لا تحبين ليو .. كانت هذه غلطة لا فائدة
منها .. ولكى يعيش المرء ويغير حياته حقاً لابد له من التصرف
بصدق واخلاص . واليك ما اعتقده على الأقل . اظن انه يجب ان
تنفصل عن هذا الرجل الذى لا تحبينه .. سنبيع الفيلا ، ونسدد

له دينه ، واذا تبقى لنا شيء فان هذا يكون أفضل .. سوف ندير ظهورنا الى كل هذه الحفلات والى هؤلاء الناس والى هذا الوسط الذى لا يقدم لنا الا الملل .. سننتقل للاقامة فى مسكن صغير ... وستكون هذه حياة جديدة .

قالت كارلا كما لو كانت تحدث نفسها : هذا مستحيل .

وساد صمت . وكان حديث ميشيل قد جمد الدم فى أطراف ليو ، فان بيع الفيلا ، اذا بيعت سوف تكون وبالا عليه ، فانهم اذا ما عرضوها للبيع فسوف تظهر قيمتها الحقيقية ، خاصة وانها تقع فى وسط البلد ، وتشغل مساحة كبيرة من الارض وتحيط بها حديقة فسيحة ، وسيجنون منها مبالغ باهظة اذا ما قسمت وبيعت مجزأة لاقامة عمارات سكنية جديدة .. ويمكنه عندئذ أن يودع هذه العملية الراحلة . ونظر الى كارلا ثم الى ميشيل . وفجأة خطرت بباله فكرة رأى أن ينفذها على الفور فقال :

— مهلا .. أنا هنا ، أنا أيضا . ونهض وأبعد ميشيل بحركة من يده ، وأرغم عشيقته على الجلوس قائلا : اجلسى هنا .

وأطاعته الفتاة على الفور . وجلس ليو هو الآخر وقال : من المؤكد اننا لم نحسن التصرف ، واننا ارتكبنا أخطاء .. وقد فكرت فى الأمر وأنتما تتحدثان .. فكرت فى ذلك يا كارلا ... ما قولك اذا عرضت عليك ترضية ؟ .. اذا عرضت عليك أن أتزوجك ؟ .. وارتسمت على شفتيه المكتنزتين ابتسامة مقنعة تنم عن الانتصار ، فقد كان واثقا من نفسه ، ما رأيك ؟

وأخذ يدها من فوق المنضدة . وحاولت كارلا أن تسحبها عبثا وقالت وهى تبتسم ابتسامة حزينة : نتزوج ؟ .. أتعنى أنا وأنت ؟ وهزت رأسها نافرة من فكرة الزواج .. فان أمها ستعيش معها فى البيت ، وستفار منها الى الابد لانها العشيقة السابقة لزوجها . ثم ان هذا العرض جاء بعد فوات الأوات ، وان كانت لم تدر لماذا فات الأوان لكى تتزوج . فانهما متعارفان بما فيه الكفاية لكى يصبحا زوجين .. ومن الاوفق ان ينفصلا ، أو لعل من الاوفق أن يبقيا هكذا .. عشيقين ! بدا لها أن أشد المواقف صعوبة وأكثرها ندالة أفضل بكثير من فكرة الزواج .. هكذا فكرت ولكنها لم تجد

الكلمات التى تعبر بها عما يدور فى رأسها ، فقد فتننتها ابتسامه عشيقها ونظراته ، ثم أحست بيد ميشيل على كتفها ، وتمتم يقول فى صوت منخفض :
- كلا ... قولى له كلا .

وعندئذ أطلق ليو يد كارلا ونهض قائلا فى ثورة من الغضب :
هلا تكرمتم وتركت أختك لشأنها ولو مرة واحدة . انها هى التى سأزوجها وليس أنت ، فدعها ترد طبقا لمصلحتها . اسمع . من الأوفق أن تمضى الى الغرفة المجاورة وتتركنا وحدنا لحظة . سندعوك عندما نصل الى اتفاق .

قال ميشيل متحديا : هدىء من نفسك ... اننى باق .
أتى ليو بحركة تدل على القلق ، ولكنه لم ينطق بشيء . وجلس .
واخذ بيد كارلا وقال :

- فكرى جيدا فيما عرضته عليك . اننى رجل له مركزه ، ولدى رأسمال ووظيفة محترمة متينة ، وما أظنك تجددين زوجا آخر وأنت فى مثل ظروفك هذه .
سألته : أية ظروف ؟

كشر ليون وقال : انت لا تملكين موقفا ، ثم ان وضعك أصبح مشينا .
- كيف هذا ؟

- مشينا . لن يعاملك أصدقاؤك كفتاة محترمة .. سوف يهتكون عرضك ، ولن يفكر أى منهم فى الزواج بك .

وسكتت . وودت لو ان تقول له : « انها غلطتك أنت .. أنت وأمى » ولكنها اكتفت بأن أطرقت برأسها الى الارض ، فى حين استطرد وهو يقول :

- اما أنا فأننى أصلح الأمور وأعيدها الى وضعها الاول ، ليس فيما يتعلق بك وحدك ، وانما فيما يتعلق بالاسرة كلها . سنأخذ أمك للاقامة معنا .. وسوف أجد وظيفة لميشيل .

اجتاح الغرفة ظل رطب ، وراح ميشيل يذرع أرضيتها جيئة وذهابا وهو يفكر : وظيفة لى .. لا ريب ان ليو مجد فى قوله هذا وانه لا يهزل ، وسوف ينفذ ما يقول ويساعده على كسب المال ..

هذه هي الفائدة التي سيجنيتها مقابل زواج كارلا .. لم يكن معنى هذا انه يبيع كارلا ، فانه لم يكن يؤمن بهذه الكلمات الجوفاء ... انه لا يؤمن لا بالشرف ولا بالواجب ... احس بأنه كما هو دائما .. رجل مقامر لا يكثرث بأى شيء . وفكر : « لن اقول لها شيئا . سأدعها تقرر مصيرها هي بنفسها . اذا قبنت فهذا حسن . واذا رفضت حسن أيضا .. » ولكن ضيقا خفيفا انذره بأن في هذه السلبية شيئا خسيسا ، وسمع ليو يقول :

— اذا كنت تترددين بسبب امك فاطمئنى ، فقد انتهى ما بينى وبينها منذ وقت طويل .

هزت كارلا رأسها وقالت : ليس بسبب امى .
وهنا صاح ميشيل يقول : بالله يا كارلا .. قولى له لا .
نهض ليو واقفا وهوى بقبضة يده على المنضدة وصاح :
هل لك ان تسكت وان لا تهتم الا بما يعينك انت ؟
تقدم ميشيل خطوة الى الامام وقال : انها اختى .

— هي اختك كما تقول ، ولكن اليس لها مطلق الحرية فى اختيار الزوج الذى تريد . صدقينى يا كارلا . لا تستمعى اليه فانه لا يدري ما يقول .

ولكنها اشارت له بيدها ان يسكت وتحولت الى اخيها وسألته :
لماذا تريد ان اقول له لا ؟

راته يتردد ويجيب اخيرا : انك لا تحبينه .

— ليس هذا بسبب كاف ، ففى الامكان الاستغناء عن الحب .
— وهناك امنا .

— اوه ... انها لا تضايقنا .

ثم تحولت الى ليو وخاطبته قائلة : اتريد حقا ان تتزوجنى يا ليو ؟ الا تخشى ان يفشل هذا الزواج .. فأنا مثلا على يقين من انك سوف تخوننى ...

فكر ليو وهو يحرق فيها مليا : بل انت التى ستخونينى ايتها الفاجرة .

وقال فى صوت مسموع : اقسم لك اننى سأكون وفيا لك دائما .
لم تنطق كارلا ، وراحت تنظر الى المائدة ، وكانت السماء

تمطر ، وافتهم ظلمة البيت ، ولم يعد الواحد منهم يميز الآخر الا
فى شىء من الغموض . وقالت :

— حان الوقت لكى ننصرف .

سألها ليو : وما هو ردك ؟

ونهض هو الآخر ، وسار متحسسا طريقه ، وادار مفتاح النور .
وتبادل الجميع النظر وقد بهرهم النور الذى سطع فجأة وقالت
كارلا :

— ردى ؟ .. غدا يا ليو .. يجب ان اتحدث الى امى .. انتظرنى
لحظة يا ميشيل ، ريثما آتى بقبعتى .

الفصل الرابع عشر

وعندما هما بالخروج من البيت كانت السماء لا تزال تمطر . ولم يكن المطر عنيفا وانما كان غزيرا ، فراح الماء يغلى ويفور على الأرض ، وتكومت البرك والمستنقعات فى الشوارع وبهتت أنوار المصابيح وغرقت الافاريز حتى بدت كأرصفة الموانئ التى يفوص نصفها فى مياه البحر .

وتسللا بجوار الجدران وهما منحنيان تحت سيل المطر لا يحميهما شئ غير مظلتهم الوحيدة . فى آخر الشارع توقفت لهما سيارة أجرة ولم تلبث ان انطلقت بهما .

وجلس كل منهما بجوار الآخر فى الظلام ، دون ان ينطق بكلمة ، وراحت هزات السيارة تأرجحهما وتجعلهما يصطدمان بعضهما ببعض كدميتين لا حياة فيهما ، واسترخى ميشيل فى ركن من العربة وبدا عليه أنه مستغرق فى التفكير . أما كارلا فجلست محنية قليلا ، وحاولت ان تعرف طريقها ولكن من غير أن تفجح ، فقد كانت النوافذ مبتلة ، وتكوم فوقها دخان بارد ولم تستطع أن تتعرف على الطريق . خيل لها انها استبعدت عن الأرض هى وأخوها ، وانها سجنّت معه فى هذا الصندوق المظلم الذى ينقلهما الى عالم مجهول بكل هذه السرعة . أين ؟ أينتهى بها هذا اليوم ومعه حياتها القديمة الى سؤال لا جواب له ؟ أين يذهب المرء نهارا أو ليلا تحت سيل المطر ، أو فى وضوح النور ؟ وتملكها الخوف ، وأحسّت بالرغبة تدفعها الى تقريب غايتها ، وتصغير عالمها وفى أن ترى عالمها كله كما لو كان غرفة ضيقة . وفكرت « سوف أتزوج ليو » وحدقت على زجاج النافذة مشهدا غريبا من الأنوار . . زجاج البيت فى الليالى الممطرة ونوافذ مفتوحة على حقول الاحلام السوداء ، واذا بها

تري نفسها فى وضح الشمس فوق درج الكنيسة وهى ترتدى ثوب العرس الابيض وتتعلق بذراع رفيقها ، ويخرج خلفهما من داخل الكنيسة أعضاء موكب الزفاف : أمها ، ويبدو انها كانت تبكى ، وفى يدها باقة من الورد ، وميشيل ، ينظر الى الأرض كما لو كان يبحث عن مواضع قدميه ومدعوون كثيرون لم تستطع تمييز ملامحهم .

وأخرجها من حلمها صوت أخيها ، وكان يتكلم ، فنظرت اليه وسألته قائلة : حسنا يا ميشيل .. ماذا تقول ؟
قال : اذا لم أكن مخطئا فأننى لم أذكر لك لماذا يجب ان ترفضى الزواج بليو .

— هذا صحيح .

— اليك السبب اذن . اليوم ، قبل أن اذهب الى ليزا ، وبهذه المناسبة فان ليزا هى التى أخبرتنى بكل شئ عنك وعن ليو ، فيبدو أنها رأتكما أمس وأنتما متعانقان . ولكن ما علينا .. قبل ان اذهب الى ليزا اذ أمعنت فى التفكير فى وضعنا وقلت لنفسى : « اننا أفلسنا وأصبحنا فى موقف لا علاج له ، واننا اذا استمررنا على ذلك فسوف نعانى من البؤس والفاقة قبل أن ينتهى بنا العام ، ورأيت ان الشخص الوحيد الذى نستطيع أن نعتمد عليه هو ليو ، وليو ، كما تعرفين ، زير نساء وسوف يمنح المرأة التى تروق له كل ما لديه ، وخطر لى أن أقدم له أختى .. نعم ، أقدمك له أنت يا كارلا ، مقابل نقوده » .

تحولت اليه فجأة وسألته : هل خطر لك ذلك ؟

ولمدة لحظة خاطفة أضاء نور المصباح وجه ميشيل فראت كارلا عينين مفتوحتين متسعيتين ووجها ممتقعا ، فأطرقت براسها وقد اجتاحتها القلق ، واستطرد ميشيل :

— نعم . خطر لى ذلك . وظننت اننى أرى المنظر ، فقد مضينا ، أنا وانت الى بيت ليو ، وعندما انفعل أرى الأشياء التى أفكر فيها

فى وضوح تام ... تناولنا الشاى فى الصالون ، ثم ، وفى تكتم شديد انصرفت طبقا لاتفاقنا وتركتك وحدك معه ..

تمتت مذعورة : هذا فظيع .

ولكن ميشيل لم يسمعها ، واستأنف قصته فقال : وعندما رأيتهما جالسين امام النافذة ، فى الصالون ، وعندما سمعت ليو يعرض عليك الزواج ، خيل لى اننى ارى المشهد الذى تخيلته ، وقلت لى « حدث كل شىء كما توقعت ، كما لو اننى قلت لليو حقا : اسمع .. ان اختى فتاة جميلة .. ناضجة .. لا تفصنى .. تخيلت هذا الحديث ...

تمتت دون أن تلتفت اليه : لست غاضبة . استمر .

— ان اختى جميلة .. حسنا . سوف تقدم لنا المال . والمال الوفير وتنفق على أسرتى ، ومقابل ذلك سأتحلى لك عن كارلا ، فافعل بها ما تشاء .

صاحت فى غضب وأسى : وماذا حسبت اننى صانعة ... اتحسبنى جمادا أو حيوانا ؟

اجاب ميشيل وهو يبتسم فى شبه انتصار : كلا . ولكننى كنت اعرف انك ضجرة ، وانك تواجهين ظروفًا مرجوة ، وانك سوف تقبلين بسهولة ، واذا انت تزوجته الآن فسوف أشعر دائما بأننى سلمتك له ، وسوف أحس دائما بأننى أكرمت فى حقك ، واننى بعثت لك حقا ، فهل تفهمين الآن ؟

وأردف يقول فى قلق : ولكنك سترفضين الزواج به طبعًا ، أليس كذلك ؟

وساد صمت قصير ثم اجابت تقول : بل سأتزجه .

وبدا أنها تفكر . ثم استطردت تقول فى صوت حزين قاس : ماذا يكون مصيرى اذا أنا لم أتزوجه ؟ .. فكر .. فى الظروف التى أعيش فيها الآن .. (وأتت بإشارة لكى تريه نفسها كما هى) فتاة فقيرة ، عارية ، ضائعة ... هل أرفض ؟ .. ان ذلك ليكون جنونا ... لم يعد امامى غير شىء واحد وهو أن أتزوجه .

وافتربا من نهاية رحلتها ، وراحت كارلا تفكر .. نعم ، سوف
تتزوج ليو ، وسوف تعيش معه فى بيت واحد وفى فراش واحد ،
وسوف يتناولان طعامهما معا ويخرجان معا ويشتركان معا فى
أفراحهما وأتراحهما . وسوف يكون اسمها مدام ميروميس ..
وها هى ترى نفسها الآن وقد تقدم بها السن قليلا وازدادت سمرة
والمجوهرات فى يديها وفى جيدها وعلى صدرها ، وقد زادت الأيام
قسوة وبرودا . وها هى تدخل بهو فندق كبير ، يتبعها زوجها وقد
ازداد صلعة شيئا ما وازداد سمرة هو الآخر . وها هى يجلسان
ويتناولان الشاي ويرقصان والناس ينظرون اليها ويقول : انها امرأة
جميلة ولكنها خبيثة ، لا تبسّم أبدا .. لها نظرة قاسية كالتمثال .
واننا لنتساءل فيم تفكر . وآخرون يتهايمسون ويقولون : انها تزوجت
عشيق أمها .. ورجل يكبرها سنا بكثير . انها لا تحبه ولا ريب
ان لها عشيقا هى الأخرى . وسينظر اليها الرجال فى اشتها ،
وستنظر اليهم فى غير اكتراث .. والآن ، غرفة لمدام ميروميس ...
هى الآن ذاهبة الى موعد ... وهى ترتدى فى أحضان عشيقها ..
وقد تخلصت من جمودها وأصبحت شعلة من نار ، وعادت طفلة تبكى
وتغمغم كما لو كانت سجينه أطلق سراحها وترى النور من جديد ..
ثم بعد ان تفرغ من عشيقها تعود الى بيت الزوجية ، سعيدة ،
وتستعيد برودها وجمودها . ستكون هذه حياتها طوال سنوات ،
وسيحسدها الجميع ، فهى غنية ، وهى تلهو وتمرح ، ولها
عشيق ، فماذا تريد أكثر من هذا ... ان لديها كل ما تشتهي
المرأة .

وتوقفت سيارة الأجرة ، وهبطا منها . وكان المطر قد انقطع .
ووقفت بجوار عامود للنور تنتظر حتى ينقد أخوها السائق أجره .
ولاحظت عندئذ سيارة أخرى واقفة بجوار الرصيف وقد غلب
النوم سائقها ، وعرفت فيها سيارة آل بيراردى . ونظرت اليها
مشدوهة ، ولكنها لم تلبث ان تذكرت تلك الدعوة لحضور الحفلة
الراقصة .

وقالت لآخيها ، وكان يتقدم منها فى حذر بين برك الماء : ميشيل
... هى سيارة آل بيراردى .

والقى الشاب نظرة سريعة الى السيارة ثم قال : هذا صحيح .
انهم اقبلوا لكى يصطحبونا الى الحفلة الراقصة .

وفى بهو البيت الدافئ المنير ، خلع ميشيل معطفه وقبعته
- كارلا .. متى تحدثين امك عن هذا الزواج ؟

اجابت فى هدوء : غدا .

وتقدما الى الدهليز ، وتناهت اليهم من الصالون أصوات
وضحكات . واقتربت كارلا من الستارة التى تغطى الباب الزجاجى
ورفعتها فى هدوء ثم قالت :

- انهم جميعا هنا .. الثلاثة معا ... بيبو ومارى وفانى .

وصعدا السلم . واستقبلتهما امهما ومعها ليزا فى غرفة
الانتظار ، وكانت الام على اتم الاستعداد ، فقد ارتدت ثوبها الاسبانى
وتجملت وافرطت فى الاصباغ . وكانت تمسك فى يدها مروحة من
ريش النعام ، ووقفت ليزا بجوارها ، فبدت كأنها النهار بجانب
الليل .

وصاحت مارى جريس بولديها قبل أن يبلغا نهاية الدرج : ان
الوقت متأخر ، وآل بيراردى ينتظرون منذ ربع ساعة .

كانت راضية مسرورة ، فقد قضت ليزا معها طوال فترة بعد
الظهر ، وادركت من هذا ان ليو لم يكذبها القسول . وفى غمرة
سرورها ترفقت مع صديقتها وأطلعتها على أسرارها ، فكرت لحظة
فى دعوتها لحضور حفل الليلة ، لكنها عدلت عن ذلك او خشيت
ان يستهجن آل بيراردى الأمر لأن معرفتهم بليزا سطحية تقريبا .

- اسرعى يا كارلا . عجلى بارتداء ثيابك التنكرية .

ولكن كارلا وقفت جامدة لا تتحرك ، تتأملها ، وقالت اخيرا : هل
يجب ان اتنكر ؟

انفجرت مارى جريس ضاحكة واجابت : طبعا . فما أخالك

تذهبين الى حفلة راقصة مقنعة بثوب بعد الظهر . كلا ؟ (اخذتها من ذراعها واردفتم) هيا يا ابنتى ، فقد تأخرنا كثيرا .
رفعت كارلا قبعتها فى حركة آلية . وتبعت امها . واذ راتها سعيدة هادئة قالت تحدث نفسها : ومع ذلك فلا بد من ان اخبرها بهذا الزواج .

وبقى ميشيل وليزا وحدهما . وراحت هذه الاخيرة تنظر الى الشاب فى فضول ولهفة . واذ راته عازفا عن الكلام اقتربت منه وسألته فى فضول لم تستطع اخفائه :

— حسنا . قل لى ، ماذا حدث بالضبط ؟

تحدث اليها وقال فى ببطء : ماذا حدث ؟ .. آه ، نعم . اننى اطلقت عليه الرصاص .

صاحت ليزا فى رعب مبالغ فيه : يا الهى ! .. وهل جرحته ؟
— بل اننى لم اصبه .

جذفته الى الارىكة فى انفعال كبير وقالت : تعال هنا . اجلس بجوارى ، واخبرنى بما حدث .

ولكن ميشيل اتى بحركة تدل على التعب ونفاد الصبر وقال :
ليس الآن ... فيما بعد .

ونظر الى هذه الكتلة من اللحم ، والى ذلك الصدر المكتنز .. واجتاحته رغبة فى نسيان بؤسه وشقاته ولو للحظة واحدة . وقال يسألها بعد ان كف عن فحصه لها :

— هل تذهبين الى الحفلة الراقصة ؟

— كلا .

— اذن (وتردد) بما انى لست ذاهبا اليها انا الآخر فاننى ادعو نفسى لتناول طعام العشاء فى بيتك .. وهناك سأخبرك بكل شيء .
هزت راسها على الفور وقالت موافقة : حسنا ... هذا جميل .
ابتسم ميشيل فى مرارة . وقال لنفسه ؟ هذه المرة فى غضب وارتياج فى نفس الوقت : لا داعى لان تخافى . فلن أصدق هذه المرة . وعمرة نفور كبير . لم تكن افكاره الا صحراء جرداء ...

لا ايمان ولا امل ولا ظل واحد يتفيا به ، ولا نبع واحد ينهل منه .
الكذب والسفالة التي تمتلىء بها روحه كان يراها عند الآخرين
دون ان يستطع لحظة واحدة ان ينتزع من امام عينيه هذا القناع
النجس الذى يعترض حياته . وتشبث بفكرته الثابتة بقليل من
الصدق وقليل من الايمان .. « كنت أستطيع قتل ليو ... ولكنى
سأكون الآن صافيا كالماء » .

واختنق . اما ليزا فقد بدا عليها الرضا والسرور . وود لو
ان يصرخ فيها « كيف تعيشين ؟ ... ابصدق ؟ .. والا فكيف
تفلحين فى الحياة ؟ » .. كانت افكاره مشوشة ومتعارضة ، وقال
لنفسه : « لعل اعصابى المزعزعة هى سبب كل شئ . ولعله ليس
هناك مشاكل مال ولا وقت ولا ظروف » . ولكنه كلما حاول تقليل
المشكلة وتبسيطها كلما بدت له المصائب اكبر وافزع ... « ومن
المستحيل الاستمرار هكذا » .. وود لو ان يبكى ، فان الحياة
تحيط به من كل جانب كغابة كثيفة لا يتخللها اى ضوء .

وظهرت كارلا ومن خلفها أمها . وكانت كارلا متنكرة فى ثياب بيرو
المهرج ، وفوق عينيها قناع اسود صغير . وقالت الأم :
- ما رايكما ؟

اجابت ليزا : رائع جدا ... اتمنى لكما سهرة ممتعة .
قالت كارلا ضاحكة : شكرا لك .

ثم نظرت الى اخيها ورتبت على كتفه بطرف مروحتها وقالت فى
صوت منخفض :

- سوف نتحدث فى هذا غدا . وفكرت « الواقع ان كل شئ
جد بسيط ، والدليل على هذا اننى ارتديت ثيابا تنكرية » . وراحت
تفكر فى ذهنها عن عمل مناسب له .. وظيفة ما بمجرد ان تتزوج
من ليو ، ولكن أمها جذبتها من ذراعها قائلة :

- هيا .. هيا .. ان آل بيرادى ينتظروننا .

وهبطتا السلم جنبا الى جنب . وعند الطابق الاول توقفت الأم
وهمست فى اذن ابنتها قائلة :

- لا تنسى .. ماذا اريد ان اقول ؟ .. آه ، كوني ظريفة مع

.. ييبو .. اننى فكرت فى الأمر .. ولعله يحبك .. انه زوج
لا بأس به .

قالت كارلا فى لهجة الجد : لا تقلقى .
وهبطتا الدرجات الأخيرة .. كانت مارى جريس تبتسم الآن ..
كانت راضية . وكانت تفكر فى ان عشيقها سيحضر الحفلا
الراقصة ، ومنت نفسها بليلة ممتعة .

((تمت))

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

هذه الرواية

ميشيل بطل هذه الرواية شاب يتدفق حياة وحبا ولكنه يشكو
 اللامبالاة ، وهي احساس غريب يتيح له ان يغير آراءه وعاداته كما
 يغير الآخرون ثيابهم كل يوم . ويريد ان يحب وأن يكره الأشخاص
 المتحمسين الذين يحيطون به وهم أمه وعشيقها ليو وأخته كارلا
 وليزا التي تلاحقه وتحاول الاستئثار به ، ويود لو أن يشعر نحو
 أمه بالحنان أو بالتقزز ، وهما عاطفتان لا يعرفهما ، والا فلابد له
 أن يرحل وأن يبحث في مكان آخر ، ربما في الموت ، عن الفردوس
 التي يتحرر فيها من عدم مبالاته .